ديوان

الشّيخ ابراهيم الرياحيّ

1850 - 1767/1266 - 1180

تحقيق:

محمّد اليعلاوي

حمّادي السّاحلي

دار الغرب الإسلامي

ديوان

الشّيخ ابراهيم الرياحيّ

1850 - 1767/1266 - 1180

تحقيق:

محمّد اليعلاوي

حمّادي السّاحلي

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم
الشيخ إبراهيم الرّياحي
حياته وآثاره

1 ـ مولده ونشأته[1]

هو الشيخ إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرّياحي . قدم جدّه الأعلى إبراهيم المحمودي الطرابلسي من طرابلس إلى البلاد التونسية واستقرّ بالمكان المعروف باسم العروسة والتابع لعمل رياح (منطقة مجاز الباب الآن) ، حيث اشتغل بتحفيظ القرآن للصّبيان . ثم انتقل ابنه أحمد إلى بلدة تستور ، حيث وُلِد حفيده إبراهيم بن عبد القادر سنة 1180هـ/ 1767م[2].

وبعد أن حفظ الفتى القرآن الكريم بتستور ، ارتحل إلى تونس العاصمة لطلب العلم . فسكن أوّلاً بمدرسة حوانيت عاشور (أو المدرسة العاشورية) ثم بمدرسة بير الحجار بنهج الباشا والتحق بجامع الزيتونة حيث تتلمذ إلى نخبة من علماء عصره نخصّ بالذكر منهم المشايخ صالح الكوّاش ومحمد الفاسي وإسماعيل التميمي ومحمّد الطاهر بن مسعود وعمر المحجوب وحسن الشريف وحمزة الجبّاس وغيرهم من علماء الزيتونة ، « إلى أن ظهر عليه فضل العلم والعمل ، وبلغ من تحصيله غاية الأمل »[3] ، فأجازه شيوخه وانتصب للتدريس بالجامع الأعظم ، وقد أثار من أوّل

---

(1) انظر ترجمته المفصّلة في المراجع التالية :

- أحمد بن أبي الضياف ، « إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان» ، الجزء السابع ، 73-82.
- محمد السنوسي « مسامرات الظريف بحسن التعريف » ، الجزء الأول ، 139-231.
- عمر الرياحي « تعطير النواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي » ، الجزء الأول.

(2) وفي عنوان الأريب ، سنة 1181 .

(3) محمد السنوسي ، المرجع المذكور .

وهلة إعجاب زملائه وتلاميذه ، بما كان يتميّز به من قوّة الحافظة وحدّة الذكاء وحضور البديهة ، وابتكر طريقة جديدة في التدريس وصفها ابن أبي الضياف بقوله : « وكيفيّة إلقائه أنه ينقل الدرس ويمليه من حفظه ثم يقرّر ما يظهر له ، ثم يسرد كلام المصنّف على كيفيّة تبعث النشاط في النفس ، هو أوّل من اخترعها واتّخذها فحول العلماء من بعده »[1] .

ورغم ما أحرزته دروسه من نجاح ، لم تتحسّن أحواله المادّيّة وسئم ضيق العيش والإقامة بمدرسة سكنى الطلبة ، فقرّر الهجرة من تونس في طلب الرزق . وبلغ ذلك الخبر إلى علم صاحب الخيرات الوزير يوسف صاحب الطابع ، فأولاه خطّة التوثيق (العدالة) وأهدى له دارا مجهّزة بكامل المرافق وتكفّل بنفقات زواجه ، وعندئذ عدل الشيخ عن الهجرة « فاطمأنّت به الدار وقرّ له القرار » ، على حدّ تعبير ابن أبي الضياف .

2 ـ أسفـــاره

ـ في سنة 1804 كانت البلاد التونسية مهدّدة بالمجاعة بسبب انحباس الغيث ، ففكّر الأمير حمّودة باشا في إيفاد الشيخ صالح الكوّاش إلى المغرب لطلب الميرة من السلطان مولاي سليمان ، ولكن الشيخ قد اعتذر عن القيام بتلك المهمّة بسبب تقدّمه في السن[2] واقترح على الباي أن يكلّف بها تلميذه الشيخ ابراهيم الرياحي ، لما يتوسّم فيه من مقدرة على الاضطلاع بها على أحسن وجه ممكن . فسافر الشيخ إبراهيم الى المغرب محمّلاً برسالة من الشيخ عمر المحجوب وحظي بالمثول لدى السلطان مولاي سليمان بقصره في فاس وألقى بين يديه قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

إن عزّ من خير الأنام مزار فلنا بزورة نجله استبشار

---

(1) ابن أبي الضيّاف : المرجع المذكور .

(2) وقد توفّي إثر وصول الشيخ إبراهيم الرياحي الى المغرب وذلك في أوّل فيفري 1804 .

وقد أجاب السلطان طلبه وقضى حاجته . واغتنم الشيخ فرصة وجوده بالمغرب لربط الصلة مع كبار الأدباء والعلماء المغاربة وتبادل معهم من بعد الرّسائل الوديّة والقصائد .

- وفي سنة 1822 سافر مع الشيخ الطّاهر بن عبد الصّادق إلى بلدة تماسين بجنوب القطر الجزائري للاجتماع بالشيخ على التماسيني خليفة الشيخ أحمد التجاني وشيخ شيوخ الطريقة التجانية .

- وفي سنة 1826 سافر إلى البقاع المقدّسة لأداء مناسك الحجّ ، وقد اغتنم تلك الفرصة للاجتماع بعلماء الحرمين الشريفين .

- وحجّ مرة ثانية في سنة 1836 نيابة عن الأمير مصطفى باي . فتوقّف بالقاهرة في طريقه إلى البقاع المقدّسة ، وقد سبقته إليها سمعته كعالم مفتٍ وفقيه متفوّق وأديب أريب . فتسابق العلماء إلى الترحيب به وألقى دروساً في الجامع الأزهر نزولاً عند رغبتهم ،وبعدما قضى نسكه رجع الى تونس يوم 13 اكتوبر 1837 بعد وفاة مصطفى باي بثلاثة أيام ، وآرتقاء ابنه أحمد باي إلى العرش .

- وفي سنة 1838كلّفه الأمير الجديد بالقيام بمهمّة لدى السلطان العثماني باسطنبول ، لإعفاء الولاية التونسية من دفع الضريبة التي كانت مطالبة بتسديدها كلّ عام إلى خزينة الدولة العثمانية ، بوصفها ولاية تابعة للباب العالي . فسافر المترجم له إلى البلاد التركية محمّلاً برسالة من الأمير أحمد باي من إنشاء الشيخ أحمد بن أبي الضياف . وهي أوّل رسالة يوجّهها باي تونس إلى الباب العالي محرّرة باللغة العربية بدلاً عن التّركيّة .

ولمّا بلغ الشيخ إلى الأستانة احتفل به العلماء والفقهاء وآجتمع بالخصوص بشيخ الإسلام أحمد عارف وتوطّدت علاقته به .

وقد حظي بالمثول بين يدي السلطان محمود ومدحه بقصيدة عصماء ، كان مطلعها :

العزّ بالله للسلطان محمود ابن السلاطين محمود فمحمود

وتمكّن بعد إجراء مفاوضات رسميّة مع الصدر الأعظم من الحصول على إعفاء البلاد التونسية من الضريبة مدة بضع سنوات .

3 ـ انضمامه إلى الطريقة التجانية

لقد آنتمى الشيخ إبراهيم الرّياحي في أوّل أمره إلى الطريقة الشاذليّة وأخذ مبادئها عن الوليّ الصّالح الشيخ البشير الزواوي . ثم التقى بتونس ـ سنة 1796 بالشيخ علي حرازم الفاسي[1] أحد أتباع الشيخ أحمد التجاني ، فأخذ عنه الطريقة التجانية وعمل على نشرها بالبلاد التونسية وأسّس لها زاوية بالقرب من حوانيت عاشور في النهج الذي أصبح يحمل اسمه إلى يومنا هذا (نهج سيدي إبراهيم الرياحي) .

واغتنم فرصة زيارته للمغرب سنة 1804 للالتقاء بالشيخ أحمد التجاني وتلقّى الطريقة التجانية عنه مباشرةً . وبعد رجوعه إلى تونس أصبح الممثّل الرسمي لتلك الطريقة في بلاده . وإثر وفاة الشيخ التجاني حرص المترجم له على الالتقاء بخليفته الشيخ علي التماسيني ، فسافر إلى تماسين كما أسلفنا واجتمع به .

4 ـ وظائفه ومهامّه الرسميّة

لمّا أُعْفِيَ الشيخ عمر المحجوب من خطّة القضاء سنة 1806 ، آستدعى الأمير حمّودة باشا الشيخ إبراهيم الرياحي وعرضها عليه ، فرفض ذلك العرض رفضاً باتّاً « متعلّلاً بأنه لا يسوغ له أن يتقدّم على شيخَيْه إسماعيل التميمي وأحمد بوخريص »[2] فأجبره الباي على قبول تلك الخطة . ولكنه فرّ إثر ذلك الى زاوية سيدي علي عزّوز بزغوان . ولمّا علم حمّودة باشا بالخبر اضطّر الى تعويضه بالشيخ اسماعيل التميمي الذي بقي في ذلك المنصب إلى أن ارتقى الى خطّة باش مفتي المالكيّة . أمّا الشيخ إبراهيم الرّياحي ، فقد رجع بعد ذلك إلى تونس واستأنف دروسه بالجامع الأعظم .

ولما أتمّ الوزير صاحب الطابع بناء جامعه بالحلفاوين سنة 1814 عيّن الشيخ

---

(1) تعطير النواحي ، الجزء الأول ، ، ص 11 .

(2) الإتحاف ، المرجع المذكور .

إبراهيم الرياحي مدرّساً به ومكلّفاً بمشيخة المدرسة التابعة له ، فبدأ الشيخ دروسه بشرح « القسطلاني لصحيح البخاري » و « المختصر » في الفقه المالكي ، كما ألقى دروساً في النحو[1] . وبعد وفاة الشيخ محمد الفاسي سنة 1817 تقدّم عوضه للتدريس في نفس الجامع ، فتولّى إلقاء درسين الأوّل في تفسير البيضاوي والثاني في صحيح البخاري .

ولما توفيّ كبير أهل الشورى الشيخ اسماعيل التميمي سنة 1832 عرض الأمير حسين باي الثاني ذلك المنصب على صاحب التّرجمة ، فرفضه في أوّل الأمر ثم قبله على مضضٍ منه .

وإثر وفاة الشيخ محمد بن عبد الكبير الشريف سنة 1839 ، عيّنه المشير أحمد باي الأوّل إماماً أكبر وخطيباً بجامع الزيتونة . وهو أوّل من جمع بين رئاسة المذهب المالكي بتونس وإمامة جامع الزيتونة المعمور .

وبمقتضى الأمر الذي أصدره أحمد باي سنة 1842 ، والمتعلّق بتنظيم التعليم بالجامع الأعظم ، أصبح الشيخ إبراهيم الرياحي عضواً في مجلس النّظارة العلمية الذي يشرف على شؤون التعليم بجامع الزيتونة ويضمّ كلاًّ من شيخ الإسلام الحنفي وكبير أهل الشورى (باش مفتي المالكية) والقاضِيَيْن الحنفي والمالكي[1] .

5 ـ آثاره

ترك المترجم له عدّة آثار مخطوطة ومطبوعة ، نخصّ بالذكر منها ما يلي :

أ ـ مجموعة خطب جمعيّة ، نشر بعضها ابنه الشيخ علي الرياحي .

ب ـ مجموعة فتاوى في مسائل فقهيّة متعدّدة .

ج ـ عدّة رسائل ، من أشهرها :

---

(1) محمد بن الخوجة ، تاريخ معالم التوحيد ، الطبعة الثانية ، ص 100 .

- « دفع اللجاج في نازلة ابن الحاج » ، للردّ على قاضي الحاضرة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار .
- « مبرد الصوارم والأسنّة في الردّ على من أخرج الشيخ التجاني من دائرة أهل السُّنّة » (وقد نشرت هذه الرّسالة في تعطير النواحي ، الجزء الأول من صفحة 36 إلى صفحة 60) .

د ـ حاشية على شرح الفاكهي للقطر ، وهو كتاب جمال الدين عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي : « مجيب النّدا لشرح قطر النّدى » .

هـ ـ شرح الخزرجية في علم العروض (وهي منظومة تنسب إلى أبي محمد عبد لله الأنصاري الخزرجي) .

و ـ منظومة نحويّة ، لتقريب الأجروميّة للحفظ . (نُشِرت في تعطير النواحي ، الجزء الأوّل من صفحة 164 إلى صفحة 72) .

ز ـ قصّة المولد النبوي الشريف، مختصرة من مولديّة الشيخ مصطفى البكري « المنهل الأصفى . في مولد الرسول المصطفى » (وهي منشورة أيضاً في تعطير النواحي من صفحة 1 إلى صفحة 11) .

ح ـ ديوان شعر (مخطوط) ، جمعه بالخصوص الشيخ محمّد السنوسي في الجزء الرابع من كتابه « شفاء النفوس السنيّة بمجمع الدواوين التونسيّة » .

6 ـ وفاته :

لبّى الشيخ إبراهيم الرياحي داعي ربّه في السابع والعشرين من رمضان سنة 1266 (7 أوت 1850م) ودُفِنَ بزاويته التي أتمّ بناءَها المشير أحمد باي الأوّل سنة 1270هـ (1854م) . وقد أرّخ هذا الحدث الشاعر الباجي المسعودي بقصيدة جاء في مطلعها :

قِفْ بالمقام مقام إبراهيم
وآنشق من الأرج العطير شميما

وبيت التاريخ :

يـا من يؤمّـل بـابـه كن آمنـا قف بـالمقـام مقـام إبـراهيم[1]

1270

وفي سنة 1295هـ (1878م) أصدر المشير الثالث محمد الصادق باي أمراً بترميم زاوية سيدي إبراهيم الرياحي وتجديد قبّتها البديعة الصنع . وقد أرّخ هذا التجديد الشيخ محمّد السنوسي بقصيدة مطلعها :

لمقـام إبـراهيم فـآدْخُـلْ آمنـاً تجلو بـه فضـلاً عـظيمـا كـامنـا

وقد ختمها بهذين البيتين :

فيـه انجـلى أمن ويـمن طـاهـر فـاسـأل إلاهـك فيـه تلف ميـامنـا

فهـو الـذي لمؤرّخيـه جـوابـه : لمقـام ابـراهيم فـآدخـل آمنـا [2]

1295

(1) نفس المرجع ، ص 37.

(2) محمد السنوسي ، المرجع المذكور ، 1/230-231.

شعر الشيخ ابراهيم الرياحيّ

أطلَعَنا الأستاذ ابراهيم الكتاني، جزاه الله خيراً، أثناء زيارة لنا إلى المغرب الشقيق سنة 1979 ، على مخطوط محفوظ بالمكتبة الملكيّة بالرّباط تحت رقم ك 1763 ، جُمع فيه شعر الشيخ إبراهيم الرياحيّ التونسي ، وأتحَفَنا بنسخة مصوّرة منه على الميكروفيلم . فعزمنا منذ ذلك الحين على تحقيق هٰذا الديوان ونشره ، ولكن حالت المشاغل دون ذلك . فعهدنا بالتحقيق إلى بعض طلبتنا بكلّية الآداب بتونس فآنتُدب ببلد شقيق فتخلّى عن العمل ، فعهدنا إلى غيره فتخلّى أيضاً . وبقي المصوّرُ في محفوظاتنا إلى أن سهّل الله أن نشترك في تحقيقه مع زميلنا وصديقنا الأستاذ حمّادي الساحليّ .

وربّما آستغرب المرءُ أن يوجد الديوان بالمغرب ، ولا يوجد بتونس موطن صاحبه . ولا غرابة في الحقيقة فقد كانت للشيخ إبراهيم الرياحيّ منذ زيارته الأولى إلى المغرب سفيراً مُمْتَارا ، علاقات ودّيَة مع السلاطين والأدباء والفقهاء ، ولا سيّما رجالات مدينة سلا . وتوطّدت العلاقة بالمدائح التي كان يدبّجها في رجال السياسة والفكر المغاربة ، والمراسلات والزيارات ، ممّا نجد أثرَه ، لا في هٰذا الديوان فحسب ، بل وفي كتاب الاستقصاء لمؤرخ المغرب الناصريّ السلاويّ أيضاً .

ولا نستبعد أن يكون الديوان تونسيّا ، نُسخ بتونس من مجاميع ـ أو كنانيش ـ مختلفة ، أو من الدفاتر التي ستتكوّن منها مادّة كتاب تعطير النواحي ، ثم انتقل إلى المغرب بحكم الشراء أو الهبة . وتوجد بدار الكتب الوطنية بتونس مجاميع جزئيّة ، منها مجموع من مخلّفات ح. ح. عبد الوهّاب (رقم 18548) يتضمّن معظم القصائد ـ على الأقلّ بمطالعها وعناوينها ـ ممّا يدلّ على أنّ جامع هذا الكنّش كان ينقل عن ديوان مرتّب منظّم . وقد سمّينا مجموع ح. ح. عبد الوهاب هٰذا

« مجموع اشعار ابراهيم الرياحيّ » تسهيلاً وتعميماً ، ونقلنا منه الملحقات 142 إلى 145 ، كما نقلنا القصيدة الملحقة رقم 146 من كنّش الشيخ أحمد بن صالح (رقم 274 من فهرس دار الكتب) وهي قصيدة كثيرة التحريف يصعب تصويبُها .

وكان الطالب محمود الياس قد أنجز في غضون سنة 1978 بكلّية الآداب بتونس رسالة بعنوان « ابراهيم الرياحيّ مفكّراً وأديباً » شفعها بمدوّنة من الشعر الذي وجده في تعطير النواحي وفي الكنَشين المذكورين . والدراسة مع مدوّنتها لا تزال مخطوطة إلى الآن ، ولم نعلم بوجودها إلاّ مؤخّراً ، فاطلعنا عليها ، فإذا هي خالية من القصائد التي زيدت في الديوان على ما في التعطير ، ويبدو أنّ هذا الطالب لم يطّلع على الديوان المغربيّ ولم يسمع به . ثمّ إنّ المدّونة ، إلى جانب نقص موادّها ، تفتقر إلى تحقيق في ذكر ظروف الشعر ، وفي ضبط نصوصه ، وشرح غريبه ومصطلحاته ، والتعريف بأعلامه الخ . . . . فحمَلنا ذلك على المضيّ في عزمنا على تحقيق الديوان ، بعد إكمال مادّته بما ورد في التعطير وفي الكنانيش ، وعن ابن أبي الضياف في إتحافه ومحمد السنوسيّ في مسامرات الظريف ، فبَلَغْنا بهٰذه الزيادات إلى 146 قصيدة ومقطوعة (بعد 129 فقط في الديوان) و 1983 بيتاً بعد (1859) وهو لعمري مقدار لا يبعد عن الألفَي بيت التي قال صاحب المسامرات (ص 221 من الكتاب) إنّه أحصاها ـ أي جمعها ـ في نحو خمسة كراريس من كتابه « مجمع الدواوين التونسيّة » . وقد بدأ في جمع شعر شيخنا وغيره من معاصريه في سنة 1287 ودأب في عمله إلى سنة 1292 . هذا ما يتّضح من فصل للشيخ محمد بن الخوجة في جريدة « الحاضرة » (عدد 20402 ، نوفمبر 1900) ذكره المرحوم محمد الصادق بسيّس في دراسة عن « محمد بن عثمان السنوسيّ ، حياته وآثاره » (تونس ، د . ت) . وقال الشيخ بسيّس إنّ المجمع سمّاه السنوسيّ « شفاءُ النفوس السنيّة في مجمع الدواوين التونسيّة . . . وجمع فيه تراجم ثمانين أديباً » . وقال أيضاً : « ولكنّ النسخة المحفوظة منه بدار الكتب الوطنية ناقصة من سوء الحظ » (ص 175-176) . ويدخل في هذا النقص شعر إبراهيم الرياحيّ[1] . ولعلّ السنوسيّ جمعه من مخلّفات الشيخ

---

(1) عثرنا عند صديقنا الحاج الحبيب اللمسيّ على القسم الرابع من هذا المجمع ويشتمل على شعر : عمر المحجوب وحسن الشريف وصاحبنا الشيخ ابراهيم الرياحيّ وأحمد ذروق وديباجَة محمود قَبّادو .

التي سيعمل حفيده على نشر نصيب منها سنة 1902/1320 في كتاب « تعطير النواحي بترجمة الشيخ ابراهيم الرياحيّ » . ولعلّ ناسخ مخطوط الرباط ، وآسمه أحمد بن محمد بن عبد اللطيف ـ والاسم يبدو تونسيّا ـ حين نسخ الديوان في سنة 1882/1301 قد آستثمر مجموع السنوسيّ ، بدليل القصائد والمقطوعات العشرين التي وردت في الديوان ولم ترد في التعطير .

* * *

وهٰذا المخطوط الذي جعلناه أساساً لعملنا يشتمل على 105 صفحات ، كلّ صفحة تشمل 21 سطراً ، بمعدّل 15 بيتاً تقريباً لكلّ صفحة إذا طرحنا التوطئات وعناوينَ الحروف . والأبيات مميّزة الأشطار بعمود واضح الحدود. والخطّ مغربيّ مقروءٌ بسهولة ، إلاّ بعض الكلمات التي وقع بها تغدير أو آستعصى على الناسخ فهمُهَا .

والقصائد تتفاوت في الطول والقصر ، من البيت الواحد إلى الخمسة والثمانين بيتاً ، وفي الأغراض : وفي مقدّمتها المدح والتهاني والإخْوانيّات ، ثمّ الرثاء والابتهالات والتأريخ بالحروف للمعالم والأحداث ـ وكذلك الوفيات ـ على طريقة حساب الجمّل ، إلى الإجازات والفتاوى المنظومة والمسائل الفقهيّة والكلاميّة وحتى الكيميائية التنجيمية . وقد أعرضنا عن المنظومة النحويّة لقلّة غَنائها بإزاء كبريات المتون كالألفيّة . ولئن استبقينا بعضَ المقطوعات العلميّة الأخرى ، على ضحالتها شعريّا ، فلكي نعطي للقارىء صورةً متكاملة من إنتاج هٰذا الفقيه التونسيّ الجليل .

وتتفاوت قيمة هٰذا الشعر : فمنه التعليميّ الضحل . ومنه الوعظيّ البارد ، ومنه الغزليّ المتكلّف . ولكنّ فيه أيضاً النّفحات العاطفيّة الصادقة المؤثّرة ، خصوصاً في الابتهالات إلى المولى سبحانه وتعالى ، والتوسّل إلى النبيّ ﷺ ، ومديح أشياخ الطرق الصوفيّة مثل أحمد التجانيّ والشيخ علّي بن حرازم ، وشيخه البشير الزواويّ ، وفي رثائهم . كما تصدق اللهجة أيضاً وتقوى العبارة وتمتن الحبكة في قصائده المغربيّة ، وهي التي يمدح بها السلاطين أو شيوخ العلم والتصوّف . والتفاوت بين مدحه للسلطان المغربيّ ومدحه للخليفة العثمانيّ ظاهر بيّن كما لاحظ الهادي حمّودة

الغزّي في دراسته الوجيزة عن صاحبنا ضمن رسالته عن « الأدب التونسيّ في العهد الحسينيّ » (تونس 1972 ، ص 119-134) ، وقد عزاه إلى التفاوت في ثقافة الممدوحَين ، فهٰذا عربيّ ، بل شريف هاشميّ محاط بكوكبة ماجدة من العلماء والشعراء والأدباء ، وذاك تركيّ لا يتأثر إلّا بما فيه ذكر للرّسول ﷺ والصحابة والدين الحنيف . ولئن صحّ هٰذا التحليل عموماً ، فإن الاختلاف في القيمة الشعريّة يعزى في نظرنا إلى أمر آخر: وهو صدق المودّة التي تربط بين الشيخ والمغاربة ، حتى إنه كان يُعدّ واحداً منهم . أمّا العثماني ، فإنّه حاكم بعيد ، وعاهل متسلّط على تونس بحكم ولاءٍ قديم ، علاوة على الاختلاف في المذهب والمشرب ، فأولائك حوانف ، والشيخ ومواطنوه مالكيّون .

على أنّ الذي يلفت الانتباه في المدائح المغربيّة هو التعلّق بآل البيت إلى حدّ يتوهّم معه أنّ صاحبنا شيعيّ لولا أنّه يتبرّك أيضاً بالشيخين وعثمان وحمزة والعبّاس وسائر الصحابة والتابعين . فلئن يذكر الأئمّة من بيت الرسول ﷺ ابتداءً من أصحاب الكساء ـ أو العباء كما يقول أحياناً ـ إلى المهديّ المنتظر ، فليس يصدر عن انتماءٍ إلى الاثني عشريّة الإماميّة ، ولكن عن حبّ لآل البيت يشترك فيه مع كافّة المغاربة ، ومعلوم أن زيارة قبر الرسول عندنا فرض واجب ، تكاد تكون شرطاً من شروط صحّة الحجّ .

والشيخ شاعر صوفيّ يعتزّ بانتسابه إلى الطريقة الشاذليّة ، ثمّ التجانيّة ، معتقِد اعتقاداً صادقاً قويّاً في تقوى أقطابها وصلاحهم ، دون آنزلاق إلى متعقداتِ العوامّ في مكاشفاتهم وكراماتهم . فهو فقيه صوفيّ ، لكنّه متحرّر ، في الحدود التي تفرضها مالكيّتُه من جهة ، ووظائفه الرسميّة من إفتاء وإمامة خطبة وتدريس وسفارات إلى المغرب والباب العالي ، من جهة أخرى .

وهو ، مثل أترابه من هٰذه الفترة ، يجنح إلى أساليب الزخرفة في شعره ، وأوّلها التأريخ بالشعر على طريقة حساب الجمّل ، وإن كان في الميل إلى هٰذا الفنّ المتلاشي دونَ صنوه محمود قابادو . وإنّ مناصبه الرسميّة العالية في الدولة ، وعلاقته بالبيت الحسينيّ الحاكم ، وصداقته مع بعض وزرائهم كيوسف صاحب الطابع ، كانت تفرض عليه أن يُشيد بالأحداث التي تمرّ بهم وبالمنشآت التي تتمّ في عهدهم ،

فيسجّل الحدث أو إنجازَ المعْلَم في شطر بيت يختم به المدحة أو الوصف أو الرثاء ، ويكون ذلك الشطر فيما بعد سنداً للمؤرّخين وعلماءِ الآثار في ضبط تواريخ المعالم .

ومن الزخرف أيضاً ، التضمين الذي ينمّ عن ثقافة دينيّة وأدبيّة واسعة . فالتضمين ضربٌ من الاستشهاد يقرّب به الشاعر فكرتَه إلى السامع أو يوضّحها أو يدعَمُها أو يختصر الاحتجاج لها ، وهو بالطبع أكثر وروداً عند العلماء ذوي الثقافة الواسعة مثل صاحبنا . فلذلك يكثر عنده التلميح الى آيات القرآن كنظمه لكلمات الشفاء (القطعة رقم 1) أو إدراجه لقسم من آية في بيت (رقم 23) .

أتاك على طوع لأنّك أهله وقد قال « هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدُ »

وقد يكتفي بكلمة واحدة من السورة لتبيين قصده كما في هـٰذا البيت الذي مثّل فيه بهجة المدينة وطلعة صاحبها بإرَم ذات العماد ويوسف الصدّيق (ق 105) :

وتزيّنت من حسنه فكأنّها ذات العماد ولاح فيها يوسف

ويلمّح للحديث أيضاً كذكره لآستحياءِ الملائكة من عثمان رضي الله عنه (ق 19) :

. . . من حييَتْ له ملائك فآستَحْيَيْتَ من وجهة الورديّ

ويضمّن المثل السائر :

وكلّ اناءٍ بالذي فيه راشحُ كما رشّح الأضواء لنا القمَران

كما يستشهد بأعلامٍ من التاريخ فيشبّه مثلاً الشيخ أحمد عارف في حكمته وحزمه بآصف وزير سليمان بن داود (ق 103) :

. . . إن لم نقُل سرٌّ سرى من آصِفِ

ويستشهد بالشعر ، القديم والمولّد ، فيلمّح إلى كثّير وعزّة (ق 32) :

. . . لو تسمعون كلامها لرأيتُكم في الرّاكعين السّجّدِ

أو إلى بشّار (ق 130)

. . . وكالعين بعضَ الحينِ آذانُ

أو إلى المتنبّي (ق 143) :

. . . وإنّما العلم لفظٌ أنتَ معناه

والشيخ ، على عكس معاصريه ، لا يستخدم كثيراً أساليب الصنعة الأخرى ، كالجناس والتورية والمقابلة الممتدّة إلاّ ما ندر وقُصد إليه قصداً ، كتضمينه لألقاب الطبوع في الموسيقى التونسيّة (ق 70) ، والتعمّل فيه ظاهر ، وكالتصريع في هٰذا البيت (ق 68) :

فالنطق منطبق، والجفن منغلق واللون منمحق، والوصل منفصل

الذي شابته المقابلة بين الفصل والوصل وهما من مصطلحات البلاغة ، كما شابه ثقل لفظة « منمحق » . وهو في هٰذه التقفية الداخليّة يقلّد الفحول ولا شكّ كأبي تمّام والمتنبّي . ولكنّ أبا الطيّب حين أشاد بكرم ممدوحه فكرّر أربع مرّات أنّه كريم بن كريم :

العارض الهتِنُ بن العارض الهتِن ابن العارض الهتن بن العارض الهتن

لم ينزلق إلى هذه اللعبة إلاّ مرّة واحدة . أما شيخنا فتعجبه فيعود إليها ويلتذّ بها ، كأن يقول في مدح مولاي عبد السلام (ق 5) :

فإنّما نحن عند الطاهر النسب آبن الطاهر النسب بن الطاهر النسبِ

أو يستهلّ مدحه للسلطان العثماني (ق 12) بقوله :

العزّ باللّه للسلطان محمود ابن السلاطين محمود فمحمود

وقد تخطر له فكرة طريفة كالحسرة المزعومة عند المشارقة أن لم يكونوا مغاربة ليتمتّعوا بالعيش الرغد في ظلّ العرش العلويّ ، فيعود إليها أيضاً ، ولكن في شيءٍ من التنويع والتصرّف . وتعوّض الفكرة المبتكرة أحياناً فقرَ شعره إلى الخيال

والصور ، فيقول مثلاً انّ أيّام المشير أحمد باي كلّها أعياد وبهجة حتى همّ عيد الفطر أن « ينفكّ عن شوّاله » (ق 63) .

ذلك أنّ شعر إبراهيم الرياحي شعر تقريريّ في الغالب ، ومجازه لا يعدو التشبيه التقليديّ بالشمس والقمر ، وليث الغاب وظبية الكناس . وقد أبدى زميلنا الهادي حمّودة الغزّي ملاحظات صائبة في تحليله القصِير لشاعريّة صاحبنا . وربّما فاته أن يشير الى معرفة الشيخ الواسعة بغريب اللغة ـ وتأثّره بشعر الفحول ـ كما يظهر من أرجوزته القافيّة (ق 106) ومن معارضتَيه ليائيّة ابن الفارض .

هٰذا ، ونرجو أن يجد القرّاء في هٰذا الديوان بعض المتعة ، والدارسون مادّة صالحة لأبحاث عن هٰذا العالِم الشاعر وعن الفترة التي عاش فيها ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

تونس في 14 رجب 1409

20 فيفري 1989

محمد اليعلاوي

الصفحة الأولى من الديوان

[ديوان شعر
الشيخ إبراهيم الرّيّاحي][1]

الحمد لله ، والصلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أمّا بعد فهذا بعض ما سمحت به قريحة العالم العامل العلاّمة، والبحر الزاخر الفهّامة، شيخ الشّيوخ، وبقيّة أهل الاجتهاد والرسوخ ، القطب الكامل ، والإمام الهمام الواصل ، مَنْ عمّ صيته كلّ النّواحي ، الشيخ سيدي إبراهيم الرّياحي ، رضي الله عنه ، آمين .

حرف الهمزة

1 ـ قال أحسن الله مثواه ، وتغمّده برحمته ورضاه ، ناظماً آيات الشفاء ، وأجاد [طويل][2] :

وَيَشْفِي شفاءٌ ثم فيه شِفَاءُ ونـنـزل يَشْفيني هُدىً وشِفَاءُ
فذي ستّ آيات[3] إذا ما كتبتها لذي مَرَض مُضْنًى فهنّ شِفَاءُ

* * *

---

(1) مخطوط الرّباط ، كـ 1763 .

(2) تعطير النواحي ، 107/2 . مجمع الدواوين التونسيّة ، 47 أ .

(3) آيات الشفاء الستّ هي :

1 ـ ويشفي صدور قوم مؤمنين (التوبة ، 14) .

2 ـ قد جاءتكم موعظة من ربّكم وشفاء لما في الصدور (يونس ، 57) . =

2 ـ وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنّة مثواه ومأواه ، معارضاً الشيخ سيدي محمّد البوصيري رضي الله عنه في قوله [خفيف] :

يا رحيما بالمؤمنين إذا ما ذَهَلَتْ عن أبنائها الرُّحَماءُ

يستغيث من الوباء ، وذلك عام 1233 [1818م][1] :

يا إلاهي وأنت نِعْمَ اللّجاءُ عَافِنَا وآشفِنا فمنك الشّفاءُ[2]

إنّ هذا الطاعون نارٌ تَلَظَّى لقلوب التوحيد منها اصْطِلاَءُ

كم جموعٍ تمزّقت وقلوبٍ وسرورٍ طارت به العنقاء[3]

ودموعٍ كالدرّ تُنْثَرُ نثراً في خدودٍ تَوْرِيدُهنّ دِماء

5 ووجوهٍ مثلِ الشّموس توارت لو تراها إذا أُزيل الغطاء

[2] / أكرمت بالتراب فرشا وكانت ربّما ضرّها الهوا والماء[4]

ذاك من ذَنْبِنَا العظيمِ كما قد جاءنا عن نبيّنا الأنباءُ

يغضب الله بالذنوب فتسطو حين تطغى بوخزها الأعداء

هو لا شكّ رحمةٌ غيرَ أنّا ، يا قويّ ، عن حملها ضعفاء

10 كم وكم رحمةٍ لديك وتعطيـ ـها بلا محنة إذا ما تشاء

رَبَّنَا رَبَّنَا إليك ألتجأنا مالنا ربَّنا سواك ألْتِجَاءُ

---

3 ـ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (النحل ، 69) .

4 ـ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (الإسراء ، 82).

5 ـ وإذا مرضت فهو يشفين (الشعراء ، 80) .

6 ـ هو للذين آمنوا هدًى وشفاء (فصّلت ، 44) .

(1) التعطير 91/1 ، والطاعون حلّ بعاصمة تونس في شوّال سنة 1233/ أوت 1818 ودام عامَيْن ، ومات به خلائق كثيرة . آنظر الإتحاف ، 147/3 . والبيت المُعَارَض هو من همزيّة البوصيري .

(2) اللّجاء ، مصدر غير وارد في اللّسان .

(3) في التعطير « وكبود » .

(4) في المخطوط « الهوى » .

بـآفْـتـقـارٍ مـنّـا وذُلٍّ أَتَـيْـنَـا ... مـالـنـا عِـزَّةٌ ولا آسـتـغـنـاء

نَقْـرَعُ البابَ بـالـدّعـاء ونـرجـو ... فَـلَنِعْمَ الـدُّعَـا ونِـعْـمَ الـرّجـاءُ

أَبْـقِ يـا ربَّـنـا عـلـيـنـا وَدَارِكْ ... بـاقـيـاً قَـبْـلَ أن يَـعُـمَّ الـفـنـاء

15 [لم نكـن دون قَـوْمٍ يـونُسَ لمّـا ... آمـنـوا حـيـن بـالـتـمـتّـع بـاؤوا

قـد كشفتَ العـذاب عنهمَ لِحينٍ ... ثـمّ مـاتـوا ومـا لِخَـلْقٍ بقـاء][1]

ولـنـا سـيّـدُ الأنـام رسـولٌ ... دُونَـه الأنْـبِـيـاءُ والـشُّـفَـعَـاء

ولـنـا عـنـد ربّـنـا قِـدَم الـصّـد ... قِ ونـحـن آلْـخِـيَـارُ والـشّـهـداء

والـكـتـابُ الـعـزيـزُ نـورٌ مُبِـيـنٌ ... بـيـنـنـا تـنـجـلي بـه الـظَّـلْـمَـاء

وَلَـوَ آنّ الـعُـصـاةَ فـيـنـا فـمـنّـا ... مَنْ إذا مـا دَعَـوْا أُجِيبَ الـدّعـاء

20 ربَّـنـا جـاء مـن نـبـيّـك وَعْـدٌ ... فـي حـديـثٍ رُوَاتُـه أُمَـنَـاءُ

آرْحَمُوا مَنْ في الأرضَ يَرْحَمْكُمُ اللّـ ... ـهُ تعـالى وتُـرْحَمِ الـرُّحَـمـاءُ[2]

فَـلأَنْتَ آلأَوْلَى بـذلـك فَـآرْحَـمْ ... رَحْـمَـةً تـنـتـفـي بـهـا الـبَـلْوَاءُ

فـلقـد زاغـت الـبـصـائـر مـنـه ... وعـيـون الـورى بـه عَـمْـيَـاءُ

[مـا لـذي الحلم عنـده من ثَبَاتٍ ... لَا وَلَا صَـابِـرٌ لَـدَيْـهِ عـزاء][3]

25 ضـاق أَمْـرُ الـورى وأنت آلْمُرَجَّى ... وسـطا ذا الـوبـا وعَـزَّ الـدّواء

[3] / والكتـاب العـزيـز بشّـر بـاليُسْـ ... ـرَيْنِ في عسـرنـا ومنـك الـوفـاء[4]

وكَـفَـانَـا سَـيَـجْـعَـلُ الله يُـسْـراً ... بعـد عُسْـرٍ والـوعـد منـك لقـاء[5]

فَجَـدِيـرٌ أن يـأتِيَ الـيُسْـرُ فَـوْراً ... وحـقـيـقٌ أن تـذهـب الـبـأسـاء

---

(1) بيتان ساقطان من تعطير النواحي .

(2) في الجامع الصغير للسيوطي ، 38/1 : « آرحم مَنْ في الأرض يَرْحَمْكَ مَنْ في السماء » .

(3) بيت ساقط من التعطير .

(4) سورة الشرح ، 5-6.

(5) سورة الطلاق ، 7 . وفي التعطير : « والوعد منك وفاء » .

وصَـلاَةُ الإلاه ثـمّ سـلامٌ لـلإمـام الـذي بـه آلاقـتـداء
أحمـدَ المصـطفى الشّفيـعِ إذا مـا قـال كـلٌّ : نَـفْسِـي وإنّي بـراء[1]
إذْ يقـوم الرّسـولُ ، والحمـد شغـل فيُنَـادى : لـك آلْـهَنَـا والـرّخـاء
يَـالَـهُ مَـوْقِـفـاً عـزيـزاً تجلّت عن جميـع الـورى بـه الضـرّاء
ورضـاه الأتـمُّ يُـهْـدَى لِـصَحْبٍ بـعـد آلٍ ومـن حـواه الْـعَبَـاءُ[2]
ولـكـلّ الأتبـاع فـي كـلّ قَـرْنٍ مَـا لَـهُ بـانْقِضـا الـزمـان انقضـاء
أيّهـا المؤمنـون تُـوبُـوا جميعـا أيّهـا الـنّـاس أنـتـمُ آلـفـقـراء

* * *

(1) في التعطير : « كلّ نفس تقول إني براء » .
(2) في التعطير : « والرّضاء الأعمّ » . وأصحاب الكساء هم ، مع الرسول ، فاطمة وعليّ والسبطان .

حـرف البـاء

3 ـ وقال قدّس سرّه العزيز في حال النّوم وهو في بستانه بالمرسى في شـوّال عام 1263 [1847 م] ، ولأجل ذلك سمّاها بالنوميّة [مخلّع][1] :

الـحمـد لـلّه وهـو حسبي ... وفـاز مَنْ حَسْبُـه الحسيبُ
يـخصّ مـن شـاء لا بشيء ... إلّا بـجـودٍ لـه صـبـيـبُ
ثـم الصّـلاة عـلى الـمـنـبّـا ... وآدم طـيـنُـه لَـزِيبُ
والآل والـصّحـب والمـوالـي ... مِنْ كُلِّ مَنْ في الهدى نجيب
5 وبَـعْـدُ يـا خـالقي فـإنّي ... أدعـو بكـلّ الـذي تجيب
أن تجمع الشملَ وهو فرق ... يجمعـه المصـطفى الحبيب
الفـاتـح الخـاتم المُـرَجّى ... لِـسَـاعَـةٍ هَـوْلُهـا مُشيب
[4] / السيّـد الكـامـل المُعَلّى ... الـطاهـر الـطّيّب المـطيب
كنـز الكمـال الـذي لِكُـلٍّ ... وإنْ عـلا قـدرهُم نصيب[2]
10 مَنْ مـدحـه في الكتـاب يُتْلَى ... مـاذا عـسى يـمـدح الأديب
هـو الـرّؤوف الـرحيم جـاء ... فـي تـوبـة نصُّهـا عجيب
فيـا رؤوف ويـا رحـيـم ... مَـا غَيْـرُ وَصْلِكَ لـي طبيبُ
إن لـم تَـدَارَكْ حليفَ سقـم ... فَعَيْشُـهُ بَـعْـدَ ذَا غـريـب

---

(1) التعطير ، 39/2 ومسامرات الظريف ، 159/1.

(2) في التعطير : « قدره » . وفي مجمع الدواوين ، 2 ب : غلا بالمعجمة .

هـذا بكـائي بـدا مـديحـا وذا آشتيـاقي وذا النحيـب[1]
15 عليـك من ذي العـلا صـلاةٌ من عـرفهـا مِسكُنـا يـطيبُ[2]
كـذاك يـصـحبُـهـا سـلامٌ غُصنُ الـدوام لـه رطـيبُ[3]

* * *

4 ـ وقـال[4] رضي اللّه عنه وعنّـا به، مؤرّخـا بناء السّقـاية التي أنشـأها الـوزير يـوسف صاحب الطابع المسمّاة ببير الجديد بجبل المنار[5]: [رجز]

ذَا مَـوْرِدٌ جـاد به راجـي ثـوابِ ربِّـهِ
يـوسفُ خوجـةُ الـرضيّ صـاحب طابـع البهيّ[6]
فَخْـرِ آلْعُـلاَ حـمّـودةٍ بـاشـا، فَـذَا من سَيْبِـهِ
مـن عـبـدليّـةٍ زهـا بـطيـبـه وقُـرْبِـهِ
5 بـحسـن نيّـةٍ ومِـنْ إخـلاصـه فـي رَبِّـهِ
جـازاه ربّـي جَـنّـةً وكَـوْثـراً فـي شُـرْبِـهِ
يَـا وَارِداً فَـآدْعُ وَقُـلْ: تـاريخـه: «بَشِّـرْ بِـهِ»[7]
1209

* * *

5 ـ وقال تغمّده الله برضوانه ، مجيزاً قول الفقيه الشيخ القرشي السّلاوي [بسيط] :

ومجلسٌ رائـقٌ من فـضله سُـقِيَـتْ أرواحُنـا بـرحيـق العـلم والأدبِ

---

(1) في التعطير :
هـذا بـكـاءُ بـدا مـديـحـا وذا اشـتـيـاقٌ وذا نـحـيـب .
(2) في الديوان : غصن الدوام لها رطيب وهو عجز البيت الموالي ، والإصلاح من مجمع الدواوين .
(3) زيادة من التعطير ، 40/2 ، وفيه : « يصحبه » . والإصلاح من المسامرات ومن المجمع .
(4) الأبيات في التعطير ، 8/1. وكنّش الطواحني رقم 18763. وفي المجمع ، 24ب .
(5) جبل المنار ، يعرف اليوم بربوة سيدي بوسعيد .
(6) البِهيّ ، باءٌ مكسورة ، والصفة من البهاء ، بَهيّ بالفتح ، فهذا سهو من الشيخ .
(7) بشّر به : بحساب الجمّل ، 1209هـ/ 1793م . وفيها مجانسة مع القافية السابقة .

إلى آخر الأبيات ، مادحاً مولاي عبد السلام أخا السلطان مولاي سليمان ، وواصفاً مجلسه ، وذلك في سفره إلى مدينة فاس عام 1804/1218 [1] :

[5] / والوُرقُ مفتَنَّةُ الألحان راقصة والزّهرُ مبتسمٌ عن ثغره الشَّنِبِ
لاَغَرْوَ إن رَقَصَتْ أشباحُنا طَرَباً وجُرَّ أَذْيَالُنَا فَخْراً على الشُّهُبِ[2]
فإنّما نحن عند الطّاهر النّسب آبٍ نِ الطّاهر النّسب ابنِ الطّاهر النّسب[3]

* * *

6 ـ وقال رضي الله عنه وأرضاه ، مجيباً الشيخ مصطفى بن عزّوز[4] رضي الله تعالى عنه ، عن جواب [كتاب] أرسله إليه عند قدومه إلى محروسة تونس عام 1849/1265 [كامل] :

جاء الكتاب من الحبيب مُبَشِّراً بقدومه يا مَرْحَباً يا مَرْحَبَا
قَدْ رَدَّ لي عَهْدَ المسرّةِ مِثْلَمَا بقميص يُوسُفَ رُدَّ ما قَدْ أُذْهِبَا
أُهْدِي إليك تحيَّةً مِسْكِيَّةً يا مصطفى يا منتقى يا مجتبى
مُسْتَدْعِياً منك الدّعاءَ وأنتَ في حالٍ تراها للإجابة أَقْرَبا[5]

* * *

7 ـ وقال ، أحسن الله نزله ، ورفع عمله ، مخاطباً شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث ، في شأن رجل عُزِل من خطّة الإشهاد يسترجعه [كامل][6] :

---

(1) هذه المساجلة بسلا منقولة في التعطير ، 32/1 . وفي المجمع ، 15 ب نُقلت أبيات الشيخ القرشيّ الثلاثة ونسبت خطأ إلى إبراهيم الرياحي .

(2) في التعطير : « رقصت أرواحنا » .

(3) وكذلك قال المتنبّي في مدح القاضي الخصيبيّ :
العارضُ الهتِنُ بنُ العارضِ الهتِنِ ابن العارض الهتنِ بن العارضِ الهَتِنِ

(4) هو شيخ الطريقة الرحمانية . والأبيات في التعطير ، 44/2 والمجمع ، 36 ب .

(5) في التعطير ، 45/2 : « مستودعاً منك . . . » .

(6) مجموعة ح.ح. عبد الوهاب رقم 18841 والتعطير ، 107/2 ومجمع الدواوين ، 43 ب . والعدل المعزول هو محمّد المعروفي . وشيخ الإسلام محمد بيرم الثالث له ترجمة في الإتحاف ، 54/8 .

يَـا مَنْ إذا عضّ الـزّمـان بِنَـابِـهِ حُـطَّت رِحـال القصـد في أَعْتَـابِـهِ[1]
إنّ الـذي حـمـل الكتـاب إلَيْكُمُ مِمّن سقـاه العَـزْلُ مَـطْعَمَ صَـابِـهِ
وبـه تَـعَـذَّرَ قُـوتُـهُ إذ لـم يـكـن يـدري سـوى التبـريـز من أسبـابِـهِ[2]
ولـه جِـوَارٌ حَـجَّـني بـحُـقُـوقـه وَلَكَمْ صَلَى الأَحْشَـا بِنَـارِ عِتَـابِـهِ
5 حتّى رسى هيـجـانُـه في قـدركـم وإليكمُ حسنُ الـظّنـون مشى بِـهِ
فأتى وقال : آكْتُبْ لمن عجـز الورى أن يـظفـروا لِعُـلاَهُمُ بِـمُـشَـابِـهِ
فكَتَبْتُ مُـلْتَـذًّا بِشَـهْـدِ خـطابكـم مَـعْ أنّـني راجٍ لِـنَـيْـل ثَـوَابِـه
واللّه يُبْقِي مـجـدَكم حَـرَمـاً لـه عِـزٌّ بـه يـقف الـعُـفَـاةُ بـبـابـه[3]

* * *

8 ـ وقـال رضي الله عنه وأرضـاه ، وجعل الجنّـة مأواه ، يـرثي الشيخ أحمـد السهيلي رحمه الله في شوّال المبارك عام 1222/ ديسمبر 1807 [كامل] :

[6] / قَـدِّمْ لأهـوال المـآب مَتَـابَـا وآعمَلْ فما التسويف منك صوابا[4]
فـإلى متى والعُمْـرُ لَمْحَـةُ بَـارِقٍ، تلهـو ويُـوعِـظُكَ النّصيحُ فتـأبى
القَبـرُ حَسْبُـكَ لَـوْ تُـوَفَّقُ وَاعِـظاً والمـوتُ يكفي لَـوْ عَلِمْتَ مُصَـابَـا
وإذا غفِلْتَ فـإنّـه لـك مُـوتِـرٌ قَـوْساً متى تَـدْعُ الفناءَ أجـابـا
5 عَمَّ الخَـلاَئِقَ حُكمُـهُ، يَـا لَيْتَـهُ لـو كـان يَمْنَعُ بـالبقـاء جنـابـا!
كجَنـابِ أحمـدِ السُّهَيْلِيِّ الـذي لَبِسَ المحـامـدَ في الـورى أثـوابـا
وَهُـوَ الـذي إذْ خـافَ فتنـةَ وجهِـه ضـربَ الحياءَ على الجمـال نِقابـا

---

(1) في التعطير : « حطّت رحاب » .
(2) في التعطير : « التبرير » بالمهملتين . والتبريز قد يعني بها الشيخ الخروج (للإشْهاد) طلباً للرزق .
(3) في التعطير : « العداة » . والعُفَاة : المحتاجون والمتوسّلون .
(4) في التعطير ، 73/1 : « لأهوال المآل » وفي المجمع ، 40أ : المآب كما في الديوان . ونصب صواباً بما العاملة عمل ليس .

خَلْقٌ يَـوَدّ البـدرُ نَـيْـلَ تَمَـامِـهِ وخَـلاَئِقٌ تَسْبِي العقـولَ عُجَـابـا

غَـارَتْ من الـدّنيـا عليـه مَنِيَّـةٌ شَـوْقـاً لـهُ فـاستعجَلَتْـهُ شبـابـا

10 يـا رَبِّ من وافـاك أَحْـوَجُ [بـائس ولِغَيْـرِ بَـابِـكَ لا يسـوق رِكَـابَا

فَاجْعَلْ له من فَيْضِ عَفْوِك] مَـوْرِداً أشْهى من العَذْب الفُرَاتِ شـرابا[1]

وآقْبَـلْ مقـالـةَ من دعـاك مُؤَرِّخـا: نَـوِّلْـهُ في أعلى الفسيح ثـوابـا[2]

1222

* * *

---

(1) في التعطير خلط بين البيتين في بيت واحـد . وما بين المربّعين زيادة من المخـطوط . وفي المجمع : قـد وافاك .

(2) يستقيم الحساب باعتبار ألف القصر من « أعلى » ألفا قدرها : واحد .

حرف التّـاء

9 ـ وقـال قدّس سـرّه العزيـز معارضـا [قصيدة] القـاضي عياض رضي الله عنـه التي يمدح بها الرّوضة النبويّة على صـاحبها أفضـل الصلاة وأذكى التحيّـة ، وعلى آله الأنجم البهيّة [كامل][1] :

يـا رَوْضَـةَ الـرِّضْـوَانِ والنَّفَحَـاتِ ومحلَّةَ الـرَّحَمـات والحُـرُمـاتِ
شَـوقي إلى مَـرْآكِ شَقَّ جـوانحي فشقِيتُ بين تَصَعُّـدِ الـزَّفَـرَاتِ[2]
حتَى ظللتُ من الصّبـابـة عِبْـرَةً لأولي البصـائـرِ سـائِـلَ العبـراتِ
يَـا مَنْـزِلَ التنـزيـل هـل أنـا نَـازِلٌ بـك مَنْـزِلاً يَشْفي من الحسـرات
5 وأُرَى لِـقُـرْبِـكِ لائمـا ومُـقَبّـلاً ومُعَفِّـرَ الـوجنـات في الجنّـات
[7] / وَمُـرَدِّداً مـا بين دُورِك نـاظـري في ناضر العَـرَصات والحُجُـرَات[3]
وجميـل ظنّي في قـطينـكِ قـاطنٌ عـارٍ مـن الأَوْهـام والشُّبُـهـات
يا مصطفى يَا خَيْرَ من وَطِئَ الثّرى يـا بَـاهِيَ الحـركـات والسَّكَنَـاتِ
وَحَيَـاتِـكَ العُـظْمى لأَنْتَ مؤَمّلي يَـا مَلْجَئِي فـي مِيتتي وحيـاتـي
10 وصـلاةُ ربّـك والخـلائقِ كـلِّهِمْ تغشـاك في الخطَرَاتِ واللَّحَظات

* * *

---

(1) التعطير ، 108/2 والمجمع ، 4 ب . وقصيدة القاضي عياض مطلعها :

يـا دارَ خيـرِ المـرسَلين ومَـنْ بـه هُـدِيَ الأنـامُ وخُصَّ بـالآيـات

(2) في التعطير : « الى رؤياك شوق » .

(3) حجّ الشيخ مرّة أولى سنة 1826.

10 ـ وقال سقى الله ثراه بوابل رحمته ورضاه ، لمّا اتّفق أهل المجلس الشرعي على صحّة حُبُسٍ من أحباس الشيخ سيدي أبي الحسن الحلفاوي وانفرد بالمخالفة ، وقد أبدع [كامل][1] :

جاء الشّيوخ مجلّياً ومصلّياً ومسلّياً في حلبة الأثبات[2]
وأتيتُ من بَعْدِ الثلاثة تالياً مستغفراً من غافر الزلّات

* * *

11 ـ وقال قدّس سرّه يرثي العلاّمة المدرّس الشيخ محمّد الفاسي ، والتزم فيها إلزام ما لم يلزم [كامل][3] :

شَرَفُ الورى يا دَهْرُ كيف هَدَمْتَهُ وقصدتَ عَمْداً للهُدَى فردمتَه[4]
يا لَيْتَ أنك والمُنى ممنوعةٌ تَلْوِي على نَقْضِ الذي أبرمتَه
لم تَأْلُ في سَوْقِ الخِيَار إلى الرّدى يا ليت شعري هل بذا أكرمتَه؟
أَفَلَمْ يَغِبْ بغروب شمسِ محمّدٍ فَضلٌ سما عن أن تكونَ علمتَه؟
5 والعلم لو كانت لقلبك رقّة لبكيتَه من بعده ورحمتَه
لاَغَرْوَ إنْ تُنْثَرْ لآلِي أَدْمُعٍ وبِفَقْدِهِ عَقْدُ العلوم فصمتَه
يا مَنْ الى نور الكتابِ وسرِّه يسعى لقد أَخْفَقْتَ فيما رُمْتَه :
كشّافُ أسرار البلاغة قد مضى ولسانُ تلخيص البيان عدمتَه[5]

---

(1) مجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 والتعطير ، 118/2 ، والمجمع ، 45 أ . والشيوخ الثلاثة هم : محمد بيرم الرابع ومحمد ابن الخوجة ومحمود باكير .

(2) المجلّي والمصلّي والمسلّي في السباق : هو الفرس الأوّل فالثاني فالثالث ، وفي المجموع : مسلّيا وفي التعطير : مُسَلِّما . والتالي هو الرابع .

(3) التعطير ، 85/1 والمجمع ، 37 أ . وتوفّي الشيخ الفاسي في ربيع الثاني 1232/ فيفري 1817 ، وخلفه الشيخ إبراهيم الرياحي في التدريس بجامع صاحب الطابع . انظر الإتحاف ، 102/7.

(4) في التعطير : « فثلمته » .

(5) تورية بالزمخشري صاحب الكشاف والقزويني صاحب التلخيص .

مَنْ للكلام إذا بَدَتْ يا فخرَه ... مِن مُبْطِلٍ شُبُهٌ به كلَّمتَه؟[1]

أَرْهَقْتَهُ، وهُدَى الإلٰه أَقَمْتَهُ ... ومتى أتى بوساوسٍ متفلسفٌ

لدرى بأنّ العِلْمَ ما عَلَّمتَه ... وَلَوَ انّ أفلاطونَ ساعده اللّقا

[8] / يا مُحْيِيَ الإحيا لِيَهْنَكَ مَغنماً ... عُمُرٌ بإحياء العلوم ختمتَه[2]

يا مُفْرَداً جَمْعُ الكلام نَظَمْتَه ... لهَفي عليك ولستُ فيه بمُفْرَدِ

غَرَبَتْ فيا أسفاً عليك ضرمتَه ... شمسٌ بفاسٍ أشرقت وبتونسٍ

وثباتَ حِلم في الأنام عزمتَه ... قَسَماً بمن أعطاك خلقاً كاملا

وبَقِيتَ حيّاً ما تشاءُ أقمتَه ... لو تُفْتَدَى لَفَدَاكَ مَنْ تحت السّما

خَيْرٌ وأَبْقَى والذي قدّمتَه ... لكنّ ما تلقاه من حُسنِ القِرى

وجميل ظنّك بالرّجا أحكمته[3] ... فله دَعَا داعي الورى فأجبتَه

بجميل ظنّك في الضمير كتمتَه ... واللّهَ أرجو أن ينيلك كلّ ما

ومؤرّخٌ: وَارَمْسُ كيف ضَمَمْتَه![4] ... وَحَرٍ لمجدك أن يناديَ زائرٌ

***

(1) تورية بالفخر الرازي . وفي التعطير جاء البيت على هذا النحو :

من للكلام إذا يدوّن فخره ... من مبطل شبه الضلال كلّمته

ولا وجه لقراءة مقنعه هنا ولا هناك .

(2) تورية بإحياء علوم الدين للغزالي .

(3) في التعطير : « فلكم دعا . . » .

(4) حَرٍ وحريّ : خليق وجدير .

12 ـ وقال نفعنا الله به يرثي شيخ القرّاء الشيخ حمّودة الهيشري أواخر ربيع الأوّل عام 1230 [كامل][1] :

الموتُ كَمْ فَجَع الورى وثباتُه ... إن لم يَثِبْ فَبِمَرْصَدٍ سطواتُه

كيف آغترارُك بالحياةِ، وحَبْلُهَا ... بيد المنون مدى الدّهور بَتاتُه[2]

أوَليس في درْج القرون مواعظٌ ... وشتات شَمْلٍ ما يقرّ شتاته؟[3]

وكفى بموت العالمين مُنَبِّهاً ... ينهى فتى نبضت به عَزَماته

5 فَتَزَوَّدِ ٱلتّقوى وأيّة خلّة ... يسعى لها مَنْ قد أريد نجاته

وتأمّل الدّنيا بأكرمَ عُمِّرَا ... عن أن تمرَّ بها سُدىً أوقاته[4]

كالهيشريِّ المرتضى حمّودةٍ ... ذاك الإمامِ المنتقاةِ صفاتُه

فخر المحابر والمحارب زينة الخُـ ... طباء كم صَدَع النهى زجراته[5]

صدر المحافل حلية القرّاء كم ... سطعت بجوّ فؤاده آياته

10 لم يَأْلُ في طلب الرّضى من ربّه ... فتَشَابَهَت في قصده حركاته

ثم استجاب لربّه لمّا دعا ... ومراده من فضله مرضاته

[9] / فأَنَالَهُ أَمَلاً وفي تاريخه : ... جادت عليه بوبلها رحماتُه[6]

1223

* * *

---

(1) مجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 والمجمع ، 41 أ ، وفيهما : سنة 1223 وفي الديوان 1230.

(2) البتات والبتّ : القطعُ .

(3) في الديوان : ما نظير . والإصلاح من مجموع ح.ح. عبد الوهاب والمجمع .

(4) قراءة هذا البيت عسيرة . وهو ساقط من المجموع وملحق بهامش المجمع .

(5) في المجموع : « زينة الخطّاب » . وفي المخطوط « وكم صدع . . . ».

(6) حساب الجمّل في هذا التاريخ هو :

جادت : 3 +1 +4 +400 =408. عليه : 70 +30 +10 +5 =115.

بوبلها : 2 +6 +2 +30 +5 +1 =46. رحماته : 200 +8 +40 +1 +400 +5 =654. والمجموع 1223 ، لا 1230 كما جاء في التوطئة .

حرف الجيم

13 ـ وقال قُدّس سرّه ، مخاطباً الشيخ محمد القرشي السلاوي حين دخل عليه في سفره للمغرب عام 1804/1218 [بسيط][1] :

قد أَنْعَمَ السيّدُ القُرْشي بِزَوْرَتِهِ ... فيا فؤادي بذاك المنظر ٱبْتهِجِ

أما رأيتَ بدورَ العلمِ طالعةً ... في أُفْقِه بَيْنَنَا تُغْنِي عن السُّرُجِ ؟

* * *

14 ـ وقال رضي الله عنّه وعنّا ، مجيباً الشيخ ٱبن سراج المدني[2] عن بيتين[3] مدحه بهما في سفره لحجّته الأولى عام 1826/1241 [كامل] :

قَسَماً بمكّة والمشاعرِ كلِّها ... لهي السَّنَا وسراجُها ٱبنُ سراج[4]

* * *

15 ـ وقال مخاطباً بعض المقاديم العيساويّة[5] ويهجوهم [طويل] :

بُلينَا بِقوْمٍ خالفوا أَوْضَحَ الحُجَجْ ... وحادُوا عن النّهج القويم إلى عَرَجْ

---

(1) التعطير ، 32/1 ـ مسامرات الظريف ، 175/1 . مجمع ، 27 ب .

(2) في التعطير ، 103/1 : ابن سراج المكّاوي . وفي المجمع 31 أ : أحد علماء المدينة ، فأضرب عن المدينة ، وعوّضت بمكّة .

(3) البيتان في التعطير . والشطر الأوّل محرّف :

ما زال بابك مكة مفتوحة ... وتسرابها فوق الجباه رسوم

حتى يُنَادَى في البلاد بأسرها ... هذا المقام وأنت إبراهيم

(4) في المخطوط : المُنا . والتصويب من التعطير . والسّنى والسّناء : البرق والضياء .

(5) المقاديم : جمع غير قياسي لمقدّم الزاوية أي وكيلها الساهر على مريديها .

وفي زعمهم أنّ الغنى ذا قربةً ورقصٌ بتصفيقٍ وصَعْقٌ بِمُخْتَلَجْ
وهل كان في الصّدر القديم صنيعُكُم وقد سمِعَت آذانكم من بها لَهَجْ . . .

ومنها :

. . . صدقتُمْ فانّ السامريّ إمامُكم وشَيْخُكُمُ لاَ شكَّ فيه ولا حَرَجْ . . .

ومنها :

. . . ويعلوه طربوش كحمرة خدّه وما ذاك إلاّ من [. . .] هرج الهرج[1]

(1) سقط الشطر في المخطوط ، وأخذناه من مجمع الدواوين ، 10 ب ، وهو بعد ناقص

حـرف الحـاء

16 ـ وقـال رضي الله عنـه وعنّـا بـه ، مخـاطبـاً تلميـذه رئيس الكتّـاب الشيـخ محمّـد الأصرم[1] حين ألبسه مخـدومه المشيـر الأوّل[2] النظام[3] في عيـد النحر من عـام 1841/1257 [طويل] :

بقلبي على زيّ الـصّليـب قـروح فمـا حَـالُـه إن كُنْتَ فيـه تلوح؟
[10] / بُلِينا وكَمْ، لكن كفى الصّبر شرّها وهٰـذي لهـا يغدو الأسـى ويـروح
فـلو للفِـدا قـلتُ البـريّـة كـلّهم فـإنّ الـورى جسمٌ وأنت لـه روح

* * *

17 ـ وقال قدّس سرّه ، مقرّظاً سفينة[4] لصالح خوجة التركي [سريع] :

يـا رَاكِبَ الأخطارِ يبغي العُـلاَ وسـالكاً في المنهـج الواضـح
آرْكَبْ بحـ[ـا]رَ العلم نحو المنى وهــذه سـفينـة الـصَـالـح
فيهـا من الآداب مـا لم يكن في غيـرها من مقصـدٍ نـاجـح
خـواجـةُ صـالـحُ أبـدى بهـا نصـائحـاً لم تـأت من مـازح
5 لا زالتِ آلأيّـامُ تُبـدِي لـنـا عجـائبـاً من ذهنـه السّـابـح

* * *

---

(1) هو محمد بن محمد بن الأصرم ، تولّى رئاسة قلم الإنشاء في عهد الأمير حسين باي الثاني وحظي بتقدير المشيـر الأول أحمد باي الذي أنعم عليه بوسام الافتخـار ، وتوفّي سنة 1861/1277 . انظر ترجمته في الإتحاف ، 115/8.

(2) هو المشير أحمد باي الأوّل (تولّى الملك من 1837 الى 1855) .

(3) المقصود بالنظام ، وسام « نيشان الافتخار » ، وكأنّ الشيخ هنا يستنكره ؟ وفي المجمع 26 ب سمّـاه « زيّ النصارى » فلعـلّ هذا الوسام يقتضي لباساً إفرنجيّاً .

(4) مجمع ، 43 أ. والسّفينة : دفتر أو سجل أو مجموع أوراق ملفوفة تكتب عليها متون العلم والأشعار.

حرف الـدّال

18 ـ وقال قدّس سرّه العزيز ، مخاطباً الحضرة الإلاهية [بسيط][1] :

آرْحَمْ جنينيَ يـا رحمـان سـائـله ... وكم رَحِمْتَ ، ولم تُسْأَلْ ، بلا عـددِ
هـذا الظّلام سَجَـا والنّاسُ قَـدْ رقدوا ... وقـد بسطتُ رجـائي إذْ مَدَدْتُ يـدِي
فـآجْمَعْ مُفَـرَّقَ شملي بالحبيب فقـد ... طال المَدَى ولهيبُ الهجر في كَبِدِي
ما خاب راجوك من قبلي فكيف أُرَى ، ... يا فائِضَ الجُودِ ، من جدواك لم أَرِدِ

* * *

19 ـ وقال رضي الله عنه وأرضاه [طويل][2] :

على بـاب خَيْـرِ الخلق أوقفني قصـدي ... لعلمي بـأنّ المصـطفى واسـعُ الـرفـد
وقـد جِئْتُـهُ لَا عِلْمَ عنـدي ولا تُقىً ... ولكنّ كـلّ الخبث يـا سيّـدي عنـدي
فيَـا مَنْ وجـود الكـائنـاتِ بـأسـرهـا ... بـه ، أتـرى غَيّي ، وعنـدكمُ رشـدي ؟
ونفحـة جـودٍ منـك يـا أَجْـوَدَ الـورى ... لَعَمـرِيَ وَجْـدُ مَا لَـهُ بعـدُ مِنْ فقـدِ
5 تـوسّلت بـالصّـدّيق خلِّـك والـذي ... مِـرَاراً أتى التنـزيـل وِفْقَ الـذي يُبْـدِي
[11] / وعثمـان ذي النّـورين مَن حَيِيَت لـه ... ملائك فآسْتَحْيَيْتَ من وجهه الـوردي[3]

---

(1) التعطير ، 108/2 . وهذه المقطوعة مفقودة من المجمع .

(2) قال هذه القصيدة عند زيارة قبر الرسول (ﷺ). التعطير، 60/2 ومسامرات الظريف! 157/1 والمجمع ، 5 أ .

(3) في المسامرات من حييت فاستحيت . وفي التعطير : من حيت فاستحت . وإنما يلمّح الشيخ الى منقبة من مناقب عثمان (رضه) يلخصها حديث الرسول ﷺ في شأن حياء عثمان : ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟ (أسد الغابة رقم 3583) وانظر : مسند أحمد 71/1 و 155/6 .

وحمـزة والعبّـاس والصحب كلّهم ولا سيّمـا آلٍ خصـوصـاً ذوي وِدِّ :
أَبَـا حَسَـنٍ بـابَ العلوم ومن أتى بنـوه بحُـوراً عَـذْبُهـا دائمُ المَـدِّ

بهم جئتُ يـا خير الـورى متوسّـلاً أرى أنّني أَلْحَحْتُ في مطلبي جهدي
10 وحـاشـا لـهم أنّـي أُخِيبُ وقـد أتى بـأسمـائهم نـظمي فـرائـدَ في عِقْـدِ

أَدَرْتُ بهم أَفْـلاَكَ أمـري كمـا تَـرى بُـروجـاً ولكن كلُّهـا مَـطْلَعُ السَّعْـدِ
هُـمُ حَسَـنٌ ثـم الـحسـينُ ونـجلُه عليٌّ الـذي زان العبـادة بـالـزّهـدِ

ويَـاقِـرٌ عـلم وهـو والـدُ جعـفـرٍ أبي الكـاظم القرم الهُمـامِ بـلا جَحْـدِ
عـليّ الـرّضـا ثم الـجـواد مـحمّـد عليّ التقى والعسكـريُّ أبـو المهـدي

15 وسيّـدنا المهـدي الـذي سوف تنجلي بـه ظلمات ٱلْجَـوْرِ والزّيْـغِ عن حـدِّ[1]
فهـا أنـا مُـدْلٍ يـا كـريمُ بجـاههم وحـاشـا لـهم أنّـي أُقـابَـلُ بـالـرَّدِّ

وصـلّى عـليـك اللّهُ مـا أنـت أَهْـلُهُ وَسَـلَّمَ تـسـليمـاً تَـقَـدَّسَ عـن عَـدِّ
وآلـك والأصـحـاب طـرّا وتـابـع وبعـدُ فَـذَا ذُلّي لجـدواك يَسْتَجْـدِي

***

20 ـ وقال نفعنا الله به شاكياً الجناب المصطفى ﷺ بتلميذه القاضي الشيخ محمد البحري بن عبد الستّار في حجّته الثانية رضي الله عنه وذلك عام 1837/1253 [طويل][2]:

---

(1) عدّد الشيخ في هذا التوسّل الأئمة الاثني عشر عند طائفة الشيعة الإمامية ، ممّا يضفي على المدحة نفحة شيعيّة ، ولكن توسّله بالشيخين ـ البيت 5 ـ وبعثمان ـ البيت 6 ـ يمنع من هذا التأويل . وقد كثر عند الشيخ تعظيم آل البيت ، وذكر السّبطين والأئمة من بعدهما ، ممّا يشعر بأن أهل تونس ، والمغرب بوجه عامّ ، يكنّون احتراماً خاصّاً لعترة الرّسول ﷺ وهم لا يزالون على ذلك .

(2) مسامرات الظّريف ، 193/1 والتعطير ، 136/1 والمجمع ، 5 ب . وانظر تفاصيل الخصومة مع الشيخ البحري في الإتحاف ، 214/3 ، وفي مسامرات الظريف ، 191/1 ، وفي شجرة النور الزكية ، ص 388.

إلبـك رسـولَ الله جئتُ من البُعْـدِ أبُثُّكَ ما بـالقلب من شدّة الـوَقْـدِ[1]
بـغى وطـغى مـستكبـراً مـتشبـثـاً بِـوَهْمٍ يقـودُ النّفسَ للخـطإِ المـردي
وصـار رقيبـاً مبغضـاً متـجسّسـاً يُقَصِّرُ طـولَ اللّيـل بـالـردّ والنقـد
وعبـدُك ـ يـا خيـرَ البـريّـةِ ـ غـافـلٌ ظننتُ بـه خَيْـراً لِـمـا مـرّ من ودِّ
5 تـرفّـع للدّنيـا بخفضيَ جـاهـداً مُعَـانـاً بجهّـال عـريّين عن رشـد[2]
وبـالغ في خفضي إلى أن غـدا على لِسـانِ الـورى يُتْلى بـلا جحـد[3]
[12] / ولم يَـرْعَ أيّامـاً يـرانيَ شيخَـه ومُـرْشِـدَه الهـادي ومُنعِمَـه المُهْـدي
ولا خـاف لَوْمـاً في القـطيعـة لا ولا عِقَاباً من المَـوْلَى على ناكث العهـد
فهـذا ، رسولَ اللّه ، إجْمَـالُ مَكْـرِهِ وتفصيلُه يـا سيّدي ليس في جهـدي
10 ألا ، يـا رسـولَ اللّه ، هـذا تـذلّلي إليـك فَخُذْ بـالثأر يـا منتهى القَصْـدِ
ألا ، يا رسولَ اللّه ، ضيفُـك سائـلٌ فهل ضَيْفُ أهلِ الجود يُكْرَمُ بالطّرد ؟
ألا ، يـا رسولَ اللّه ، بَـرِّدْ جوانحي بـدائـرةٍ تسعـى إليـه بـلا بُـعْـدِ
عليك صلاةُ اللّه ، يا منتهى الرّجا ، وأزكى سـلامٍ دُونَـهُ فَـوْحـةُ النَّـدِّ
[وآلـك والأصحـاب طـرّاً وتـابـع وبعدُ فذا ذلّي لجدواك يستجدي][4]

* * *

21 ـ وقال رضي الله عنه وعنّا به، يمدح سلطان المشرق وصاحبه الغـازي في سبيل الله محمـود ، حين وفد عليـه بإسـلامبـول وذلـك عن إسقـاط الخـراج ، عـام 1838/1254 [بسيط][5]:

---

(1) في التعطير : « من ألم الوقد » .

(2) في المخطوط « بأنذال » ، وجهّال ، قراءة التعطير .

(3) في التعطير : رؤوس الورى .

(4) هذا البيت ختمت به أيضاً القصيدة السالفة ، وهو ساقط من المسامرات ومن التعطير ومُثبت في المجمع .

(5) مجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 ـ مجمع ، 16 أ ـ مسامرات الظريف ، 198/1 ـ الإتحـاف ، 23/4 .
وقد أوفد المشير أحمد بـاي الأول إبراهيم الـرياحي سفيـراً الى البـاب العـالي السلطان محمود خـان في إعفاء الإيالة التونسية من الضريبة السّنوية التي كانت مفروضة عليها للخزانة العثمانية .

آلعزّ باللّه للسّلطان محمودِ ... آبن السّلاطين محمودٍ فمحمودِ

خليفةِ اللّه ما أعلاه من شَبَهٍ ... بآدم ونبيّ اللّهِ داوود[1]

من آل عثمانَ ساداتِ الملوكِ ومَنْ ... جاؤوا كعقدٍ من الياقوت منضود

سادوا الأنام وشادوا الدين وافتتحوا ... مِنْ كلّ ما فيه خَيْرٌ كُلَّ مسدود[2]

5 هُمُ السلاطين ما ذرّت ولا غربت ... شمسٌ على مثلهم في نصر توحيد

وجاء سلطانُنا المحمود بَعْدَهُمُ ... بكلّ رأي من الآراء مسعود

وربّما جهل الإنسانُ مقصدَه ... فجاء فيه بِقَوْلٍ غَيْرِ مقصود[2]

لم يُعْطِهِ اللّه ملكا في خليقته ... إلّا لمعنىً من الأغيار مفقود

دانت لدولته الأعناقُ خاضعةً ... من كلّ ذي والِدٍ منهم ومولود

10 تخشى السلاطينُ من بُعْدٍ بَوَادِرَهُ ... لِمَا له من جلالٍ غَيْرِ مجحود

وكلُّ باشا وإن جلّت مكانتُه ... فليس غير فتىً في الرقّ مصفود

يا عزّ دين الهدى إن يخش منقصة ... بكلّ قَرْمٍ من الإسلام صنديد

وقوة من لدن ربّ العلا بهرت ... برّاً وبحراً بنظمٍ غير معهود

آلْعُجْمُ تشهدها والعُرْبُ تعلمها ... شرقاً وغرباً من البيضان والسّود

15 [أنت المُذِلُّ لِعُبّادِ الصّليب وإن ... لوى الزّمان بإنجازٍ لموعود

لا يُخْلِفُ اللّهُ في نَصْرٍ مَوَاعِدَهُ ... لكن إلى أجلٍ في العلم معدود][3]

أنت المُؤَمَّلُ في كلّ المُهِمِّ فمَنْ ... أتى لبابك قصداً غيرُ مطرود

وقد أَتَيْتُكَ من أقصى البلاد وفي ... ظنّي الجميل بلوغي منك مقصودي

دامت معاليك للإسلام مَرْحَمَةً ... وللطُّغَاةِ عذاباً غَيْرَ مردود

---

(1) في الإتحاف : « بالصّالحين وبالنبيّ داوود » .

(2) بيت ساقط من الإتحاف .

(3) بيتان ساقطان من الإتحاف .

20 بِحُرْمَةِ المصطفى أهدى الإلاهُ له أزكى تحِيَّتِهِ من غير تحديد
تَعُمُّ أتباعَه في الدين قاطبةً والخلفاءَ الى السلطان محمود

* * *

22 ـ وقال قدّس سرّه ، يصف بلاد اسلامبول [كامل] : [1]

بَلَدُ الخلافة في الجمال فريد ولِشأنِه عَرْضٌ مداه بعيد
مَنْ ظنَّ يُحْسِنُ وصفَه فكأنّما نَحْوَ الصّعودِ الى السّماء يريد

* * *

23 ـ وقال برّد الله ثراه ، وتغمّده برضاه ، مهنّئاً الأمير عثمان بالولاية ، وقد انعقدت له ليلة عيد الفطر من عام 16/1229 سبتمبر 1813 [طويل] [2] :

لِباسُ هَنَا الدّنيا عليك جديدُ وكَيْفَ ويومَ لاح سعدُكَ عيدُ
ولله فيما قد حباك لطائف قضت باقتراب الأمر وهو بعيد
يُساقُ إليكَ المُلْكُ عَفْواً وإنّما يُساقُ سرورٌ للأنام مديد
أتاكَ على طَوْعٍ لأنّك أهلُه وقد قال : ﴿ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [3]
5 ولو زاغ لم يَمْجُدْ وجاءكَ راغِماً وأنتَ بكلتا الحالتين مجيد
وكيف يزيغ الملك عنك ، وأنت مَنْ له طارف في فخره وتليد ؟
[14] / جبينُك وضّاحٌ وكَفُّكَ وَابِلٌ وسيفُك مرهوبُ الغرار حديد [4]
تَمايَلَ أملاكٌ مَضَوْا وثناؤُهم عظيمٌ على مرّ الزّمان يزيد
تَناسَقَ مولودٌ كريم ووالدٌ وعمٌّ وجدٌّ في الملوك فريد [5]

---

(1) مسامرات الظريف ، 198/1 ، والإتحاف ، 24/4 ، مجمع ، 17 ب .
(2) مجمع ، 19 ب . وانظر خبر ولاية عثمان باي في الإتحاف ، 91/3 . (16 سبتمبر ـ 21 ديسمبر 1814) .
(3) سورة قٓ ، 23 .
(4) الغِرارُ من السيف : حده .
(5) إشارة الى والد عثمان ، علي باي الثاني (تولّى الملك من 1759 الى 1777) ، وعمّه محمد الرشيد باي =

10 نِظامٌ تَوَدُّ الزُّهْرُ لو حَظيت بـه ... ويغبط فيه الدرّ وهو نضيد

ملوكٌ مضت وهي السّعود ولم يزل ... لنا مُسْعِدٌ من نَسْلِهِمْ وسعيد

فَلا نَأْسَ إذْ حمّودةُ البَدْرُ قد مضى ... فعثمان فيه المبتغى ومزيد[1]

مَليكٌ إذا أبصرتَ غُرَّةَ وجهِه ... كفاك الحيا من أن يقوم شهيد

تغار الجبال الراسيات لحمله ... إذا طاشَتِ الأحلام فهو وئيد

15 ويهتزّ للّطاعات والجودِ عِطفُه ... كما اهتزّ مشغوفُ الفؤادِ عميدُ

أَلَمْ تَرَ كيف اهتزّ للخبث مُسْرِعاً ... يبدّده عن أهله ويُبيد ؟

فأصبح ثغر الدّين من ذاك باسماً ... وشيطانُه في الخافِقَيْنِ طريد

وكَمْ منك للإصلاح في آلغيب مِنْ يَدٍ ... لنا من نداها مُبْدِئٌ ومعيد

فإن سرَّت الخضراءُ منك بطلعةٍ ... فنورُك في أقصى البلاد وقيد

20 فلا زلتَ ملحوظاً بعين عنايةٍ ... ومُلْكُكَ بالنّصر العزيز أبيد

ولا زال نَجْلاكَ المجيدان قُرَّةً ... وأنت بما في العالَمِينَ حميدُ[2]

* * *

24 ـ وقال قدّس سرّه ، مهنّئاً الأمير حمّوده باشا حين أتمّ وزيره يوسف صاحب الطابع بناء الجامع بالحلفاوين ، ومؤرّخاً وقت إتمامه [كامل][3] :

ذِكْرٌ جَمِيلٌ يُوسُفٌ قد جَدَّدَهْ ... وذخيرةٌ في الصّالحات مُخَلَّدَة

ذا الجامعُ آلْحَسَنُ الذي هُوَ جنّةٌ ... لولا رسومُ الدّين فيه مُرَدَّدَة

= (1759-1756) وجدّه حسين بن علي مؤسّس الدولة الحسينيّة (1735-1705).

(1) إشارة الى شقيق عثمان باي وسلفه ، الأمير حمّودة باشا (1814-1777) .

(2) وهما الأميران صالح وعلي باي اللّذان قُتِلا إثر اغتيال والدهما في 21 ديسمبر 1814 ، آنظر الإتحاف ، 99-98/3 .

(3) التعطير ، 82/1 ـ وكنّش الطواحني 18763 والمجمع ، 18 ب . وقد أقيمت أوّل صلاة بجامع صاحب الطابع يوم الجمعة 12 ربيع الأول 4/1229 مارس 1814 ، آنظر : الإتحاف ، 59/3 ، وتاريخ معالم التوحيد (الطبعة الثانية) ، ص 212.

بيتٌ على التّقوى تأسّس والهدى فَأَبُو المحاسِنِ بالرّضى ما أَسْعَدَهْ !

[15] 5/ ولكَم أتى فيما بنى بمحاسنٍ جُمَلٍ ولكنْ ذي محاسنُ مفرَدَة

مَدَدٌ من الباشا العظيم جرى له فأتَتْ به منه الأمورُ مُسَدَّدة

لا بَلْ هو ٱلْبَانِي ولكن حبُّه فَضْلَ الخفا في الخَيْرِ قد أخفى يَدَهْ

حمّودةُ الباشا وما أدراك ما مَلِكٌ به نِعَمُ الإلاهِ مُجَدَّدَة

نامت به الخضراء في ظلّ الهنا وغَدَتْ لأجفان العِداءِ مُسَهِّدَة

10 ولكم له من صالحاتٍ رُصِّعَتْ تاجاً على رأس الزّمان مُنَضَّدَة

صُنْعٌ به ٱبتهجت ملائكةُ السّما وغدت به شِيَعُ الأبالس مُكْمَدَة

يَهْنِي الورى وخصوصاً العُلَمَاءَ والـ صُّلَحَاءَ أنوارٌ له مُتَوَقِّدَة

ما شِئتَ من علمٍ قبست ومن هُدىً يُهْدَى به للّه مَنْ قد أيَّدَهْ[1]

ما شئت من آيِ الكتاب وسُنَّةٍ هذي مُسَلسَلَةٌ وتلك مُجَوَّدَة

15 يَهْدِي المفسِّرُ والمحدِّث منهما لِينَ الفؤادِ وأَدْمُعاً مُتَبَدِّدة

فاللّهُ يَجْزيه الرّضى ويُنِيلُهُ غُرَفَ ٱلْجِنَانِ وثَمَّ يُزلف مَقْعَدَهْ

فٱشْكُرْ له وٱسْأَلْ وَقُلْ متعجّباً ومؤرّخاً : للّه ما قد شيّدَهْ[2]

1229

* * *

25 ـ وقال قدّس سرّه ، مؤرّخاً بناء السّقاية التي أنشأها الوزير المذكور داخل باب علاوة [كامل][3] :

---

(1) في المخطوط : « قبضت » .

(2) لله : (30+30+5) . ما : (40+1) . قد : (100+4) .

شيده : (1000+10+4+5) . المجموع : 1229 .

(3) التعطير ، 72/1 والمجمع ، 24 ب ، وكنّش الطواحني 18763 ، وباب علاوة هو باب من أبواب مدينة تونس ، يقع في الربض الجنوبي .

هـذا سـبـيـلٌ حـسـنـه يـزداد ... وثـوابُـه يـومَ الـقـيـامـة زادُ
رِدْ منـه سلسـالاً فُـراتـا سـائغـاً ... طُـهـراً ومنـتـعِـشـاً بـه الأكـبـادُ
أجـراه يَـرْجُـو نَيْـلَ حُسْنِ ثـوابـه ... مَنْ في الـورى خُتِمَتْ به الأجـوادُ
ذاك الهُمـامُ أبـو المحـاسنِ يـوسفٌ ... مَنْ رُشْـدُهُ شهِـدتْ بـه الأضـداد
5 ذو طـابـع المُلْكِ الـذي عـزمـاتُـه ... لِـمُـهـنّـداتِ سـيـوفـه أغـمـاد
[مَلِكٌ جرى في الصّالحات إلى مدى ... تَـنْـبَـتُّ دون بـلوغـه الأقْـدَادُ[1]
[16] / ولـه من التّـوفيق أَطْـوَعُ ساعـدٍ ... ومـن العـنـايـة في الـمهـمّ سِنـاد
فـأتى بمـا أيّـامُنَـا بجـمـالـه ، ... الـلّه يـعـلم أنّـهـا أعـيـاد][2]
وتـقـلّدَتْ لـلملك مـنـه تـرائـبٌ ... فـلسـانـه لـصـنـيـعـه حَـمّـادُ
10 حمّـودةُ البـاشـا الـذي أخبـارُه ... يُهْـدِي اليك عـطيـرَهـا التّـردادُ
فخـرت بـه الـدّنيـا وكم للدّين مِنْ ... فَـخْـرٍ بـه إذْ قـام مـنـه عِـمَـادُ
هـذا السّبيـلُ وإن بَنَـاهُ وزيـرُه ، ... فـيـه ومـنـه تَـيَـسَّـرَ الإمـدَادُ
فَهَبِ آلـدُّعـاءَ إذِ آنْتَهَلْتَ كُؤوسَـهُ ... إنّ الـدّعـاء من الـسّبـيـل يُـرَادُ
وآشْكُـرْ لِمَنْ أسدى إليك مُسَارِعاً ... إنّ الـمَـزِيـدَ لـشـاكِـرٍ يـنـقـادُ
15 وآعجبْ لها إذ قـد أتى تـاريخُها : ... يَـحْيَـى بِعَـذْب معينـهـا الـوُرّادُ

1221

* * *

26 ـ وقال رضي الله عنه وعنّا ، مهنّئاً الأمير حسين باي ببناء ابنه المشير الثاني على

(1) الأقداد : جمع قِدّ وقِدّة أي الحبل والسّير من الجلد .
(2) الأبيات 6-7-8 ساقطة من التعطير .
(3) تضمين الآية : لئن شكرتم لأزيدنّكم (إبراهيم ، 7) .
(4) يستقيم الحساب باعتبار الياء الثالثة من يحيى ألفا .

ابنة شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث في شعبان 1249/ جانفي 1834 [وافر][1]:

حُلُولُ السّعدِ في بُرجِ السّعادة ... زِفافُ البَيْرَميّةِ للسّيادة

بآمنِ طائرٍ وألذِّ عَيْشٍ ... وأرضى عند سيّدنا وَدادة[2]

غَدَتْ حوراء لولا أنّ فيها ... من الآداب والتّقوى زيادة

فيَهْنِينا وإيّاكُمْ سرورٌ ... نُرَجّي أن يُرَى كالعيد عادة

5 تبَسَّم منه ثَغْرُ الدّين لمّا ... تَوَسَّم من سعادته سدادة

وكم بقِلادَةٍ جيدٍ تحلّى ... ولٰكن ذا ٱلْبِنَا شَرَفُ القِلاَدَة

أسَرَّ العالمين سوى حسودٍ ... كوى بسعير محنته فؤادَه

وسار حديثُه في النّاس يُرْوَى ... عطيراً مسنداً عن كل سادة

سما فوق السّماء فلا عجيبَ ... لِغَيْظ البدر إذ أبدى سواده[3]

10 ومَنْ ظنّ الخُسوفَ بَدَا لِشرٍّ ... فَخَيْرُ الخلق قد ردَّ ٱعتقادَه[4]

[17] / أدام اللّهُ عزَّهما وأمْناً ... من الحِدْثانِ لا نخشى نفادَه

* * *

27 ـ وقال تغمّده اللّه برضوانه ، مخاطباً شيخ الإسلام محمّد بيرم الثالث بشأن مسألة دارت بينهما [وافر][5]:

أحَطْتُ بما بعثتَ إليّ خُبْراً ... من الصُّوَرِ المُدَارةِ كالقِلاَدَة

---

(1) التعطير ، 128/1 والمجمع ، 21 أ . وحسين باي الثاني هو ابن محمود باي (تولّى الملك من 1824 الى 1835) والمشير الثاني هو مَحمّد بن حسين باي (1855-1859).

(2) وَدادة بالفتح أحد مصادر وَدَّ .

(3) « صادف ليلة الزفاف خسوف القمر » ، التعطير ، 127/1 .

(4) حديث الخسوف : « إن الشّمس والقمر لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته » (اللسان : خسف) .

(5) التعطير ، 109/2 ومجموع ح.ح. عبد الوهاب ، 18841 ، مجمع ، 44 أ .

فكـان الـرّأيُ أن لا خُلـفَ فيهـا لِمَـا تحويـه من حُسْنِ الإجادة[1]
فـلا زلـتـم مـنـاراً فـي رشـادٍ ولـكـن غَـيْـرَ مـختـصـرِ الإفـادة

* * *

28 ـ وقال قدّس سرّه ، مجيباً العلاّمة الشيخ عبد الشكور المدني عن قصيدة مدحه بها في سفره لحجّته الأولى عام 1826/1241 [طويل][2] :

أَلَـذُّ سـرورِ المـرء مـا لم يكن وعـدا كما أَسْعَدَتْ بالوصل بعد الجفا سُعْدَى[3]
تبـدّت بمجمـوعٍ من الحسن فـاتـنٍ على أنّـه في جـمعـه لـم يـزل فـردا
أَلَمْ تَـرَ وَجْهـاً مـا حـوى من طـلاسمٍ لحيـرة ألبـاب الـورى عُقِـدَت عقـدا
فمن صـورةٍ لَوْ نَـالها البَـدْرُ في الدّجى أو الشّمسُ مـا آنستَ من أحَـدٍ رشـدا
ومن وجنـةٍ أبـدى الحَيَـا طيبَ رَشْحِهـا كـأنّ من الخَـدَّيْنِ تستقـطرُ الـوردا
ومـن مقـلةٍ تـروي أحـاديثَ بـابـلٍ على أنّ في أجفـانهـا صـارمـاً هِنْـدا[4]
ومـن حـاجـب هـو الـهـلال وإنّـمـا اليـه سرى غُنْـجٌ من آلجفن فـآسْـوَدَّا[5]
ومـن مـبـسـمٍ ، واحـرَّ قـلبـيَ دُرّة حـواهـا وإن كـانـت لنـائـلِهـا وِرْدَا
فشكـل كمـا راقت صيـاغـة خـاتم وثغـر يغـار الـدُّرُّ من حسنـه نَضْـدا
وطـيب حـديـث كـلّمـا نَـطَقَـتْ بـه فمـا هـو إلاّ الـدرُّ في جيـدهـا عِقـدا
وريـق يهـبّ الـمسـك منـه كـأنّـه رحـيقٌ حبـاه اللّه مَـنْ سكـن الخُـلْدَا
وجيـدُ غـزالٍ تـحـتـه خَـيْـزُرَانَـةٌ تقُـدُّ النُّهى قـدّاً لِـذَاكَ سَـمَتْ قَـدّا

---

(1) في الديوان : لا خلاف والإصلاح من المجمع .

(2) مجمع ، 30 ب ، وقال في التعطير ، 101/1 : « طالعها البيت الآتي ولم أظفر بغيره :
دنت بَعْـدَ بُعْـدٍ طـال مـدّتـه سُعْـدَى تـجـدّد من مُـضـنـى مُـتَـيَّـمِـهـا عَـهْـدا

(3) في المخطوط : سعدت . . . سعدا .

(4) لم يسمع هند في الصفات .

(5) الغُنْج والغناج : دخانٌ لتسويد الوشم (اللّسان) .

أتتني بـذاك الحسنِ كَمْـلاً تقـول لي : إليك أبي هذي المحـاسن قد تُهْـدَى[1]

[18] / فقلتُ : أَبَعْدَ الشَّيب أَهْوَى وقد مضى لنـا من لذيـذ العيش مُـورِقُـهُ الأنـدى ؟

15 إذِ ٱلأنس ممـزوج الكؤوسِ بِكـل مـا أسـاء الهـوى والـدّهـر مُمْتَثِـلٌ عَبْـدَا[2]

نَـجُـرُّ ثيـاب الأمـن فـوق مَـجَـرَّةٍ ونـرتشف الأوطـار من عصـرنـا شَهـدَا

فـأمّـا وقـد طـار الشّبـاب ولم يَـدَعْ لَـدَى وَكْـرِهِ إلاّ أسىً يلتـظي وَقْـدَا

فـكيـف وِصـالُ الـغـانيـاتِ ودُونَـهُ نِصـالُ الشّبـاب أَرْهَفَـتْ للّقـا حـدَّا

فـقلتُ : ألَـمْ تعـلم بـأنّي لَـقِيـتُ مَنْ تُسـاق الأماني [للذي مقـرع وجدا][3]

20 فقـالت : أَعَبْـدُ اللّه ذاك الـذي سَمَـا فـلا تَفْتح ٱلأبصـارَ في غَيْـرِه زُهـدا

فقلت : نعم هـو الـذي أتعب العـدا لغضّ مـزايـاه فلم يبلغـوا قصـدا[4]

* * *

29 ـ وقـال قـدّس سرّه ، يـرثي صـديقـه الـوزيـر محمـد العـربي زرّوق الشريف[5] [كامل] :

لا بـدّ من سكنى القبـور فـريـدا يَـا مَنْ يُـؤَمِّـلُ أن يعيش مـديـدا

هـل هٰـذه الأرواح إلاّ جـوهـرٌ أبَـداً يُـرَى بِيَـدِ الحِمَـامِ نضيـدا

لَـوْ أنَّ ذَا شَـرَفٍ وعِـزّ مـكـانـةٍ ينجـو نَجَـا هـذا الـوزيـر محيـدا

هـذا الهُمَـامُ محمّـدُ العـربي الـذي جَـمَـعَ السّيـادة طـارفـاً وتليـدا

5 قـد كـان للتّـدبيـر قُـطْبَ مـدارة وبـرأيـه دار الـزّمـان سـعـيـدا

---

(1) كَمْلاً ، مخفّف كمَلا بالفتح أي كاملا .

(2) في المخطوط : بِكُلّما في كلمة واحدة مع كسر الباء . وفي التعطير 102/1 والمجمع ، 31 أ : فكلما أساء . وأساء في كليهما نابية عن السياق .

(3) إكمال من التعطير ، ولا يتّضح له معنى .

(4) في التعطير : لفظ . وفي المخطوط والمجمع ، 31 أ : لبعض .

(5) مات مقتولاً في صفر 1238/ أكتوبر 1822 ، انظر الإتحاف ، 130/7 . والمقطوعة في المجمع ، 26 أ .

مـلأ البسيـطةَ صِيتُـهُ ولَكَـمْ لـه خضـع الأفـاضِـلُ رُكَّعـاً وسُجُـودا[1]

مـا قال كـان ، وكـلّ مـا لم يَـرْضَـهُ ـ هيهـات ـ كـان مِنَ الوُجود بعيدا[2]

كَمْ قـد أحـاط بـه سُـرَادِقُ عِـزّه وعليـه كـان من الـورى محسـودا

ثـمّ آنْـطَوَى فـي قَـبْـرِه فكـأنّـه سيفٌ غـدا فـي جفنـه مغمـودا

10 فـارْحَمْهُ يـا أَهْـلَ المـراحم فهـو في تـاريخـه : وافى عُـلاك شهيدا[3]

1238

* * *

30 ـ وقـال قدّس سرّه ، مجيزاً الشيخين المـدنيّين أحمد صـويمع وصـاحبه سـالم السرسي في حجّته [طويل][4] :

حَمـدْتُ إلاهي وهـو مستـوجب الحمـد على نِعَمٍ جلّت عن الحصـر والعـدّ[4]

[19] / وأُهـدِي سلامـاً مَعْ صـلاةٍ الى الذي أتى مُـرسَـلاً بـالحقّ للحـرّ والعبـد

ولـلآل والأصحـاب طـرّاً وكِـلّ مَنْ تَقَفَّـاهُمُ يسـري على السّنن الـرشـد[5]

وبَعْـدُ فـإنّي قـد أجـزتُ لأحـمـد صويمعٍ المعـروفِ كلَّ الـذي عندي

5 أذنـتُ لـه فـي ذاك إِذْنـاً مُـعَـمّـمـاً على شرطه المعهـود بين أولي العهد[6]

كـذا الفاضـل السـرسيُّ سالمٌ الـرّضى أذنـتُ لـه إذنـاً عـمـيـمـاً بـلا ردِّ

وأسـأل ربَّ العـرش أن ينفـع الـورى بعلمهمـا المحمـود والفـوز بـالقصـد

---

(1) في المخطوط : « سيطة » .

(2) في المخطوط : « وكلّما » في كلمة واحدة .

(3) الحرف الأخير من وافى قدّر ياء ، قيمتها 10 . ورأينا منذ قليل أنّ الياء قد تُعتبر ألفاً .

(4) التعطير ، 102/1 ، ومجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 ، ومجمع الدواوين 31 ب ، وفيه : أحمد صويبع .
وفي التعطير : جلّت على .

(5) في التعطير سيراً عن . وفي المخطوط : عن عوض على .

(6) في التعطير : « أولى الرشد » .

وأوصيهما أن يلبسا حُلَلَ التُّقى فعلم بلا تقوى كنَحْلٍ بلا شَهْدِ[1]
وَصَلِّ إلهي بُكْرَةً وَعَشِيَّةً على المصطفى والآل مَعْ كِلّ ذي وِدِّ
ولله حَمْدٌ دائمٌ ، وأَجَلُّ ما به تَخْتِمُ الأنظامَ خاتمةُ ٱلْحَمْدِ

* * *

31 ـ وقال رضي الله عنه يصف ليلة أنس سامر فيها الشيخين محمّد ماضور وصديقه الأكتب محمد المسعودي ، ومجيباً الأوّل عن أبيات في ذلك المجلس [طويل][2] :

تلقّيتُ من أخباركم كلَّ طُرفةٍ أنظّمها في جيد أسمارنا عِقدا
وكنتُ بتشنيف المسامع أكتفي وأُكْبِرُ بشّاراً بما قاله جهدا[3]
ولمّا نما شوقي وزاد تولُّهي سَرَيْتُ لكم ليْلاً أُبَثُّكُمُ وَجْدَا
وما كان لي هادٍ سوى نُورِ حُسْنِكُمْ إليكم فلم أعدَمْ بقولكُمُ رشدا
وحيث الى المسعود كانَ انتهاؤنا زجرتُ فكان الزّجرُ يستنتج السّعدا
فَبِتُّ وما ليلي سوى لَمْحِ بَارِقٍ وإن طال من دهري تنفُّسُهُ الصّعْدَا

* * *

32 ـ وقال قدّس سرّه العزيز ، مجيبا عن قرظ قصيدة كان قد مدحه بها بعض تلامذته حين ختم مختصر السّعد في علم المعاني والبيان [كامل] :

---

(1) في التعطير : « حلّة » .

(2) مسامرات الظريف ، 222/1 ومجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 والمجمع ، 45 ب . ومحمد ماضور عالم وأديب أصيل بلدة سليمان ، له ديوان شعر مخطوط . توفّي سنة 1812/1226 . آنظر ترجمته في الإتحاف ، 59/7 . ومحمد المسعودي كاتب وأديب ، تقلّد عدة مناصب رسميّة منها قلم الإنشاء في عهد حمّودة باشا . توفّي عن سنّ عالية سنة 1847/1263 . انظر ترجمته في الإتحاف ، 64/8.

(3) يشير إلى قوله : « والأذن تعشق قبل العين » .

زارت على خَفَرٍ وحسنِ تردّدٍ ... فقضت بتقطيع الجوانح واليَدِ
آنَسْتُ إذ قد آنَسَتْ من لطفها ... سحرَ العقول وفتنةَ المتعبّد
[20] / وعلمتُ منها أنّ منزلَ بابل ... دون المنازل في فؤاد محمّد[1]
لا تعجبوا لو تسمعون كلامها ... لرأيتُكُمْ في الرّاكعين السُّجَّدِ[2]
5 أنزلتُها وَسَطَ السّوادِ ودُونَها ... قدراً ومنزلةً مجاري الوُقَّدِ[3]
ونعمتُ منها بانتقال مودّة ... تزدادُ باقيةً بقاءَ السَّرْمدِ
منّي السّلام على الأَعِزَّةِ قَوْمِهَا ... أبداً ولو كَرُبَتْ قلوبُ الحُسَّدِ

* * *

33 ـ وقال تغمّده الله برحمته ، مؤرّخاً المسجد الذي أنشأه محمّد الصغيّر الأندلسي بتستور ، سنة 1812/1227 [كامل][4] :

آنْظُرْ له نوراً بدا مشهودا ... يأوي له رجلٌ غَدَا مسعودا
في ظلمة الأسواق لاح كأنّما ... نَشَرَ الصّباحُ على الظّلام بُنُودا
يا رنّةَ الشّيطانِ منه إذا النّدا ... نادى فولّى خاسِئاً مطرودا
وغنيمةَ السُّعَدَا إذا لم يُلهِهِمْ ... شَيْءٌ فَلَبَّوْا رُكّعاً وسجودا
5 قَرَّتْ به لذوي الدّيانة أَعْيُنٌ ... وغدا به حزبُ الشّقا مفؤودا
للّه أسّسه الذي هو آمِلٌ ... أَنْ سوف يُحْرِزُ أَجْرَهُ الموعودا
رَبِحَتْ تجارتُه فأنفق فَانِياً ... لينالَ في دار النّعيم خلودا[5]

---

(1) في المخطوط : المنزل وقحدد ، والتصويب من المجمع ، 43 أ .
(2) نقل بيت كثير عزّة (ديوانه ، 441) :
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها ... خرُّوا لعزّة رُكّعاً وسجودا
(3) الوُقّد : النجوم الوقّادة .
(4) التعطير ، 77/1 ، مجمع ، 42 أ . وتستور ، هو مسقط رأس الشيخ إبراهيم الرياحي .
(5) الفاني : المال ، الذي لا يدوم .

فَلِمِثْـل هـذا الصُّنْـعِ تستبق النّهى وعـليـه تـنـفـطر الـكِـرَامُ كـبـودا
فـآقْبَلْهُ من بـانيـه يـا رَبَّ الـورى مَـنْ لا يُـخِـيـبُ لآمـلٍ مـقـصـودا
10 وأَجِبْ بفضلك دعـوتي إذْ قلتُ فِي تـاريخـه : جـازى الصغيّـر جـودا[1]

1227

* * *

34 ـ وقـال قدّس سـرّه ، يرثي الشيـخ سيدي محمـد البشير الـزّواوي رحمـه الله [كامل][2]:

هـذا ضـريـحٌ يَـا لَـهُ من مشهـدٍ غَـربَتْ بـه شمسُ البشيـرِ محمّـدِ
آنـظرْ لـه مـاذا حـوى من بهجـةٍ وسنـا بـأنـوار الهـدى متـوقّـد
لم يخـلُ بعـد الشّيـخ من عِلْمٍ ولا تـقـوى كـأنّ بشيـرَه لـم يُـفْـقَـدِ
[21] / ذاك الـذي لَبِسَ التصوّفَ حليـةً أَوْلَتْـهُ في التّسليك أصـدقَ مقعـد
5 وهـو الـذي لا وِرْدَ يعـذب شـربُـه إلّا لـه مـنـهـنّ أعـذب مَـوْرِد[3]
وهـو الـذي لا مَـنْ رآه فلم يـقـل مـا مـثله مـن نـاسـكٍ مُـتَـعَـبِّـد[4]
سَـلْ عنه مكّـة والمـدينـةَ كم طـوى بِخُـطَى المـطيّ إليهمـا من فَـدْفَـدِ
وَسَـلِ العُفَـاةَ ببـابـه كَمْ فـاض مِنْ سَيْبٍ تـلاطم مثـل بحـرٍ مُـزْبِـدِ
[من عصبـةٍ نطق الكتـابُ بطُهـرِهم ودعـا الـى تـعـظيـمـهـم بِـتَـوَدُّدِ
10 آلِ الـرّسـول السّـادةِ الأشـرافِ مَنْ وَرِثـوا السّيـادةَ سيّـداً عن سَيِّـدِ

(1) في التعطير : « جاز » ، وهو لا يوافق رقم التاريخ .
(2) هو العالم العابد الشيخ محمد البشير (أو الباشير) الزّواوي الشريف . لازمه الشيخ إبراهيم الرياحي وأخذ عنه في أوّل عهده الطريقة الشاذليّة . وقد جاء في الإتحاف (147/7) أنه توفّي « يوم السبت السادس عشر من شوّال سنة 12/1242 ماي 1827 ودفن بزاويته المشهورة » . وفي تعطير النواحي أنّه توفّي سنة 1243 .
(3) في التعطير : « مشربا » .
(4) بيت ساقط من التعطير :

زانتهُمُ التّقوى وكلُّ فضيلةٍ ... وبفِضّةٍ فخر السّوارُ وعَسْجَدِ
مَنْ مِثْلُهم فَضْلاً وكُلُّ مُوَفَّقٍ ... بِهُدَاهُمُ في نَيْلِ فَضْلٍ يغتدِي
لا تعجَبُوا إنْ قَدْ سَمَا أبناؤهم ... في المَكْرُمات الى محلّ الفرقدِ
مثل الونيس السيّد المفضال مَنْ ... بلغ المنى في سرّه المتفرّد[1]
لمّا مضى جاء البشيرُ بإثره ... نوراً به باغي الهداية يهتدِي
رائيه يذكر ربّه عن غفلة ... وفؤاده يَحْيَى بقولٍ مرشدِ
ولكم دعا فَآنْقَادَ صَعْبُ مقاصدٍ ... بدعائه ولغيره لم يَنْقَدِ][2]
شاعت مكارمُه وفَاتَكَ عَدُّها ... إنْ رُمْتَ إحصاءَ النجوم فَعَدِّدِ
فآقْصدْ زيارتَه بقلبٍ خالصٍ ... وَآدْعُ الكريمَ فإنّه بالمرصد
لا غَرْوَ ان قد قلتُ فيه مؤرّخاً : ... « بحماه لُذْ فلك المنى بالمقصد »[3]

* * *

35 ـ وقال رضي الله عنه ، يرثي الأميرة عزيزة ابنة محمود باي ، زوجة سليمان كاهية [كامل][4] :

أكْرِمْ بها من روضةٍ لرُقادِ ... سَمَّوْهُ رَمْسَ عزيزةِ الأجوادِ
بنتِ الملوك الصّيد ساداتِ الورى ... وكريمةِ الآباء والأجداد
نَشَأَتْ بعزٍّ باذخٍ وجرت على ... سُنَنِ الصّوالح منهج العُبّاد

---

(1) سيدي الونيس عمّ الشيخ البشير الزواوي ، له مقام مشهور بمقبرة الزلّاج ، الإتحاف ، 145/7 .

(2) الأبيات من 9 إلى 17 ساقطة من المخطوط .

(3) في التعطير ، عوض هذا البيت الذي يساوي 1284 في شطر التاريخ ، بيت آخر يساوي شطره 1242 » :
وآسمع لسان الحال فيه مؤرّخاً : « من لاذ بي فله الهناء بمقصد »
وهو أقرب لتاريخ 1245 الذي ذكره صاحب الإتحاف . وفي المجمع ، 40 أ : فلك الهناء والمجموع : 1250.

(4) مجمع ، 23 أ . ومحمود باي هو ابن الأمير محمد الرشيد باي (تولّى الملك من 1814 الى 1824) . وسليمان كاهية له ترجمة في الإتحاف (39/8) ، وقد جاء فيها أن الباشا محمود قد صاهره على بنته ليلة ولايته في المحرّم 184/1230 وبنى بها في دولته .

لم تَـأْلُ في صَـوْمٍ وفي ذكـرٍ وفي ... صَـدَقـاتِهـا رِيُّ الفـؤاد الصّـادي
أَحْنَى على الفقـراء والّـلاجي لهـا ... مـن ذاتِ إشْـفَـاقٍ عـلى الأولاد
لم يَثْنِهـا عِـزُّ الـملوك عـن التُّـقَى ... وتَـزَوُّدٍ مـن هـٰذه لـمـعـاد
رَبِحَتْ تجـارتُهـا فبـاعت فـانيـاً ... بشـريف مـا يبقى بغيـر نفـاد[1]
ومَضَتْ الى حُسْنِ المـآبِ وخَـلَّفَتْ ... حُسْنَ الثّنـا يُتْلَى كـمـا الأوراد
وعيـونُ مَنْ كـانـت تُفِيضُ عَلَيْـهِمُ ... فـاضت بـذاك الفَيْضِ من إرْفـادِ
لا غَـرْوَ أنّ الـلّه يُسْعِـدُهـا بـمـا ... قـد قَـدَّمَتْـهُ بصـادق الـميعـاد
فَلِذَا بحسن الـظنّ قـلت مؤرّخـاً : ... قـد أسعـدت ولهـا الهنـا بمـراد

1255

* * *

36 ـ وقال تقبّل الله عمله ، يرثي الشيخ علي مقدّم الطريقة الشاذلية عام 1812/1227 [كامل][2]:

[22] / حُكْمُ الـمنيّـة ليس بـالـمـردود ... مـن والـدٍ سِيدٍ ولا مـولـودِ[3]
الكـلُّ يـدركـه وَلَـوْ مَنْ كـان في ... بُـرْجٍ بمـا يحمي البـلادَ مَشيـدِ
مـا هـو إلاّ الأَجْـرُ يـومَ الحشـر عن ... عَمَـلٍ تُسَـرُّ بـوجهـه المسعـود
فـتـزَوَّدِ الـتّـقـوى فـإنّ وَلِـيَّـهـا ... أَكْـرِمْ بـه مـن سيّـدٍ مـحـمـودِ
وآجْعَـلْ محبّتَـكَ الـصَّـلاحَ وأهلَه ... سببـاً لـنَيْـلِ الـفـوزِ والمقصـودِ
لا سيَّمـا قُـطْبَ الأنـام الـشـاذلي ... فهُـو الـذي ضَمِن النّجـا لمُـرِيـدِ
ولـذاك أصبحتِ الـوفـود ببـابـه ... يـرجُـون من جـدواه فَيْضَ الجـودِ

(1) صدر هذا البيت مضى لفظا ومعنى في القصيدة 33 (البيت السابع) .
(2) مجمع ، 41 ب . والطريقة الشاذلية : نسبة الى الوليّ الصالح أبي الحسن الشاذلي (1197-1258).
(3) السِّيد بالكسر : الأسد والذئب . أو لعلها مخفّفة عن السيّد بالتشديد .

ولكَم أبو حَسَنٍ عليٌّ راح في مرضاته وغَدَا بقلبٍ ودودِ
ولكَم تلا أورادَه وأدارها صهباءَ تشفي علّةَ المفؤود
ثم استجاب لربّه لمّا دعا وثوى لحكم اللّه تحت لحود
فمتى تَزُرْهُ فَقُلْ وأنت مؤرّخ : « أسْكِنْهُ في الفردوس منزلَ جودِ »[1]

1227

(1) هذا الشطر يوافق التاريخ المذكور 1227.

حرف الـرّاء

37 ـ قال قدّس سرّه في بعض التجلّيات له [طويل][1] :

لقـد كنت قدماً قبـل أن يُكْشَفَ الغـطا ... إخَـالُـكَ أنّي حـامـدٌ لـك شـاكِـرُ
فلمـا تجـلّى الأمـرُ أصبَحْت مُـوقِنـاً ... بـأنّـك مـذكـورٌ وذكـرٌ وذاكـرُ

* * *

38 ـ وقال رضي الله عنه يمدح سلطان المغرب مولاي سليمان العلوي حين وفد عليه بفاس [كامل][2] :

إنْ عـزَّ مـن خـيـر الأنـام مَـزَارُ ... فـلنـا بِـزَوْرةِ نـجـله اسـتـبـشـار
أَوَليس نـور المـصـطفى بـجبينـه ... كـالشّمس يُـظهِـرُ نُـورَهـا الأقمـارُ ؟
فَـاشْفِ الغليـلَ بقـربـه فلطالمـا ... شطَّ الـمـزارُ وعـاقـت الأقـدارُ
واحفَظْ جفـونَـك من سَنَـاهُ فـإنَّـه ... ببـريـقـه تُـتَـخَـطَّفُ الأبـصـارُ
[23] 5 / وإذا أنـامـلُه الِّـلطافُ لَـثَـمْـتَـهـا ... فَـحَـذَارِ مـن غَـرْقٍ فـهـنّ بِـحَـارُ
وافْخَـرْ على كـلّ الملوك بِلَثْمِـهَـا ... مـا بـعـده لـلمـسـتـعـزّ فـخـار

---

(1) مجمع ، 2 ب ، التعطير ، 109/2 ، وفيه : لقد كنت قبلا قبل أن . . .

(2) في سنة 1217 « احتبس الغيث ووقع قحط شديد » بالبلاد التونسيّة ، فأوفد الأمير حمّودة باشا الشيخ إبراهيم الرياحي الى المغرب سنة 1218 (أوائل 1804) ، لطلب الإعانة (الميرة) من السلطان مولاي سليمان . وقد مدحه الشيخ بهذه القصيدة التي ورد نصّها الكامل في مسامرات الظريف (163/1-164-165) وفي تعطير النواحي (21/1-22-23) وفي المجمع ، 11 أ . كما نشر ابن أبي الضياف مقتطفات منها في الإتحاف (75/7-76) . وكذلك الناصري السلاوي في الاستقصاء ، 118/8.

وآنْبُذْ بفخر آبن الخطيب فإنّما ... لابن الخطيب بفخرها المعشار[1]
شتّان بين آبن الرسول وغَيْرِه ... أَوَ يستوي لَيْلٌ دَجا ونَهارُ ؟
هذا يزينُ الشّعرَ طيبُ مديحه ... حُسْناً وذاك تزينه الأشعارُ

هذا الخليفة وآبنُ أَكْرَمِ مُرْسَلٍ ... وسليلُ من فَخَرَتْ به الأعصارُ[2]
وخلاصة الأشراف والخلفاء مِنْ ... بيت البتول ومَنْ حواه إزارُ[3]

وأعَزُّ وارثِ مُلْكِ إسماعيلَ مِنْ ... بطل شذا عزماته معطارُ[4]
وأَجَلُّ سلطانٍ وأَكْرَمُ مالك ... شَرُفت بملك يمينه الأحرار
وأحقُّ مَنْ تحت السّماء بأن يُرى ... مَلِكَ البسيطةِ ، والورى أَنْصَارُ

لكن إذا كلُّ القلوب تُحِبُّه ... فلغيره الأجسام وهي نِفارُ
هذا سليمان الرّضى بنُ محمّدٍ ... مَنْ أشرقَتْ بجبينه الأنوارُ
هذا الذي ردّ الخلافة غضّةً ... وسما به للمسلمين منارُ

وأعزَّ دينَ الله فهو بشكره ... في أَيْكِها تترنّمُ الأطيارُ[5]
وحَمَى حماه بفصله وبنصله ... وهُوَ الذي يُحْمَى لديه منارُ

فلسانه يومَ الجدال صوارمٌ ... وسِنانُه يوم الكريهة نارُ
بمعارف وشهامة علويّةٍ ... من قبل أَرْهَفَ حدَّها الأخطارُ
تخشى الضّراغمُ بأسَهُ في غابِها ... وتصاغَرُ الأبطالُ وهي كبارُ

---

(1) يعني لسان الدين ابن الخطيب ، وكانت له في ملوك المغرب أمداح .
(2) في الاستقصاء : « وسليل مَن تمطى له الأكوار » .
(3) في الاستقصاء : « وحبّذا الأطهار » . والبتول ، فاطمة الزهراء ، وأصحاب الإزار أو العباء فيما مرّ ، أو الكساء ، هم العترة النبوية (الرسول وفاطمة وعليّ والسبطان) .
(4) في الاستقصاء : « وأجلّ . . . شذا أخباره . . . » .
(5) هنا ينتهي نقل الإستقصاء .

ويخـاف صَوْلَـةَ عَدْلِـه الدَّهْـرُ الذي ... مهمـا يجـرْ يـومـاً فَنِعْمَ الـجـارُ

وهـو الـذي يُـرْجَى لكـلّ ملمّـة ... ضـاقت بحمـل ضئيلهـا الأقـطار

25 وهـو الـذي يُسْعَى اليـه إذا دجى ... لَيْـلُ الخـطوب وسـاءت الأفكـار

[24] / كمجيئنـا نسعى إليه وقـد سطا ... جَـدْبٌ وعـمّ جميـعَـنـا إضْـرَارُ

عِـلمـاً بـأنّـا إنْ رأينـا وجـهَـه ... زال العـنـا وتـزحـزح الإعسـار

مَـوْلىً رأى الـدنيـا بمُقلةِ زاهـدٍ ... ودرى بـأنّ جـمـالَـهـا غـرّارُ

فـرمى بهـا مُتَنـزِّهـاً وكـذاك مَنْ ... كـانـت كِـرَامَ أصـولـه الأطـهـار

30وتخيَّـر الأخـرى بـهـمّـة عـارفٍ ... لـم يُـرْضِهـا دون الجِنـان قـرارُ

فَـرِحَتْ به الأخرى كما صَلُحَتْ به ... الـدّنيـا فـطاب لأهلهـا استقـرارُ

عَـمَّ البـريَّـة جِـلْمُـهُ وحـيـاؤه ... وتـواتـرت بسـخـائـه الأخـبـارُ

مـع مَـا لَـهُ من مستلذِّ شمـائـل ... نمّـت بـطِيبِ نسيـمهـا الأزهـارُ

إنْ تَـلْقَـهُ لاَقَـيْـتَـهُ مُـتَـهَـلِّلاً ... ولـه إلـيـك هـشـاشـةٌ وبِـدَارُ

35 متبَسِّمـاً يـجلو الـظّلامَ جبينُـه ... مستـبشـراً تُـجْلَى بـه الأكـدارُ

مِنْ عُصْبَـةٍ ورثـوا العُـلاَ وتناسقـوا ... فيهـا كمـا انتسقت بهـا أسـطارُ

وتسـابقوا في المَكْـرُمـاتِ فلن تـرى ... منـهـم سـوى مَنْ فضلُه مـدرارُ

صُـلَحَـاءُ أبـرارٌ أمـاجـدُ سـادةٌ ... عُـلَمَـاءُ أخـيـارٌ تـلت أخـيـارُ

خُـلَفَـاءُ أشـرافٌ كِـرَامٌ قـادةٌ ... سُـرُجٌ بهـا للمهتـدي آستبصـارُ

من كـلّ أحـزم يتّقيـه حِمـامـه ... شـاكي السّـلاح لـه اليقين دِثـارُ

دَرِبٍ على طعن الأبـاهـر والكُـلَى ... وعليـه للحـرب الـعـوان مـدارُ[1]

قِـرمٍ الى نهب النّفـوس إذا سـطا ... فَـطِوَالُ آمـال الـعـداء قـصـارُ

---

(1) الأباهر : عروق العنق . والكُلى جمع الكُلوة أو الكُلية .

شـدّ الإلـهُ بـهم مَعَـاقِـدَ دينِـهِ والـلّه جـلّ لـديـنـه يـخـتـارُ

45 وأعـزّهم بعـزيـز نـصـرتـه التي رُعْـبُ الـقـلوب أَمَـامَـهَـا سَـتّـارُ

أَفَمَـا رأيتَ الـكُفْـرَ ذَلَّ لـعـزّهم ، وسـنـانُـه لِـسِـواهُـمُ خـطّارُ

[25] / تهـوى المشارقُ أن تكـون مغاربـاً لـيَعُـمَّهـا فـي الـملتـجيـن جِـوارُ

وتنـال من عـزّ الشّـريف كما رَأَتْ إنْ كـان فـيـهـا لـلخـلافـة دارُ

ردّ الـزّمـان لـصـدره فـكَـأَنّمـا الـ ـفـاروقُ بـيـن ظـهـورنـا أَمّـارُ[1]

50 العـدلُ يُبْسَطُ والنّفـوس سَـوَامِـحٌ والـدّيـن يـظهـر والـعـلوم تُـدَارُ

والنّـاس في رَغَـدِ الحيـاة بـجنّـةٍ تجـري لهـا من تحتهـا الأنـهـارُ

فَـلْيَـذْكُـرُوا النِّـعَمَ الـتي عَـمَّتْهُـمُ الـلّهُ يـعـلم أنـهـنّ غِـزارُ

وَلْـنَسْـأَلِ اسْـتِمْـرَارَهـا بـبـقـائِـهِ فـبـقـاؤه لِـصَـلَاحِـنَـا آسْـتِمْـرَارُ

آالـلّه يُـبـقِـي نَـصْـرَهُ مـتـأيّـداً فـي عـزّةٍ خضعت لـهـا الأقـدارُ

55 ويُـديمُ أمـلاك السّمـاءِ تَحُـوطُـهُ بِعِنـايَـةٍ شِـيـدَتْ لهـا آلأسْـوَارُ

والأرضُ قبضـة راحـتَيْـهِ وأختهـا مِـنْـهـا لَـهُ تـتـنـزّلُ الأسـرارُ

مـا دُمْـتُمُ يـا أهْـلَ بَـيْتِ محمّـدٍ حَـرَمـاً يـطوف بـبـيـتـه الـزُوَّارُ

أوْ مـا تَـرنّـمَ مُنْشِـدٌ بِجَـلَالِـكُـمْ وتَـزَيَّـنَـتْ بِـحُـلَاكُـمُ الأذكـارُ

ثـمّ الـصّـلاة عـلى الـنـبيّ وآلِـهِ مـا نـاف لي بمـديحكم مِقْـدَارُ[2]

* * *

(1) الفاروق : هو سيّدنا عمر رضي الله عنه .

(2) ناف : ارتفع وعلا .

39 ـ وقال مهنّئاً حمّودة باشا بالجامع الواقع بالحلفاوين حين أتمّه وزيره [يوسف صاحب الطّابع] عام 1814/1229 [طويل] :

أهنّي بهذا الجامع الشامخِ القَدْرِ جمالَ العُلاَ حمّودةَ النّافذَ الأمر
أميرٌ إذا عُدَّ المُلُوكُ رَأَيْتَهُمْ نجوماً وكان البدرَ في وسط الشّهر
ولا عَجَبٌ إذْ فاقهم وَهْوَ مِنْهُمُ فإنّ اللّيالي بعضُها ليلةُ القدر
له المأثراتُ الغُرُّ والهمّةُ التي غَدَتْ في التعالي دُونَهَا رِفْعَةُ النّسر
5 وقد أنبأَتْ آثارُه عن عُلُوّها ومَنَّ بتلك المعبدُ الواضحُ الفخر
تعلّقت الآمال منه بوضعه فباشر من واد تنفيذ ذا الأمر[1]
وما كان يُعْزَى في الأمور لِتَابِعٍ فذلك للمتبوع حقّاً بلا نُكْرِ
[26] / فَمَنْ هَنَّأَ المولى بِمَكْرُمَةٍ أتى بها، مَجْدُه يَبْقَى الى آخر الدّهر
وَحُقَّ عليها منه لمّا تَوَضَّحَتْ جلالتُها قِسْطٌ عظيمٌ من الشّكر
10 أطال إلاهُ العرش في العز عُمْرَهُ ووفّقه للخَير في السرّ والجهر
وما غاب عنّي أنّ سَعْيِيَ واجبٌ لهذا الهنا لكنّني بَيّنُ العُذْرِ[2]

* * *

40 ـ وقال قدّس سرّه ، مؤرّخاً بناء الدّار التي أتمّها حسين باي ، وأنشدها على لسانها [طويل] :

حقيقٌ بأن أَسْمُو على منكب الشِّعْرَى لمَا أنتَ رائِيهِ من الطّلعة الغرّا[3]

---

(1) بياض في المخطوط والإكمال من المجمع ، 18 أ مع عسر في القراءة .
(2) في المجمع : وكان الشيخ [الرياحي] مريضاً .
(3) مجمع ، 20 ب .

وكيف وحُسْنٌ من حُسْيْنٍ لبستُه وآياتيَ الكبرى وتاريخيَ : البشرى[1]

* * *

41 ـ وقال رضي الله عنه مهنّئاً الوزير باش مملوك ببنائه على ابنة حسين باي عام 1833/1249 [كامل] :

ماذا أسرَّ من السّرور مُبَشِّري أنْ قد تَوَاصَلَ زُهْرَةٌ والمُشْتَري
قد طار من طَرَبٍ فؤادٌ راسخٌ ما كنت أَحْسِبُهُ يطير لمعتري
ما ذاك غير صبابة بين الحشى فنسيمُها بِأَقَلِّ داعٍ ينبري
قُلْ للحسين مُهَنِّئاً : يا نِعْمَ مَا ظَفِرَتْ يمينُك من مُنَاكَ بِكَوْثَرِ
يُمْنٌ وإقبالٌ وكلُّ سعادة جاءتك بالوجه المنير الأقمر
حسنا بها حابى حسين قاصداً إظهار حُبٍّ في الجوانح مُضْمَرِ
أبقى عليه الله سابغَ سِتره وأدام عزّك في رضاء الأكبر[2]

* * *

42 ـ وقال تغمّده الله برحمته ، ناظماً مزايا أهل الحديث [كامل][3] :

أهلُ الحديث طويلةٌ أَعْمَارُهُمْ ووجوهُهُمْ بِدُعَا النّبِيِّ مُنَضَّرة
وسمعتُ من بعض المشايخ أنّهم أَرْزَاقُهُمْ أيضاً به مُتَكَثِّرة

* * *

43 ـ وقال عَمَّهُ الله برضوانه ، مخاطباً تلميذه شيخ الإسلام أحمد عارف ومستعيراً منه

---

(1) « البشرى » تساوي تاريخ 1234 أو تاريخ 1243 . ومن المعلوم أن حسين باي الثاني قد وُلِدَ في سنة 1198 هـ/ 1784م وارتقى الى العرش في سنة 1239هـ/ 1824م وتوفّي سنة 1251 هـ/ 1835م .

(2) الإكمال من المجمع ، 25 ب .

(3) التعطير ، 109/2 ، مجمع ، 47 أ . والبيتان يتندّران بهم في الظاهر .

الجواهر الخمس ، وهو إذْ ذَاك باسلامبول عام 1838/1254 [مخلّع][1] :

يـا عـارفـاً مـنـه فـاح عَـرْفٌ فـي أنف أهـل الـوجـود عَـاطِـرْ
لـو لـم تـكـن فـي الـعـلوم بَـحْـراً لَمْ نُؤْتَ مـن عنـدك الـجـوَاهِـرْ[2]
[27] فَـوَفِّ بـالـوعـد مَـعْ رسـولٍ أتـاك ، إنّـي بـذاك شـاكِـرْ

* * *

44 - وقال رضي الله عنه ، مهنّئاً القاضي الخطيب الشيخ عمر المحجوب بخطّة القضاء عام 1802/1217 [طويل][3] :

عـلى قَـدَرٍ وَافَتْـكَ عَـالِيَـةَ الـقَـدْرِ ويـا طالمـا حنّت الى وجهـك البـدري
وسـاعـدهـا بَخْتٌ ولـولاه مـا اهتـدت الى أن ترى شمسا على صفحـة الدّهـرِ
وذلـك لـمّـا آن لـلحـقّ نُـجْـحُـه وللدّين مـن صَـدْعٍ لـه أيّمـا جَـبْـرِ
ولـلـعـدل إسـعـادٌ ولـلـعـلم دَوْلَـةٌ ولـلشّـرع إعـزازٌ تَيَسَّـرَ مِنْ عُسْـرِ [3]
5 ولـلخـطّة الشـمّـا خـلافـة أحـمـد مسيـر على حمـدٍ ووقف على شكـر
أليست من الـشيـخ الإمـام تـمسّكَتْ بعُـروتـه الـوثقى ومعـقِله الـوَعْـرِ ؟
أَلَـمْ تَـأْوِ من دون الأنـام إلـى حِـمَـى أبي حَفْصٍ المحجوبِ ذي العزّ والفخر ؟
إلـى عُمَـرَ الأزكـى فِعَـالاً ومـحتِـداً الى واحـد الـدّنيـا جميعـا بـلا نُكْـرِ

---

(1) مسامرات الظريف ، 202/1 ومجموع ح.ح. عبد الوهّاب 18841 ومجمع ، 18 أ . والشيخ أحمد عـارف تولّى مشيخة الإسلام في الآستانة وتوفّي سنة 1859 (أعلام الزركلي ، 138/1) .

(2) « الجواهر الخمس في الحروف والأسماء » ، هو كتاب في التصوّف من تأليف الغوث الهندي وهو محمد آبن خطير الدين بن بايزيد العطّار (أعلام الزركلي ، 347/6) .

(3) التعطير ، 17/1 مجمع ، 32 أ . والشيخ عمر المحجوب هو عالم وأديب تونسي تولّى الإمـامة والتـدريس بجامع الزيتونة ثم تقدم لخطة القضاء بالحاضرة وأقيل منها قبيل وفاته سنة 1222هـ /1807م . له تـرجمة في الإتحاف ، 52/7.

أَمَـا إنّـه النِّحـريـرُ والجهبذُ الـذي ... بـه عَجُـزُ الأَعْصَـارِ رُدَّ الـى الصّـدر

معـاليـه في نحـر الـزمـان قـلائـدٌ ... معـانيـه أزهـارٌ على أوجـه الـزهـر

فـلا نُـورَ إلاّ من مصـابيـح علمـه ... ولا نَـوْرَ إلاّ مـن سحـائـبـه الـغُـرّ

شـمـائِـلُ آبـاءٍ كِـرَامٍ وإخـوةٍ ... فِخَـامٍ فَيَا فَخْـراً أُضِيفَ الى فخر !

خِـلَالٌ تخيّـرت الأمْجَـاد مَـوضعـا ... فكـانـوا لهـا دُرّاً على وجهها الـدرّيّ[1]

خـلائِقُ في سـود الـلّيـالي تـبلّجـت ... بـه الملّةُ البيضـاءُ بـاسمـةَ الـثّغـر

تَـوَارَثَـهـا مـنـهـم ولـيـدٌ وَوَالِـدٌ ... عن الـوالِـدِ المبـرور والـوَلَـدِ البَـرّ

عن الـدّوحـة العليـاء والسّـرحـة التي ... تنسّم رِيُّ الفتح عن زهرهـا العطري[2]

عن المصـطفى المختـار أكـرم والـد ... حبـاهم بمـا معنـاه لم يَجْرِ في فِكْـرِ

وحسبـك مـا قـد ذاع من عِلْمِ قـاسم ... وقُـلِّدَ من فـخـر وفُجِّـرَ مـن بَـحْـرِ[4]

[28] / ومهّـد مِنْ مَجْدٍ وجـدّد مِنْ هُـدًى ... وأوْسَـعَ من فضـلٍ وأورث مـن ذكـر

فمن كـان مـرتـابـاً فهـذا محمّـد ... إلى ضـوءه تعشـو البـدور إذا تسري

ويُشْـرِقُ في وجـه الـشـريعـه نُـورُه ... ويُغْنِي ظـلامَ اللّيـل عن طلعـة الفجر

ويمسـح أجفـانـاً مِنَ الحيف جُـرِّحت ... ويكشف عن حقٍّ من الجهـل في سَتْـرِ

الى مَـالَـهُ ممّـا لَـوِ الـدّهـرُ حـاسبٌ ... وقـد رام إحصـاءً لمـا جـاء من نـزر[4]

كَمَـالُـكَ يـا معنى المـديـح وقصـدَه ... ومَنْ وَصْفُـهُ يُهْـدَى الى الشّعـر والنّثر

وَمَنْ بَـارَكَ المـولى على الـدّهـر كُلِّهِ ... بخـطّتـه الميمـونـة السـرِّ والجهـرِ

---

(1) بيت ساقط من التعطير . وفي المخطوط : الأماجد .

(2) في التعطير : « والسدّة التي . . . » .

(3) قاسم والد الشيخ عمر المحجوب وكان « إمام العصر ومرجع الفقه المالكي » ، الإتحاف ، 52/7 . وفي التعطير : « وفخر على فخر » .

(4) بيت ساقط من التعطير ، وهو بعدُ غامض .

وَمَنْ نَشرَ الرّحمانُ من رحماته ... علينا به ما لم يكن قَبْلُ في نشر
وَمَنْ سطعت بَيْضا دلائلُ يُمنه ... فأصبحتِ آلغبراءُ في حُلَلٍ خُضْر
فَيَهْنِي الورى عَيْشٌ بعيشك أَرْغَدٌ ... وإسْعَادُ دَهْرٍ عن سعودك مفترِّ
وعِزٌّ وتأييدٌ بكلّ عناية ... وَأَمْرُكَ مَسْمُوعٌ وَعِزُّكَ في نصر

* * *

45 ـ وقال قدّس سرّه ، مجيباً العلاّمة الشيخ محمّد بن الفقيه السّلاوي عن أبيات اعتذر له بها في ترك الزيارة من أَلَمٍ ألمّ به عام 1804/1218 [كامل][1] :

روحي فداك من الملّم المعتري ... ولَوَ آنّهُ يُبْتاع كنتُ المشتري
وأنا الذي بتخلّفي أصبحتُ في ... نَدَمٍ ، فيا ويلاه إنْ لم تَغْفِرِ !
يا خَيْرَ مَنْ حسد العقودُ قريضَه ... فتناثرت منها صِحَاحُ الجوهر
وأَجَلَّ مَنْ دان القريضُ لطبعه ... وبنثره سَحَرَ النّهى إنْ يُنْثَرِ
5 وأرقُّ مِنْ ساري النّسيم إذا آنْبَرَى ... لُطْفاً وأَسْوَغُ مِنْ زُلال الكوثر
أعني الهُمَامَ ابنَ الفقيه محمّداً ... شيخَ الهُداةِ وقِدْوَةَ آلمستبصر[2]
وَمَنِ آلعلومُ بنقده وذكائه ... تزهو على الحور الحِسَانِ وتجتري[3]
الدّرس لا يَهْوَى سوى تقريرِه ... وسواه لا تَهْوَى مراقي المنبر
[29] / وإذا لِثَامُ الجهل غطّى مشكلا ... كشف اللّثامَ عن الجبين المسفِر
10 ببراعةٍ من دونِ نَيْلِ أقلّها ... حربُ البسوس وهَوْلُ يوم المحشر

---

(1) ألقى الشيخ إبراهيم الرياحي هذه القصيدة في بيت السيّد محمد القرشي بسلا ، وذلك أثناء زيارة الشيخ إلى المغرب سنة 1218 (تعطير النواحي ، 34/1 ومسامرات الظريف ، 177/1 ، مجمع ، 27 أ) .

(2) القدوة بالتثليث والقدية : الأسوة ، وما يُتسَنّن به .

(3) أي : وتجترىء .

يـا عـاذلي في حبّـه قَصِّـرْ فـمـا ... أنـا عن هـواه المستلَذّ بِمُقْصِـرِ
مـا كنت فيـه مُقلِّداً غَيْـرَ الـهـوى ... فَـأَطِلْ مـلامك بعـد ذا أو قَصِّـرِ
إن كنتَ تسمـعُ ما سمعتُ فـانّني ... من حسنـه أبصرتُ مـا لم تُبْصِـرِ
تُسليـك منـه فكـاهـةٌ فكـأنّهـا ... راحٌ بـراحـة أغيـدٍ مُتَـبَخْـتِـرِ
15 ليس الغـريبُ بـأنسـه في غُـرْبَـةٍ ... بـل مَنْ برؤيـة وجهـه لم يـظفـر
حيَّى معـاهـدَ أنسـه بـرقُ الحيـا ... وسَقَى سَلاَ صـوبُ الأغـرّ المُمْطِرِ
بَـلَدٌ بـه سـطعـت لـوامـع نـوره ... فَغَـدَا بِوَجْـهٍ ضـاحـكٍ مُسْتَبْشِـرِ
لا زال منـه الغـربُ مَشْـرِقَ شمسِـه ... وسَـلاَ بـه أبْـهـى وأبْـهَـجَ منـظر
وعليـه من مَحْضِ الـوِدادِ تحيَّـةٌ ... أذكى من المسـك العتيق وعنبـر
20 مـا قـال ذو وَجْـدٍ بحبّـك داعيـا : ... روحي فـداك من الملمّ المعتـري

* * *

46 ـ وقال[1] رضي الله عنه مهنّئاً ومؤرّخاً مولودا [في سنة 1208] سُمِّي زين العابدين [وافر] :

أحَـاديثُ السّـرور لهـا انتشـارُ ... وأركـابُ الهنـا بـالبشر سـاروا
فـلا قـلبٌ تـقـلّبـه هـمـومٌ ... ولا جـبـرٌ يكـدّره آنـكـسـارُ
وروضُ الـدهـر تُضْحِكـه طيـورٌ ... يحـرّكهـا الى السّجـع آدّكـارُ
وصـار الكـونُ ذا طَـرَبٍ فَـأَبـدى ... عجـائبَ ما لنـا عنهـا آصـطبارُ
5 فقلنـا : مـا لِـدُنْيـانـا آستنـارت ... وصـار بها لـدى النّـاس آعتبـارُ ؟
فقـالـوا : كيف يَخْفى عنـك أمـرٌ ... جَهَـالتُـه على آلإنسـان عَـارُ ؟
أتـى من أهـل بيت الـلّه نَجْـلٌ ... بـه لـلدّيـن يَـرْتـفـع آلـمنـارُ
سِـرَاجٌ لـلبـريّـة غَيْـرُ طَـافِـي ... وعـزٌّ لـلبـريّـة وآفـتـخـارُ

---

(1) مجمع ، 42 ب .

[30] / ..... فـوافى والعلومُ لهـا آنتشـارُ[1]

10 ولا تَعْجَبْ إذا ما الأَصْلُ باهى بِفَـرْعٍ منـه تُقْتَـطَفُ الثّمـارُ

فـتىً مـن رشـده لـم يَـرْضَ إلاّ بِـأَنْ يُـنْمَـى الى بَـيْتٍ يُـزَارُ

لـه فـي النّـاس آيـاتٌ تبـدّت عِـظامٌ مـا لِجُمْلَتِهـا آنحصـارُ

فبُشْـرَاكم وبشـرى النّـاس طُـرًّا أَيَـا مَنْ في الكمـال لَهُمْ يُشَـارُ

بمن حـازَ العُـلاَ عَمًّـا وخـالاً وطـاب لـه على النّـاس النِّجـارُ

15 وَإِذْ حـاز الـمـكـارم أرّخـوه : « بـزَيْن العـابـدينَ نمـا فَخَـارُ »[2]

* * *

47 ـ وقال قدّس سرّه مجيباً تلميذه العدل الشيخ محمّد الحشايشيّ عن أبيات زفّها له مع ابنه عثمان ، حين ختم على الشيخ المكودي [كامل][3] :

حلّيت جيـداً عـاطـلاً عـن درّه بـمـدائـح جلّت عُـلىً عَـن قـدره

لـولا عـراقـةُ طيبِ أَصْلِكَ لم أكن مـمّن تـهبّ عـليـه نسـمـة عِـطره

من أين لي وَصْفُ الكمال ، وَفَضْلُكُمْ يَـرْويـه كـلُّ مُحَـدِّثٍ عن بحـره ؟

وَكَفَـاكُمُ آلشّـورى إذا لم يَـكْفِـكُمْ بَيْتٌ، كتـابُ اللّه جـاء بِـطُهْـرِه[4]

5 فـلكم مـودّتُنـا ولكـن صَـفْـوُهـا قَصْـرٌ على عثمـاننـا في عصـره

فله الـرّضى من ربّنـا ولـه الـهنـا وبـلوغُـه مـا يَـرْتجي مـن دهـره

---

(1) الصدر ساقط من المخطوط ومن المجمع ، 42 ب .

(2) الحساب يفضي الى سنة 1208 .

(3) مجمع ، 45 أ ، التعطير ، 138/2 ومجموع ح.ح. عبـد الوهـاب 18841 (بيتان فقط) . والعـالم الفقيه محمد الحشايشيّ تولّى فيما تولّى قضاء الفريضة . وتـوفّي سنة 1821 ، الإتحـاف ، 125/7 . والمكودي (ت 807) هو صاحب شرح الألفيّة .

(4) من هذا يفهم أنّ الحشائشي من الشرفاء آل البيت .

والـلّه يمـنَحُـه الـعلومَ بـأسـرهـا ويـسـرّه بـرقـائـقٍ مـن سـرّه

* * *

48 ـ وقال رضي الله عنه مجيباً الشيخ العلاّمة محمّد بن الشيخ صالح الكـوّاش عن مطلب مع ابنه أبي بكر [طويل][1] :

لِـطُلاّبٍ مـا تهـوى النفـوسُ مـذاهبُ ومن مـذهبي في نَيْلها طـاعـةُ الصّبـر
وحيث ، أبـا بـكـر ، جُعِـلْتَ وسيـلةً فمـا خـاب مـطلوبٌ وفيـه أبـو بكـر

* * *

49 ـ وقال[2] شكر الله سعيَه يذمّ شهود الوثيقة [بسيط] :

[31] / قـد نـال ذلـك أقـوامٌ مُجَلْمَـدَةٌ لا يكسبـون لَعَمْـرِي قـدرَ قـطميـرِ
ونـاب عن قُبـحِ آدابٍ ومعـرفـةٍ بِيضُ الـدّراهم أو صُفْـرُ الـدّنـانيـر

* * *

50 ـ وقال رحمه الله ورضي الله عنه مضمّنا [طويل] :

وإنّـي وإنْ رَامَ الـعـداء مـهـانـتـي بِـإفْـكٍ لَـبَـدْرٌ في الـظّلام يُـنِيـرُ
ومـا قـولـهـم إلاّ طـنـيـنُ ذبـابـةٍ « أطنينُ أَجْنِحَـة الذُّبَـابِ يَضِيرُ ؟ »[3]

* * *

---

(1) مجمع ، 45 ب . والشيخ محمّد الكوّاش كـان مدرّساً بجامـع الزيتـونة ، وتـوفّي بالـطاعون سنـة 1817 (الإتحاف ، 105/7) .

(2) مجمع ، 45 ب .

(3) البيت الشاهد صدره : « فدع الوعيد فما وعيدك ضائري » (البلاغة الواضحة لعلي الجـارم ، (201) ، وهو من الكامل ، خلافاً لنظم الشيخ . ونسبه الهادي حمّودة الغزّي : الأدب التونسيّ . . . 240 الى أبي تمّام ، ولم نجده في ديوانه ولا في أخباره . والبيتان في التعطير 72/1 ، ولكنّهما مفقودان من المجمع .

51 ـ وقال رضي الله عنه يرثي الوزير شاكير الكبير [كامل][1] :

هذا مَآلُ الحيّ من كلّ الورى ... فآنْظُرْ له ببصيرة كيما تَرَى

هذا ضريحٌ حَلَّهُ شاكِيرُ ، مَنْ ... هصر المنى والعزّ غُصْناً مُثْمِرَا

يَا كَمْ علا عند الملوك مكانةً ... وَلَكَمْ حَلاَ بين البريّة منظرا

ثم آسْتَجَابَ حمامَه لما دعا ... وبباب ذي المِنَنِ الجزيلة قد عرى

5 فَآدْعُ الإلَه وقُلْ وأنت مؤرّخ : ... « ضيف ببابك لاح مُرْتَجِيَ ٱلْقِرَى »[2]

* * *

52 ـ قال قدّس سرّه يرثي شيخه المفتي الخطيب العلاّمة الشيخ سيدي الطاهر بن مسعود ، أسكنه دار الخلود [كامل][3] :

كَأْسُ الحمام المرّ دائرْ ... لم يَأْلُ في شقّ المرائرْ

آلى بصدق أَلِيَّةٍ ... يسقي الأوائل والأواخر[4]

لو كان يسلَم فاضلٌ ... لأقام في النّاجين طاهر

ذاك الإمامُ المرتضى ... حاوي المآثر والمفاخر

5 مِنْ خَفْقِ نُورِ أسرَّة ... طلعت به حَسَنَ السّرائر

وشمائلٌ نبويّةٌ ... ريح الصّلاة بهنّ عاطر

جَرَحَ القلوبَ مُصَابُه ... ما كان يجرح بالمنابر

يا جامع الزّيتونة الـ ... ـبَيْتَ العتيقَ أأنت صابر ؟

---

(1) الوزير محمّد شاكير صاحب الطابع مات مخنوقا سنة 1253 (الإتحاف ، 28/8) .

(2) مجموع حروف الشطر لا يوافق تاريخ 1253 ، حتى إنْ عوّضنا لاح بجاء . وفي المجمع ، 25 ب و 40 ب (مكرّرة) كتب التاريخ رقماً : 1241.

(3) التعطير، 92/1، مجمع، 36 ب . والشيخ الطاهر بن مسعود تولّى التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة السليمانية، وقد كان الشيخ ابراهيم الرياحي من أبرز تلاميذه. كما تولّى الإمامة بالجامع الأعظم عوضاً عن الشيخ عمر المحجوب. وتوفي في صفر 1234 / ديسمبر 1818 (الإتحاف ، 108/7) .

(4) الأَلِيَّةُ : القَسَمُ .

[32] / وسراجُك الوهّاجُ قد نقلوه عنك الى المقابر

مَنْ كان فيك يقُومُ مِنْ تعليمه نشر العنابر

من كان فيك علومه تجلو بِصَيْقَلِهَا البصائر

إن قال : قال اللّه ، فالـ كشّاف للأسرار حاضر

أو قال : قال المصطفى ، فآسْمَعْ الى تلك الجواهر

أو قال : مذهب مالك بُهِتَ المُسَلِّمُ والمُنَاظِر

لهفَ المدارس والمسا جد والمنابر والمحابر

عطّلتها فبمن تُرَى يا نَجْلَ مَسْعُودٍ عوامر ؟

لَهَفُ الأنام مُضَاعَفٌ ولديّ حَظٌّ منه وافر

لكن يُهَوِّنُ بَعْضَهُ رضوانُ أنت اليه صائر

خلّفت حَمْداً ناصعاً ووجدت ما تهوى الضّمائر

يا زائرا يَهْنِيكَ ما قد نِلْتَ ممّن أنت زائر

آبْشِرْ وَسَلْ ما تبتغي فاللّه جلّ عليه قادر

وآعجب لقول مُؤَرِّخٍ : تبكي السّماء لفَقْدِ طاهر[1]

1234

* * *

53 ـ وقال رضي الله عنه يرثي المفتي الخطيب الشيخ أحمد البارودي ، وكانت وفاته في 22 من شهر شوال 7/1229 اكتوبر 1814 [كامل][2] :

عِشْ ما تشاءُ لذاذةً وحبورا إنّ القصورَ ستستحيلُ قُبورا

(1) في المخطوط : لموت . والإصلاح من التعطير ومن المجمع ، ويوافق الحساب .

(2) الشيخ أحمد بن حسين البارودي من كبار علماء جامع الزيتونة ، تولّى التدريس ثم الفتوى والخطابة بجامع باردو ، انظر ترجمته في الإتحاف ، 86/7 .

يـا غـافـلاً لـم ينتبـه لِـمُـذَكِّـرٍ أَفَمـا كفى داعي المنونِ نَـذيرا ؟
كـم مـن رفـيـع فـي أَسِـرَّةِ عِـزِّهِ خـفضـوه فـي ذلّ التّـراب أسـيـرا
وَبِـمَـوْتِ أهـل العلم أبلغُ واعظ يهـدي الى كـون الـحيـاة مـرورا
5 وبهـا اَعْتَبِرْ فضـريحُ أحمـدكم طُوِي بِـمُـغَـيَّـبٍ فـي طَـيِّـهِ مـنـشـورا
[32] / غَـرَبَـتْ لِبَـارُودِ يِّـهِنّ مـحـاسن يـا طـالمـا أَشْـرَقْنَ فيـه بـدورا
قـد كـان في وجـه المحـافـل غُـرَّةً وعلى المنـابـر قُسَّهـا المـشهـورا
ولـطالمـا قَـرَعَتْ زواجـرُ وَعـظِهِ صُمًّـا وماذا قـد شـرحن صـدورا
أمّـا إذا يـتـلو الـكـتـاب فـإنّـه يهـدي لِأَمْـوَاتِ القلوبِ نشـورا[1]
10 عَظُمَ المُصابُ به وأحرى مـذهب الـ ـنُّعمـانِ إِذْ لهُـدَاهُ كـان نصيـرا[2]
ركـدت ريـاح زئـيـره فـكـأنّـه مـا كـان ليثـاً في الـرّجـال هَصورا
إنْ يَمْضِ فهـو سبيلنـا وَمَنِ آلـذي كَتَبَتْ لـه يُمْـنَى الـخلود ظـهيـرا[3]
لبّى الـمُنَـادِيَ واستجـاب لـربّـه يـرجـو رضـاه وفَضْلَهُ المـوفـورا
يـا رَبِّ حَـقِّقْ فيـه قَـوْلَ مؤرّخ : ألقـاه وجهـك نضـرة وسـرورا[4]

1229

* * *

(1) هذا البيت ساقط من المخطوط ، وهو من مجموع ح.ح. عبد الوهّاب ومن المجمع ، 38 ب .
(2) الشيخ البارودي تركيّ الأصل ، فكان حنفيّ المذهب .
(3) الظهير : المرسوم السلطاني ، والكلمة بهذا المعنى مغربيّة خاصّة .
(4) يوافق حساب الجمّل تاريخ 1229 ، إذا ما أسندنا الى التاء من « نضرة » عدد الهاء : 5 .

حـرف الـزّاي

54 ـ وقال قدّس سرّه ، مخاطباً شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث ، في شـأن العدل الشيخ منصور الورغمّي ، على أن لا يلزمه لبس الملّوسـة ، حين أمر العـدول بلبسها [كامل][1] :

كَبُـرَت عـليـهـم إنـهـا لـكـبـيـرةٌ ... مـنـصـوبَـةٌ عَـلَـمـاً على الـتـمـيـيـز
فتفـرّقـوا أيـدي سبـأ في حملهـا ... والخُلْفُ بين النّـاس غيـر عـزيـز
فـعـلى فـريـق مِـنْـهُـمُ هـي مُـثْـلَـةٌ ... ولـبـعـضـهـم زُلفـى الـى الـتـبـريـز
أمـا بـنـو ورغـمَّـة فَـفَـقَـيـهُـهُـمْ ... لم يَجْـر مَـذْهَبُـه على التجويـز[2]
5 فـلذاك أَمَّ حِـمَـاكَ عِـلْـمـاً أنّ مَـنْ ... يـأتيـه في حِـرْزٍ هـنـاك حـريـزِ
فَـأَجِـرْهُ من هَمْـزٍ ومن لَمْـزٍ بهـا ... مـا حـالـة الملمـوز والمهـمـوز
لا زلـتمُ كـهفـاً يُـلَاذُ بـمـجـدكـم ... فينـال فـوق القصـد كـلَّ عـزيـز[3]

* * *

---

(1) التعطير ، 96/1 ومسامرات الظريف ، 223/1 والمجمع ، 43 ب . والملّوسة عمامة كبيرة من أصل تركي يختصّ بلبسها رجال الشرع وبعض العلماء .

(2) ورغمّة هي قبيلة في الجنوب الشرقي من البلاد التونسيّة .

(3) فأجابه شيخ الإسلام بقوله :

يـا أيّـهـا العَـلَـم الـذي حـسـنـاتـه ... شـرفـت بـطلعتـهـا عـلى الإبـريـز
وجّـهت لـي دُرَراً يُضـيء بـحـسـنـهـا ... أهـل الصّيـاغـة من أولي الـتـبـريـز
فعـرفت مـطلبَـهـا ، ونَيْـلُ مـرامهـا ... سـهـلٌ يـمـيـنَ الـلّه غـيـر عـزيـز
فعليـه تـأخـيـر الـعـمـامـة بـرهـةً ... حـتى يـكـون الـقـول فـي الـتـمـيـيـز

(التعطير ، 96/1) .

55 ـ وقال قدّس سرّه العزيز موريا بالطّبوع [وافر][1]:

[34] / غَـزَالٌ خـدّه غنّى « حُسَيْنَـاً » وعـارِضُه تـرنّمَ « بـالحجـازِ »
« صبا » « عشّاقه » لحنين « رَصْدٍ » فـأصبح « بـالنّوى » فيهم يجـازي
أعـرّفـه الحقيقـةَ مـن غـرامي فَيَعْـدِلُ لـلكنـايـة والـمـجـازِ

* * *

(1) مجمع ، 6 ب . والطّبوع هي المقامات الموسيقية من أصبهان وحسين وعشّاق وغيرها .

حرف الكـاف

56 ـ وقال قدّس سرّه يمدح المشير الأوّل أحمد باي ، حين أجرى المرتّب لأهل المجلس الشرعي المالكي من دار الباشا ، وذلك عام 1840/1255 [طويل][1] :

جَبَرْتَ بإحسانٍ لمذهب مَالِكِ ... قلوباً كَوَاهَا ٱلْكَسْرُ ، يا خَيْرَ مَالِكِ
وما جَبْرُهَا نَيْلُ الحُطَامِ وإنّما ... بتنوير لَيْلٍ من دُجَى ٱلْحَيْفِ حَالِكِ
تَدَارَكْتَ تفريطاً من النّاس غَفْلَةً ... وَكَمْ لَكَ من رأيٍ عزيزِ المدارك
فَسَوَّيْتَ ما بين الأفاضل رُتْبَةً ... فَهُمْ من بِساط العدل فوقَ أرائك
أتَيْتَ بمقياسٍ عزيزٍ تباشَرَتْ ... بفرحته الأرواحُ من كلّ ناسك
يميناً لَوِ ٱلنُّعْمانُ قُرِّرَ عنده ... لَقُرَّ بِهِ عَيْناً ولست بآفِكِ[2]
جرى لَبَنٌ من ثَدْيِ أَحْمَدَ فارتوى ... به حنفيٌّ في الإخاء ومالكي
بما أَوْدَعَ الرَّحْمَانُ فيه ، وما يُرَى ... لِسَيِّدِنا الباشا به من مُشارِكِ[3]
أدامَ لنا المولى سَعَادَةَ جَدِّه ... بوجهٍ وجيهٍ بَاسِمِ الثّغرِ ضَاحِكِ
وأيّامُهُ يُرْوى صَحِيحُ حديثِهَا ... عن العزّ عن نَصْرٍ له مُتَدَارِكِ

* * *

(1) مجمع ، 21 ب ، التعطير ، 155/1 والإتحاف /53 . وقال ابن أبي الضياف مشيراً إلى قرار المشير أحمد باي الأوّل : « جعل لعلماء المالكيّة مرتّباً مع الجند النّظامي ، مثل مرتّب الفقهاءِ الحنفيّة مع جند الترك ، دفعاً لما عسى أن يُتَوَهَّم من الحيف في عدم التسوية » .

(2) أي أبو حنيفة النّعمان الذي تنتسب الى مذهبه العائلة الحسينيّة وجند التّرك عامّة .

(3) سقط هذا البيت من التعطير وثبت بالإتحاف .

57 ـ وقال رضي الله عنه وأرضاه مهنّئاً شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث بزفاف ابنته للمشير الثاني محمّد باي [ابن حسين باي] في شعبان من عام 1249 / جانفي 1834 [وافر][1] :

سلامٌ طَيِّبٌ كالمسك صَائِكْ ... على العَلَمِ الشّهير وَمَنْ هُنَالِكْ
ولله الذي هنّاكَ حَمْدٌ ... على تيسيره صَعْبَ المَسَالِكْ
[35] / فإنّك قد رَكِبْتَ من المعالي ... فنوناً غير صاحِبِهنّ هَالِكْ
فقمتَ لها قيامَ ذوي آهتمامٍ ... لَهُمْ في نَيْلِ أَفْضَلِهَا مَدَارِكْ
5 وبالله آسْتَعَنْتَ فكان عَوْناً ... وأهل العلم مثلك أهل ذَلِكْ
فجَاءَتْ مثل ما يَهْوَى مُحِبٌّ ... ينادي بالدُّعَا : اللَّهُمَّ بَارِكْ !
فيا لك من هناءٍ نِلْتَ منه ... سُرُورَ الوَصْلِ من حبّ مُتَارِكْ
أدَامَ اللّهُ عزَّكَ في مزيدٍ ... وَحُسْنَكَ في الوجود بلا مُشَارِكْ

* * *

58 ـ وقال قدّس سرّه ، يرثي رئيس الفتيا الشيخ اسماعيل التّميمي رحمه الله يوم الخميس 16 جمادي الأولى 1248 [طويل][2] :

هل الحيُّ إلاّ هَالِكٌ وابنُ هَالِكِ ... وعزُّ البقا للّه غَيْرَ مُشَارِكِ
ولو أنّه يبقى على الدّهرِ ماجدٌ ... لكان لنحريرٍ عزيزِ المدارِكِ
كهذا الذي أمسى الثّرى مُتَوَسِّداً ... ونجمُ الثّريّا منه تحت أرائِكِ

---

(1) مجمع ، 43أ ، التعطير، 128/1 . راجع القصيدة رقم 26 التي هنّأ بها حسين باي بنفس المناسبة . والمشير محمّد باي قد تولّى الملك ، خلفاً عن ابن عمه المشير الأوّل أحمد باي ، من 1855 الى 1859.

(2) مجمع ، 37 ب ، وفيه : هل الناسُ إلاّ . . . وانظر ترجمة الشيخ إسماعيل التميمي في الإتحاف ، 8/11-12-13 . وقد ذكر ابن أبي الضياف أنه توفّي في الخامس عشر من جمادي الأولى سنة 1248 (الأربعاء 10 اكتوبر 1832) ، وعوّضه الشيخ إبراهيم الرياحي في خطة كبير أهل الشورى بالمجلس الشرعي بالحاضرة (باش مفتي المالكيّة) .

لقد كان سيفاً في الشريعة صَارِماً ونُورَ ظلامٍ في الجهالة حَالِكِ
إذا نشر التحقيق في روض درسه فَيَا لَكَ من نشرٍ من المسك صائك
ومهما دعا في موقف الفهم باركا على غيره جاءت له غير بارك
قضاياه في جيد القضاءِ قلائد فتاواه تيجانٌ لمذهب مالك
إذا قال إسماعيل فالكلُّ مُنْصِتٌ لِأَجْزَلِ معنىً من صياغة سابك
مشى ذكرُه في العَالَمِينَ كما مَشَتْ ذُكاءُ ، ولكن ذكرُه غيرُ دَالِكِ[1]
إلى رحمة المولى مضى وهو آمِلٌ لِمَقْعَدِ صِدْقٍ عند أَكْرَمِ مَالِكِ
ولمّا مضى أبكى القلوبَ توجُّعاً وإنْ كان ذا وَجْهٍ من ٱلْبِشْرِ ضاحِكِ
وعمّ الأسى حتّى لِسَاعةِ دَفْنِهِ بكى ٱلْمُزْنُ وَبْلاً بالدّموع السّوابكِ
لذاك تأتّى أن يقول مُؤَرِّخٌ : لِعَيْنِ السّمَا جَرْيٌ على قبر مالك[2]

1248

* * *

(1) دلوك الشمس غروبها ، وذُكاءُ هي الشمس .
(2) حساب الجمّل يوافق التاريخ 1248 . ويبدو أنّ الجنازة شيّعت في يوم ممطر .

حرف اللاّم

59 ـ وقال رضي الله عنه ، مصدّراً قصيدة الشيخ سيدي محمّد البكري الصدّيقي رضي الله عنه ، باقتراح شيخ الإسلام [بالأستانة] أحمد عارف [سريع][1] :

حمداً لربّي قبل ما أَسْأَلُ ... وكلّ عَالٍ دونه أَسْفَلُ
ثم صلاة اللّه من بَعْدِهَا ... أذكى سلامٍ عاطرٍ يُرْسَلُ
أهديهما للمصطفى المُجْتَبَى ... وكِلّ مَنْ في دينه يدخل
هذا وما للعبد لا سيّما ... مَنْ ظهرُه مِن ذَنبه مُثْقَلُ
5 إلاّ حِمَى طَهَ شفيعِ الورى ... في مَوْقِفٍ أهوالُه أَهْوَلُ
يوم يقول الرُّسْلُ : أنتَ لها ... وكلُّهم من هوله يَوْجل
فعندما ينهض خيرُ الورى ... يحمد ربَّ العرش إذْ يسأل
إذا النِّدَا من ربّه ذي العلا : ... محمّدٌ ! بلغتَ ما تأمل
فَفَرَّجَ اللّه به كَرْبَهُمْ ... وكم به من كربة تخذل
10 وعبدُكَ الرّاجي له كربة ... أعيى علاجي دَاؤُهَا المُعْضِلُ
إنّي أرى الهجران لي واصلاً ... وإنّ في الهجران ما يقتل
فبالذي حلاّكَ من نعمة ... أَبْهَى حُلًى لم يُعْطَها مُرْسَلُ

---

(1) مجمع ، 2 أ ، والبيت الأخير منه . وقدّم صاحب تعطير النواحي بما يلي :
« يقول الفقير الى ربّه تعالى إبراهيم الرّياحي إنّه لما رأيت قصيدة سيّدي محمد البكري غير مفتتحة بالحمد والصّلاة ، حملني ذلك على تصديرها بالحمد والصّلاة ليكون ذلك أوفق لاتّباع السنّة وأقرب للإجابة » . (التعطير ، 63/1) .

وحـلّة الـرّحـمـة مَـعْ رأفـةٍ يُـتْـلَى عـلـيـنـا نـصُّـهـا الـمُـنَـزَّلُ
صِـلْـني لـوجـه الـلّه حـتـى ولـو لَـمْ أَكُ أهـلاً لـلّذي أسـأل
15 فـجـودُك الـغـيـثُ أمـا إنّـه فـي كـلّ أرضٍ مُـطْلَقـاً يَـنْـزِلُ
ونـورُك الـشّـمس ومـا ضَـوْؤُهَـا يختصّ مـا يـختصّ بـل يـشمـل
ورحـمـة الـلّه عـلى قـائـلٍ منـه عـلا في حـقّـك الـمَـقْـوَلُ
هـذا وظـنّـي فـيـك مُـكْـتَـمِـلٌ وأنـت عـنـد الـظنّ بـل أَكْـمَـلُ
مـا أَرْسَـلَ الـرحمـانُ أو يُـرسِـل مـن رحـمـةٍ تـصـعـد أو تـنـزل

* * *

[37] 60 ـ وقال تغمّده الله برضوانه ، يمدح خير ممدوح سيّد الوجود صلّى الله/عليه وعلى آله وصحبه في حجّته الأولى [1241] وسمّاها المواجهة [بسيط] :

عليك أزكى سَلَامٍ يا ضيا المُقَلِ ومَنْ رِضـاهُ علينـا غـايـةُ الأَمَـلِ
عـلـيـك أشـرفُ تسليمٍ وأَطْيَبُـهُ بحيث تغدو لـه الأعـطارُ في خَجَلِ
عـلـيـك أجْـمَـلُ تـسـلـيـم وأَكْمَـلُهُ وهـل لـقـدرك إلّا كـلّ مُكْتَمَـلِ
يـا سيّـدي يـا شفيـعَ الخلقِ قـاطبـةً يـومـاً إليها يَـدُ الإرسـال لَمْ تَصِلِ

ثم بدّل الأبيات المتقدّمة أعلاه[1] :

5 مِسْكُ الصّلاة وأعـطارُ السّلام تَلِي عليكَ تغدو لهـا الأطيابُ في خَجَلِ
يـا رحمـةً أُهْـدِيَتْ للعـالَمين هُـدىً لـو لم تكن لم يكن كَوْنٌ بـديـع حلي
يـا سيّـدي يـا شفيـعَ الخلقِ قـاطبـةً إذ قـول كـلّ رسـول ليس ذلـك لِي
إنّـا أتـيـنـاك فـي ظُـلْـمٍ لأنـفـسـنـا مستغفـرين من الأثقـال في وَجَـلِ
فـآنـظُرْ لـزَوْرِكَ وآستَغْفِـرْ لهم كَـرَمـاً فـإنّ فـضلك بـالإقـبـال لم يَـزَلِ

---

(1) التعطير ، 103/1 وعنوان الأريب 95/2 ومجمع ، 3 ب .

10 إنّا ضيوفُكَ يا خَيْرَ الأنام قِرىً ذوُو آفتقارٍ إلى ما منك من نُزُلِ
جئناك من شَاسِعِ الأقطار يحملُنا حُسْنُ الرّجَاءِ إلى إحسانك الهَطِلِ [1]
لم نَعْدَمِ ٱلْفَضْلَ مِنْ بُعْدٍ فكيف وقد صِرْنَا بقربك مثل الشّمس في الحَمَلِ؟
يا رحمةَ اللّه في كلّ العوالم، يا محمّدُ، أحمدُ، يا أفضلَ الرّسل
أَتيْتَ بالحقّ مِن عندِ الإلٰه فما أَخْلَدْتَ فيه إلى عَجْزٍ ولا كسل
15 جاهدتَ حَقَّ جهادٍ في رضاه الى أن أَشْرَقَ الدّينُ في سهل وفي جبل
وقمتَ للّه في تبليغ ملّته لم تَخْشَ يوماً ولم تحفل بِمُنْخَذِل
حتّى غَدَتْ مِلّةُ الإسلام ظاهرةً تعلو على سائر الأديان والمِلَلِ
وذاك مِصْداقُ ما يُتلى لِيُظْهِرَه برغم مَعْطَسِ أهل الكفر والخبل
طوبى لِمُتَّبِعٍ نوراً أتيتَ به يُمشى به في رياض العلم والعمل
[3] 20/ وَوَيْلُ مَنْ لم يُقم رأسا به فغدا من خُسرِه في مهاوي الزَّيْغ والزّلل
ها نحن بين يَدَيْ نجواك نشهَدأنْ لا ربَّ للخلق إلّا الواحدُ الأزلي
وأنّكَ الرحمةُ المُهداةُ منه لِمَنْ سواه كيْ يستقيم الأمر عن مَيَل
وأنّ كلَّ الذي بلَّغْتَ من نبإ حقٌّ وصدقٌ على التفصيل والجُمَل
25 هٰذي شهادتُنا ذُخْرِي لديك وَمَنْ يستودعِ المصطفى ما خاب في أمل
نعَم ولي حاجةٌ في القلب تعلمُها لا عَيْشَ لي دونها فآسْمَحْ بعيشك لي
نعَم وأخرى وقد جلّت ولستُ لها أهلاً وأنت الذي نرجوه لِلْجَلَل
ياكم قصدتُ لها مِمَّنْ يَضِنُّ بها فكنتُ أَقْنَعُ بعد اليأس بالقفل
والآن جئتُك لا أُلوي على أحدٍ أنت الجواد الذي يُعطي بلا مَهَل
30 آنظر لذُلّي بسُقم الحبّ عنك فإن تَنْظُرْ رفلتُ بعزّ الوصل في حُلَل

---

(1) في التعطير : « إلى إفضالك » .

وآرحم فؤاداً بِنـار الفقـد مصـطليـاً ... وآنـظر لدمـعٍ من الخسـران منهمـل

طـالت ليالي الجفـا منّي وقد قصـرت ... يـداي عن نـزع مـا أُلْبِسْتُ من عِلَل

يا سيّدي، العمرُ قد ولّى ومـا ظفِرَتْ ... يـدي بِنَيْـلِ الـذي أعيَتْ لـه حِيَلى

إنّي تـوسّلت بـالأَسْمَـا وأَعْـظَمِهَـا ... وكـلِّ أمْـرٍ يُـرى من أعـظم الـوصـل

35 هَبْ لي وِصـالا على مرّ اللّيـالي لكي ... أمـوتَ والقلبُ في سُكـرٍ من الجـذل

عليكَ صلّى الذي في الذكر قال لنـا: ... صلُّوا بِـدَمْـعٍ مـع التّسليم متّصـل[1]

وسلّم الـلّه تسـليمـاً يـفـوح لـه ... مِسْكُ الختام مع الإشراق والـطّفَل[2]

ثم الرّضى عن أبي بكر وعن عمـرٍ ... وذي الحياء أبي عمرو، كذاك علي[3]

وكـلّ من بـك، يـا خيـرَ الأنـام، لـه ... تعلّقٌ بـانتسـابٍ غَـيْـرِ مُنْـفَصِـلِ

* * *

[39] 61 ـ وقال قدّس سرّه يمدح « فتح المتعال في فضل/النّعال » ، نسخه لصديقه الوزير يوسف صاحب الطابع عام 1802/1217 [خفيف][4] :

يـا مثـالَ النّعـال تفـديـك نفسي ... من مثـال لم يحـكِـه من مـثـال

فـزتَ منهـا بنسبـةٍ ذاتِ وصـل ... تقتضي أن تُجَـلَّ مثـلَ الـنّعـال

فـهنيئـاً بِكَـوْنِ مـثـلك كـانـت ... مَوْطِىءَ المصطفى الكريمِ الخِلال

---

(1) في التعطير : « بأمر من . . . » .

(2) الطفَل هنا : غروب الشمس .

(3) هؤلاء الراشدون الأربعة .

(4) التعطير 18/1 ومجمـع ، 23 أ وكنّش الطواحني ، 18763 . وجـاء في هذا الكنّش في تقـديم القصيدة مـا يلي : « الحمـد لله ، وقد وقفت بخطّ والـدي نعّمه الله : كتـاب فتح المتعـالي في مثـال النِّعـال للشيـخ المقري كتبه الشيخ العلامة شيخ الإسلام البركة سيدي إبـراهيم الريـاحي للوزير المرحوم المنعم السيـد يوسف خوجة الشهير بصاحب الطابع رحمه الله، وفي آخره ما نصّه. . . ». والمقرّي صاحب الكتاب هـو مؤلف نفح الطيب. انظر ج 415/2 من طبعة إحسان عبّاس.

وهنيئاً لمشتفٍ منك يوماً ... طالما عاقه حدودُ اللّيالي

5 مُدْنفٍ قد بَرَاهُ شوقٌ فأضحى ... كالهلال الجديد بل كالخيال

قبّل الوجنتين منك بوجد ... واقتضى ما اقتضى بطيب وِصَال

واشتكى سائلاً إليك فولّى ... غانما ظافرا بُنجح السؤال

إنّما أنت آيةٌ كلَّ حين ... يجتديك الورى لضيق المجال

آيةٌ للرّسول تبقَى وكم مِنْ ... آيةٍ للرّسول ذاتِ اتّصال

10 قد حكَتك العصا بتنويع سُؤْلٍ ... غير أنّ العصا غَدَت في زوال

والعصا خُصّصَتْ بموسى ولكن ... عمّ كلَّ العبادِ نفعُ المثال

فانظرِ الفضلَ يا أخا الفضل وآعْلَمْ ... أنّ فضل النبيّ في كلّ حال

يا نبيَّ الهدى وخَيْرَ كريمٍ ... باسطاً كفَّهُ لبذلِ النَّوَال

ومُرَجَّى الورى إذا عمّ خَطْبٌ ... ظنّ منه البريءُ نَيْلَ النّكال

15 يوم لا ينفعُ الخليقةَ شيءٌ ... غَيْرَ تقديم صالحِ الأعمال

إنّ لي مطلبا وليس سوى أن ... تقبلَ الخوجةَ الحميدَ الفعال[1]

تَرتَضِيه لنَيل أجرٍ وعفوٍ ... وفسيحٍ من القصور العوالي

وجِوارٍ في عِلّيّين إذا ما ... عمّ أهلَ الوقوف خوفُ الوبال

وتُرِيه يا أكْرَمَ الخلق وجهاً ... حاز مَنْ قد رآه كلَّ المعالي

20 صاحبُ الطّابع المُعَلَّى مُحِبٌّ ... فيكَ يبغي رضاكَ يا خيرَ عال

[40] / فُنُقٌ صالحٌ رؤوفٌ رحيمٌ ... يبتغي من نداك حسن المآل[2]

فَاكْسُه من رضاك سِتْراً عميماً ... سابغاً ضافياً وفيَّ الكمال

---

(1) الخوجة هو الوزير يوسف صاحب الطابع .

(2) الكلمة الأولى غير مفهومة فآخترنا « فُنق » بمعنى الفنيق أي : الفحْل الكريم الذي لا يذلّ (اللّسان : فنق) .

وصـلاةٌ عـلى الـرّسـول دوامـاً عَـرْفُـهـا شـامـلٌ لِصَـحْبٍ وآل

* * *

62 ـ وقال منحه الله رضوانه ، وأسكنه فسيح جنانه ، مهنّئاً سلطان المغرب مولاي سليمان بقدوم ابنه الوزير مولاي إبراهيم العلوي من الحجّ عام 1813/1228 [كامل][1] :

هـذا الـمنى فـانعم بـطيب وِصـال فـلطالـمـا أضـنـاك طـول مِـطَال
مـاذا وكـم أوليـتَـني يـا مُـخـبِـري بـقـدومـه مـن مـنّـةٍ ونَـوَالِ
بشّـرتَني بـآبن الـرّسـول لَـوَآنّـمـا روحـي ملكـتُ بـذلتُـهـا في الـحـال
بـشّـرتَني بحيـاتيَ الـعـظمى الـتي قـد كنتُ أحسَبُـهـا حـديثَ خيـال
5 بشّـرتَني بسُـلالـةِ الـخلفـاءِ، مَـنْ أمـداحـهـم تُـثْـني بـكـلّ مـقـال[2]
مَنْ حُبُّهم فَـرَضَ الكتـابُ، ألا تَـرَى إلاّ الـمـودّةَ حـين يـتـلو الـتـالـي؟
مَـنْ ضَمَّـهُمْ شَـمْـلُ العَبـاء وأُذهِبُـوا رِجْساً، فيـا لـك من مقامٍ عَـالِ![3]
مَـنْ قَـوَّمُـوا أَوَدَ المكـارم بـعـدمـا شـادوا الـهـدى بمـعـارف ونـبـال[4]
لَـوْلاَهُـمُ كـان الـورى فـي ظُـلْمَـةٍ مـرّت غَـيَـاهِبُـهـا بـكـلّ ضـلاَل
10 آبـاءَكَ الأطـهـارَ أَقْـصِـدُ يـا أبـا إسحـاقَ يـا نَجْـلَ المليـك العـالي

---

(1) مجمع ، 13 ب ، الإستقصاء ، 125/8 ، والتعطير ، 78/1 . وفيه أنّه « قد شاع الخبر بأنّه [مولاي إبراهيم] يقصد المرور على طريق تونس ، فاستحضر له الشيخ رضي الله عنه قصيدة ليتلقّاه بها . لكن تبيّن أنه رجع من حجّه الى حاضرة فاس ، فأرسلها الى حضرة مولاي سليمان » .
وقال في الاستقصاء : « إنه بعث بقصيدة رائقة الى والده السلطان يمدح النّجل المذكور ويُهنّئه بالقدوم ، وألمّ فيها بذكر السلطان ، فأعجبته وهزّت من عِطفه ، وأمر كتّاب دولته أن يأخذوا منها نسخاً ، ونثرها بعضهم » .

(2) في المخطوطة بخلاصة الأشراف . وأخذنا بقراءة الناصري . وكذلك تثني عوض : تتلى .

(3) أصحاب العباءة هم أصحاب الكساء . وفي البيت تلميح الى الآية : « إنّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ » (الأحزاب 33) .

(4) في الاستقصاء : ونصال .

يـا حِـبَّـهُ وصَـفِـيَّـهُ مـن قـومـه ... وخـيـارَه مـن سـائـر الأنـجـال

لـو لـم تـكـن أهْـلاً لِـصَـفْـوِ وِدَادِه ... لـم يَـسْـتَـنِـبْـكَ لجدّكَ الـمـفـضـال

لـكـن تَـوَسَّـمَ فـيـكَ كـلَّ فـضـيـلة ... فَـحَـبَـا يـمـيـنَـك رايـةَ الإقـبـال

[41] / وأقـام جـودَكَ بـل وُجُـودُكَ زَادُ مَنْ ... يـبـغـي بـبـيـت الـلّه حَطَّ رِحـال

15 أنت آستـطاعَتُهُمْ فما عُـذْرُ الـذي ... تـرك الـزّيـارةَ خِـيـفـةَ الإقـلال؟

وبـك المشـاعـرُ أُطْـرِبَتْ طَـرَبَ التي ... وجـدت عـلى وَلَـهٍ فَقِـيـدَ فصـال[1]

ووصـلتَهـا رَحِـمـاً هنـاك قـطـيـعـةً ... دهـراً مـضـى وبَـلَلْتَـهَـا بـبـلال

وتَـأَنَّسَ الـحَـرَمـانِ منـك بـطلعـةٍ ... أغْـنَـتْـهـمـا عـن وابـلٍ هـطّال

كَـرَمٌ لَـكُـمْ أدريـه يَـوْمَ أفـاضَـهُ ... عـنّـي سـلـيـمَـانُ بـأيّ سـجـال

20 وَهَـبَ الألـوفَ وكـان أكـرمَ مُـنْـزِلٍ ... يُـسْـلِي الـغـريـبَ بِـبِـرّه الـمـتـوالـي

يـومَ الـتـشـرّفِ لـي بـلَـثـم يـمـيـنـه ... وتـمـتّـعـي مِـنْ وجـهـه بـجـمـال

وتـلـذّذي بـخـطـابـه الـمـعـسـول إذْ ... حَـفَّـتْ بـه لـلـدّرس أيُّ رجـال

لـم أنْـسَـهُ يـومـاً حـسِـبـتُ نـعـيـمَـه ... لـلـذائـذ الـجـنّـات ضَـرْبَ مِـثـال

عَـجَـبـاً لـه يُـحْـيِـي الـقـلوب بـعـلـمـه ... ويُـمِـيـتُ جـنـدَ الـفـقـرِ مـنـه بـمـال

25 وإذا تـقـلّد لـلـوغـى فَـحُـسَـامُـهُ ... تَـعْـنُـو الـرِّقَـابُ لـه بـغـيـر قـتـال

يـتـلوه بـالـفَـتـح الـمـبـيـن عـسـاكـرٌ ... قـد أرْهَـفَـتْ بـالـنّـصـر حـدّ نِـصـال

تـخـشـى الـمـلـوكُ مَـقَـامَـهُ ولـذكـره ... رُعْـبـاً تـطـيـر فَـرَائِـصُ الأبـطـال

ويـنـال آمـلُه لـخـفـضِ جَـنـاحـه ... مـا لـيـس يـخـطُرُ مـنـه قطّ بِـبَـال

حـتّـى سـعـى لِـصَـفـا مـنـاهـلـه الأُلَـى ... يـسـعـى لِـمَـرْوَتِـهـم ذَوُو الأثـقـال[2]

---

(1) في التعطير : « وله بقيد . . » .

(2) في التعطير : حتى سقى لصفى . وفي الاستقصاء : « منهله الذي يسعى لمروته » ، والمعنى متقارب مع ما في الدّيوان ، والمقصود : الصّفا والمروة .

30 وأتت لمغربه الشريف مشارقُ ... والشّمس تغرب لِآقتضاء كمال

لمّا تكدّر صَفْوُها بضلالةٍ ... جاءته كيما ترتوي بزُلال

ومتى تخلّف عاجزٌ فبقلبه ... يسعى لفعل شعائر الإجلال

أُمْنِيَّةٌ وقعت أَشَرْتُ لذكرها ... في مَدْحِهِ قِدْماً بصدق مقال

تهوى المشارق أن تكون مغاربا ... لِتنالَ من جدواه أيّ منال[1]

[42] 35 يا فَخرَ دين اللّه منه بناصرٍ ... وسعادةَ الدّنيا به من وَالِ!

لا تفتخِرْ فاسٌ ولا مَرّاكشٌ ... بولائه، كلُّ الأنام مُوالِ!

أَوَليس في كلّ البِقاع ثناؤُه ... وِرْدَ البُكورِ وسَحَّة الآصال؟[2]

أَوَلم يَشِدْ للدّين والعلماء والأ ... شراف والصّلحاءِ صَرْحَ مَعَال؟[3]

أَوَليس أحيى سُنَّةَ العُمَرَيْنِ في ... زمنٍ الى بِدَعِ الهوى ميّال؟[5]

40 أَوَلَمْ يَعُمَّ بجوده أقطارَها ... لا فَرْقَ بين جَنوبها وشمال؟

أَوَلَمْ تَسِرْ رُكْبَانُها بمحاسنٍ ... ضاءت لهم سُرُجاً بجنح ليال؟[5]

شِيَمٌ يهزّ الرّاسياتِ سماعُها ... ويَفُحْنَ في أنف الزمان غَوَال[6]

أوصافُ والِدِكَ الإمامِ المرتضى ... للدّين والدّنيا بحسن خِلال

ذاك الرفيعُ أبو الربيع ومَنْ به ... حَيِيَ الهدى وشرائعُ الإفضال

45 فبه لك الفخرُ الكبيرُ وإنْ يَكُنْ ... لك في العُلا نسجٌ على منوال[7]

---

(1) في الاستقصاء « كلّ منال » . وهذه المقابلة مرّت بنا قبلُ . والشيخ لا يحذَرُ التكرار .

(2) السحّة : المرّة من سحّ المطر : نزل .

(3) في الاستقصاء : « . . . والصلحاء أيّ حلال » .

(4) سنّة العُمَرَيْنِ : عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز .

(5) في الاستقصاء : « ضاءت لها سرج » .

(6) في الاستقصاء : « ويعجن » . والغوالي جمع الغالية وهي ضرب من الطيب رفيع .

(7) بيت ساقط من الاستقصاء .

كـلُّ الـكـمـال لـه وأنـت مَـقَـرُّه ... والـفـرعُ عَيْنُ الأصـل عـنـد مَـآل

يـا آبْنَ المليـك ابنِ المليـك ابن المليـ ... ـك ابنِ المليـك سُـلالَـةَ الأَقْيَـال[1]

أَنْسَيْتُمُ ذِكـرَ الـعـبـابسـةِ الأُولَى ... زالـوا، ومـا زالـوا بـعـيـن جـلال[2]

ولـو الـمـراونـةُ أهْتَدَوا لـتَـأَخَّـرُوا ... عـمّـا يـحـقّ لـكـم بـغـيـر جـدال[3]

50 لَـكُمُ آلـفـخـارُ حـقـيـقـةً وسِـوَاكُـمُ ... مُـسْـتَـمْـسِـكٌ مـن شـمـسِـه بـظلال[4]

وَلِيَ الفخـارُ بـأن نسجتُ مـديحَكم ... حُـلَلًا تَـجِـدُّ وكُـلُّ شَـيْءٍ بَـالِ

أَمْـلَى مـعـانـيـه عـلـيّ ودادُكُـمُ ... فجـرى بـه طبعي كمـا السّلسـال

وَلَـوَ آنّـني حـاولـتُ مـدحَ سِـوَاكُـمُ ... عَقَـلَ القـريحـةَ عنـه أيُّ عِـقـال[5]

فـكـأنّمـا طـبعي شـريف حـيـثمـا ... لا يـهـتـدي لِـسِـوَى مـديـحِ الآل

55 أَوْ أنّـه وَرِعُ الـنّـظام فـلم يَـكُـنْ ... بـذلُ المـديـح لغيركم بحـلال[6]

[43] 55 / أَوْ قـد درى أنَّ المـديـحَ تعـرّضٌ ... وَسِـوَاكُـمُ لا يُـرْتَـضَـى لـسـؤال

أبـقـاكـمُ كـهـفـاً يُـلاذُ بـمـجـده ... مُـخْـتَـارُكـم لإنـالـة الآمـال[7]

وأدام لـلإسـلام والـدَك الـذي ... هُـوَ رَحْـمَـةٌ وَسِعَـتْ بـغـيـر جِـدَال

وعـلـيـكـمُ وعـلى الـذي يـهـواكـمُ ... أزكى الـرّضى من حضـرة المتـعـالي

60 وأدامَـكُـمْ رُحْـمـىَ فـإنّ بـقـاءَكُـمْ ... مِنْ فَيْضِ رَحْمَةِ سيِّدِ الإرسـال[8]

---

(1) مرَّ بنا مثل هٰذا التكرار المحبوب عند الشيخ .

(2) الأسرة العلويّة بالمغرب أنْسَت ذكرَ العبّاسيّين ، وكانوا أعداءً لأبناء فاطمة وعليّ منذ فرار إدريس الأوّل الى المغرب . وما زالوا بعين جلال : أي ذهبوا مكروهين منبوذين ، أي : لم يزولوا .

(3) بيت ساقط من التعطير ومن الاستقصاء ، وهو في تفضيل آل البيت على بني أميّة أيضاً .

(4) في التعطير والاستقصاء : « الفخار بذاته . . . . مستمسك من فخركم » .

(5) في المخطوط : « عمل . . . أيّ عمال » والإصلاح من التعطير .

(6) بيت ساقط من التعطير ومن الاستقصاء .

(7) في الاستقصاء : « بمجدكم » .

(8) بيت ساقط من الاستقصاء .

مـا دام ذكـركـمُ بكـلّ صحيـفـةٍ تبعـاً لأَحْمَـدَ سيّـدِ الإرسـال[1]
صـلّى عـليـه مُـسَـلِّمـاً ربُّ الـورى وعـلى مقـدّمِ حِـزبِـه والـتّـالـي

* * *

63 ـ وقـال رحمه الله تعـالى ، مهنّئاً المشيـر الأوّل أحمد بـاي ، حين منحـه السلطان الغازي عبد المجيد النيشان ولُقّب بالمشير عام 1254[2] [كامل] :

السّعـدُ تُخْبِـرُنـا شـواهـدُ حـالِـه أن قـد كسـا عليـاك ثَـوْبُ جمـالِه
وعليـك قـد ضـرب الفخـارُ سُـرادقـاً وببـابـك العـالي مُنَـاخُ رِحـالـه
يَـا مَنْ بِـدَوْلَتِـه الجفـونُ تكحّلَتْ بِـالأَمْنِ إذْ لجـأت لـبـرد ظِـلالـه
بِـكَ مفخـرُ للدّهـر ليس بخـامـل لِمَ لاَ وقـد أصبحت من أقيـالـه؟
5 فَـلأَنْـتَ ضَـيْـغَـمُـه ونَـيِّـرُ أُفـقـه وخِضـامُـه الـطّامي وطَـوْدُ جـلالـه
أنّى يُحيط بـك المـديـحُ وأنتَ مَنْ تهـوى بُـدورُ التـمّ لَثْـمَ نِعـالـه؟
لـك خـطّة الشّـرَف التي لم يَحْـوِهـا مَلِكٌ وإنْ عَـظُمَتْ خِصَـال كمـالـه
وأصَـالـة الـرأي الـذي آثـاره رَوِيَتْ بمـا يُجْـريـه من سلسـالـه
فلقـد غَـدَا خـاقـانُ عَصْـرِكَ آخـذاً بسـديـد رَأْيِـكَ في مُهِمّ فِعَـالـه[3]
10 وعنـاك إذ قـال «المشيـر» وحبّـذا لَقَبٌ حَـوَيْتَ الفخـرَ بـآستكمـالـه
ومِن العنـايـة أن غَـدَوْتَ مُـطَوَّقـاً طـوقَ الجـلالـة مِن سَنَا إفضـالـه
كم قـد تَـطَاوَلَتِ آلِّـرقـابُ لِـنَيْـلِه وتَـسَـارَعَتْ هِـمَمٌ لـجلب مِـثَـالِـه

---

(1) بيت ساقط من المخطوط .

(2) هكذا في الأصل والصّواب 1840/1256 (الإتحاف ، 49/4) . أمّا السلطان عبد المجيد فقد ارتقى الى العرش في سنة 1839/1255 ، إثر وفاة والده السّلطان محمود . هذا وقد نسب صاحب الإتحاف هذه القصيدة الى بيرم الرابع (52/4) وهي ساقطة من المجمع .

(3) الخاقان : السلطان العثماني .

فَتَقَاصَرَتْ عن حَرْزِه وحُبِيتَه ... ومَلأْتَ كفَّك من وثيق حِباله

[44] /وكساك تاجاً وهو أعظم آيةٍ ... دلّت على المكنونِ من إقباله

15 وَلوِ آلْمَعالِي صُوِّرَتْ وتجسَّدْت ... لأتاك مَحْضُ الودّ من إقباله

فبذا بلغتَ ذُرى السيادة مُدْرِكاً ... شَأْواً منالُ النّجم دون مناله

أنت الجديرُ بكلّ ما أُوليتَه ... وخطرتَ ياذا المجد في سِرْبَالِه

مَنْ ذا يجاري أَحْمَداً في فضله ... أَمَّنْ له نَسْجٌ على مِنْوَاله؟

سبّاقُ غاياتِ المكارمِ أوحدٌ ... حاوي الفضيلةِ يَوْمَ رَفْعِ طواله[1]

20 مَلِكٌ تصَحَّحَ أنّه فردُ العُلَى ... مهما أَجَلْتَ الفكرَ في أَحواله

فله بِوَصْلِ المَكْرُماتِ عنايةٌ ... ولها مزيدُ عنايةٍ بوصاله

أَغْنَتْ مَهَابَةُ ذكره عن سيفه ... ودفاعِهِ عن قصره بنباله

أفضى لهزم عُدَاتِه تَخْمينُهُمْ ... في بطشه ومرورُ طَيْفِ خياله

جَأْشٌ يلين له الحديدُ وصَوْلةٌ ... تستوقفُ الضّرغامَ عن أشباله

25 ورحيبُ صدرٍ ضمَّ حِلْماً واسعاً ... يلقى به الجاني مُنَى آماله

وندىً أناف على الغمام رعاية ... إذ سَيْبُهُ بمواهبٍ من ماله

فإذا الكرام تبسّطت أَيْمانُهم ... أربى على معروفهم بشِمَاله

تاهت على كلّ البلاد بلادُه ... وسما بها الأمراء تحت حِجاله[2]

أبْدَى بها الجيشَ العرمرمَ وُشِّحَتْ ... أَصْنَافُه بالأُسْدِ من أبطاله

30 وأنال مسجدَها المعظّمَ رِفْدَهُ ... وسقى مُصَوَّحَ نَبْتِه بزُلاله[3]

---

(1) لم نفهم المقصود من : « رفع طواله » ، ولعلّه يعني الطّوْل ، أي الفضل والقوّة والقدرة .

(2) في المخطوط « وبسما به الإيواء تحت مجاله » . وأخذنا بقراءة ابن أبي الضياف (الإتحاف ، 52/4) .

(3) مصوَّح الشجر : اليابس لقلّة السقي . والمسجد المقصود هو جامع الزيتونة .

وحبـاه من كـتب الـعلوم نـفـائسـاً تُـزْري بنفـح الـرّوض في آصـالـه[1]

أطْلَعْتَـهَـا في أُفْـقِ فَضْـلِك أنْجُـمـاً يَمْحُـو بهـا السّـاري دُجَى إشكـالـه

وأَجَلْتَ فيهـا راحـة المُـثـري ومَنْ قـد صُفِّـدَت كفّـاه من إقـلالـه[2]

وبهـا أَزَحْتَ شـدائِـداً عن عـاجـزٍ وكَشَفْتَ مـا أَصْمَـاه من أهـوالـه

[45] 35 / يا أيّها الملك الذي عَشِقَ العُلَى وسعى الـيـهـا سَـعْـيَ صَـبٍّ وَالِـهِ

خُـذْهـا إليـكَ قصيـدةً بـل دُمْيَـةً حَـوْرَاءَ جَـلَّلَهـا آلْحَـيَـا بجِلالـه[3]

زُفَّتْ فمـن فَـرْطِ اللّطافـةِ خِـلْتُهَـا تُغْنِي لـطيفَ الـطّبـع عن جِـرْيَـالِـه[4]

عَجَـزَتْ عن التّفصيـل فيمـا نِلْتَـهُ مِـنْ سُؤْدَدٍ فَسَـعَـتْ إلـى إجـمـالـه

وآهْـنَـأْ بـعـيـدٍ قـد أَظـلّك وقتُـه وسـنـاؤُه وآسْـلَمْ إلـى أمـثـالـه

40 هـذا ولـولا الـشّـرعُ عَـيَّـنَ وقتَـه لأنفـكّ يـومُ العيـد عن شـوّالـه

إذْ كـلّ يـوم من زمـانـك مـوسِمٌ يُغْنِـي جبـينُـك عـن طلوع هـلالـه

لا زال مـلكـك زينـةَ الـدّنـيـا ولا ذاقـت مـدى الأيّـامِ طَـعْـمَ زوالـه

وبَقِيـتَ تـرفُـلُ في مـطارف سؤددٍ ومـسـرّةٍ بـمـحـمّـدٍ وبـآلِـه

* * *

64 ـ وقال قدّس سرّه يمدح الصَّدر الأعظم مصطفى رشيد باشا باسلامبول عن إسقاط الخراج عام 1838/1254 [كامل][5] :

الصَـدْرُ آلاعْـظَمُ مقصِـدُ المُتَـوَسِّـلِ وَهُـوَ المُؤَمَّـل في القضـاء المُنْـزَل

---

(1) اشترى المشير أحمد باي سائر كتب الوزير حسين خوجة وأضاف اليها كتباً أخرى وأوقفها على طلبة العلم بجامع الزيتونة . وقد أصبحت تلك المكتبة تعرف باسم المكتبة الأحمديّة .

(2) وفي المخطوط « تثري » والإصلاح من الإتحاف ، 53/4 .

(3) الجِلال : الأكسية والأغطية .

(4) الجريال لون الخمر ومنه الخمرُ عينُها .

(5) الإتحاف، 23/4-24 ومسامرات الظريف، 201/1 ومجموع ح . ح عبد الوهاب 18841 والمجمع، 17 أ .

ولـذاك مـن أقصـى البـلاد أَتَيْتُـه ... لـلفـوز منـه بِبُـرْءِ داءٍ مُـعْـضِـل
يـا مَلْجَـأَ الصُّلحـاء والعلمـاء والـ ... ـوزرا ومَنْ في النّـاس ذو قَـدْرٍ عَلِيّ
كـالنـدِّ أو كـالعـطر أو كـالمسـك مـا ... يحـويـه عِـرْضُـكَ من ثنـاءٍ أجمـل[1]
5 فيمـا حبـاك اللّه مـن خُلُقٍ سـرى ... كـالـرّاح في الأرواح لا في المفصـل
وحبـاك من خَلْقٍ كـأنّ الشـمسَ في ... شَـرَفٍ تُـرَى في وجهـك المتـهلّل
آشْفَـعْ لنـا فيمـا دهى تِـرْشِيشَ مِنْ ... إلـزامهـا غُـرْمَ الخـراج المُثْقَـل[2]
الفقـرُ يمنـعهـا ومـا تـخشـاه مـن ... شـرّ الحـوادث في الـزّمـان المقبِـل
أرجـو لـك البشـرى بِنَيْـلِ شفـاعـةٍ ... تـأتيـكَ من عنـد الـرسـول الأفضـل
10 دَامَـتْ عُـلاَكَ لمـن أحبّـك جَنّـةً ... بنعيمهـا قلبُ الحـواسـدِ يَصْـطَلِي

* * *

65 ـ / وقال تغمّده الله برضوانه ، مجيباً الشيخ أحمد زرّوق الكـافي عن لغز في العين أرسله إليه يوم الاربعاء في ذي القعدة 1802/1217 [طويل] :

أَيـا عَيْنَ آدابٍ بهـا الـظّرفُ سـائِـلُ ... ومَنْ هو منحى السُّؤْلِ إذ سال سائلُ[3]
سـألتَ وما تعني سـوى عَيْنِ مـا عنت ... إلى شـأو معنـاه العيـونُ الأفـاضـلُ
وقـد صـرّح التّبيـانُ منـك بِعَيْنِـهِ ... فمـا حاجبٌ عن كشفـه الأمـرَ حَـائِـلُ
وإن كـان في عين جعلتَ نـزولـه ... فَهَـا هُـوَ في عيني لأجلك نـازِلُ[4]
5 وقـد حكم الـتّصـريـفُ أنّ لعـينـه ... حَلِيّـاً وجيدُ الفـاءِ من ذاك عَـاطِـلُ[5]

---

(1) بيت ساقط من الإتحاف ومثبت في مسامرات الظريف والمخطوط .

(2) ترشيش : اسم قديم لمدينة تونس .

(3) المجمع ، 45 ب . والشيخ أحمد زرّوق عالم وأديب ، درّس بجامع الزيتونة وتولّى قضاء المحلّة الى أن توفي سنة 1831 ، انظر ترجمته في الإتحاف ، 158/7 . وفي المخطوط : « منحى السؤال » . وسال : مخفّف سأل .

(4) في المخطوط : « وإن كان في عيب » .

(5) فالياء من العين معجمة والعينُ أي فاؤها مهملة .

وحسبك تبياني وقد جاء واضحاً ومِثْلُكَ لا تخفى عليه دَلاَئِلُ

* * *

66 ـ وقال رضي الله عنه، مجيباً باش مفتي توزر الشيخ إبراهيم بوعلاق عن أبيات أرسلها يشتكي فيها فساد الزّمان [كامل][1] :

يا مَنْ بِتَوْزِرَ ضاقَ وَاسعُ صدِره وغدا يُكَابِدُ ما اقتضاه الحالُ
وبدا تقلّصُ ظلّها عن شكلها مُذْ غَيّرَت من حُسْنِهَا الأحوالُ
ورأيتَها تشكو اليك بحالها وذهاب حسنٍ سامه آضمحلالِ
وغَدَتْ تنوح على الدّلال ودَلّها حتّى رثيتَ لها ورقّ البالُ
بعد المديح لها بما تحويه من حُلَلِ الجمال اللّذْ به تختال
وشبيبة تزهو برونقها ومن حسنٍ لها ضُرِبَتْ به الأمثالُ
هَوِّنْ عليكَ ولا تضِقْ ذَرْعاً، فما دامت منازل، والدّوام محالُ
وتَسَلَّ بالمدن التي نُهِكَتْ فما هي وحدَها قد مَسَّها الزّلزال
أتردُّها لشبابها من بَعْدِ ما هرمت ومال قَوامُها العسّالُ؟

---

(1) مجمع ، 43 ب والأبيات الواردة في المخطوط هي الآتية :

يا من بتوزر ضاق واسع صدره مذ غيّرت من حسنها الأحوال
ورأيتها تشكو اليك بّحالها حتى رثيت لها ورق البال
بعد المديح لها بما تحويه من فخر به ضربت لنا الأمثال
هوّن عليك ولا تَضِقْ صدراً فما هي وحدها قد مسّها الزلزال

والقصيدة الكاملة مأخوذة من مجلة الثريّا (التونسية) ، جانفي 1946 ص 18 ، من مقال « بين الرياحي وبوعلاق » ، بقلم النّوري التوزري ، وقد نقلها عن نفس المصدر الهادي حمّودة الغزّي في كتابه « الأدب التونسي في العهد الحسيني » تونس 1972 ، ص 133 .

وإبراهيم بوعلاق هو من علماء مدينة توزر ، وُلد سنة 1824/1240 وباشر خطة التوثيق في مسقط رأسه ثم رئاسة الفتوى ، ولم يشغله عمله الإداري عن نشر العلم والدعوة الى الإصلاح . توفّي سنة 1886/1303 ، انظر تراجم المؤلفين التونسيّين ، 411/3 .

10 ثمّ امتطت متن المحدّب بعدما ... لبّى بقيّةَ عمرها التّرحالُ
إذْ هي في زمن مضت حسناتُه ... لو لم يَجُرْ فَذَهَا بُهُنّ حلالُ
لا سيّما مذ قد بدا خلفٌ به ... وتَوَافَقَتْ في قبحه الأقوال
فعليك نفسَك فآبْكِهَا لا تُوزرَا ... وآعْمِدْ لِخَيْرٍ والصّلاحُ كمالُ
نَهْنه فؤادَك من حُطام دنيّةٍ ... وَآخْترْ لنفسك ما آرتضاه رجال
15 ذِكْرُ الإلاه وخَوْفُه يوماً به ... تُسْرَى الخطوبُ على الورى وتُهالُ
فَهُما النّجا لا سيّما يوماً به ... تترادف الحَسَرَاتُ والأهوالُ

* * *

67 ـ وقال رحمه الله تعالى ورضي عنه يرثي آمرأة [طويل] :

نفوسُ البرايا لِلْمَنَايَا مَنَاهِلُ ... وأيّامُها منها لهنّ مراحلُ
فكيف النّجا والموت أظفر طالب ... وكيف البقا والدّهرُ بالخَلق راحل؟
وفي صالح الأعمال زادٌ مبلّغ ... وذكرٌ به يبقى الذي هو عامل
كما خلّدت [. . .] نشرَ ذكرها ... وإن أوحشت بالفقد منها منازل[1]
5 مضت وعليها للقلوب مدامعٌ ... جرت من جفونٍ وهي حُمْرٌ هوامل
كما أضحكت سِنًّا بخالص بِرّها ... لمن دمعه من نكبة الدّهر سائل
[47] / مضت ولها من صالح الفعل مُؤْنِسٌ ... إذا أَوْحَشتْ سُكّانَهُنّ جنادلُ
وقد نزلت من جانب الجود مَنْزِلاً ... تقَرُّ به عينُ الذي هو نازل
فدرّت عليها من مراحم جوده ... سحائبُ للعفو الجميل حوامل
10 لذاك تأتّي أن يقول مؤرّخ : ... سقى رمسَها مُزْنٌ من الجود هاطل[2]

* * *

(1) كلمة ساقطة في المخطوط ومن المجمع ، 42 أ ولعلّه اسم الفقيدة بوزن محبوبة أو منّانة أو سعديّة .
(2) ماتت هذه المرأة سنة 1223 أو سنة 1232.

68 ـ وقال تغمّده الله برحمته ، وأسكنه في أعلى قصور جنّته ، يرثي ابنه الخطيب العلاّمة الشيخ سيدي الطيّب رحمه الله تعالى في ربيع عام 1850/1266 [بسيط][1] :

إلى متى اللّهوُ والأحبابُ قد رحلوا ... يا من بفانية اللّذّات يشتغل؟
كم جرّعَتْك كؤوسُ البَيْنِ من غُصَصٍ ... فالعين باكية والقلب مشتعِل
وكم نحبتَ على صبٍّ علِقْتَ به ... وأصدقاءَ سُوَيدا القلب قد نزلوا
قد سافروا سَفَراً جَدَّ المَسِيرُ بهم ... فيه فليس إلى رُجْعَاهُمُ أمل
وبدّلونا بسكنى حفرةٍ قبُحت ... وخلّفونا وَدَمْعُ العين منهطل
وعاد حُسْنُهُمُ قُبْحاً وأُنْسُهُمُ ... وَحْشاً ، وحزنُهمُ نَامٍ ومُتّصِلُ
فالنّطق منطبِق، والجفنُ منغلِق ... واللّونُ منمحقٌ، والوصل منفصل
والأذن في صَمَمٍ ، والسّاقُ في سكن ... واليدُ في سدل، فالكلّ منخذل
يا هل تُرَى ما لذاك الحسن منخسفاً ... وما دهاه وحارت عنده الحِيَلُ؟
دهاه أمرٌ عظيم لا مَرَدَّ له ... قضى به اللّهُ والإنسان يحتمل
يحقّ للعين أن تبكي لفُرقتها ... أَحِبَّةً ليس في دَهْرِي لهم بَدَل
خلَّوْا فؤادي كئيبا بالفراق وقد ... توطّنوا حفرةً سوداءَ تُبتذل
فَكّرْ فإنّ نعيمَ الأمر منتقلُ ... وآعْمَلْ لمُلْكٍ عظيمٍ ليس ينتقل
فما يَسُرُّ آمْرَءًا أهلٌ ولا وَلَدٌ ... وليس ينفعُ إلاّ العلمُ والعملُ
الأهل تلقى بديلاً بَعدَ مِيتتها ... والمالُ للغير قهراً عنك ينتقل
[48] / والبنت تمشي لِبَعْلٍ عنك ذاهبةً ... والابنُ يبقى زمانا ثم يشتغل
باللّه يا راحلاً نحو الأحبّة سَلْ ... عنهمْ وسَلِّمْ عليهم بعد إذ تَصِلُ

---

(1) التعطير ، 50/2 ، والمجمع ، 2 ب . والشيخ الطيب الرياحي توفي إثر مرضه بوباء الكوليرة في الثالث عشر من ربيع الأوّل سنة 1266 (6 فيفري 1850) ، الإتحاف ، 75/8.

وقل لهم إنّنا عنك أُسَارى أسىً وعن قريب إليكم نحن نرتحِلُ[1]

* * *

69 - وقال برّد الله ثراه ، وأحسن في الجنّة مثواه يرثي العلاّمة أحمد بوعبدة رحمه الله [طويل][2] :

أيلتذّ بالدّنيا منعَّمُ بالِ وللموت في الأحشاء رَشقُ نِبَال؟
عجبتُ وما الأيّامُ إلاّ عجائب ركونُ إلى آلٍ وطيفُ خيال[3]
فهل وَاصَلَتْ إلاّ وِصالَ مُخادِعٍ وهل أَرْضَعَتْ إلاّ لِبانَ فِصَال؟
فإيّاك والإصغاءَ منها لزخرفٍ فما هو في التّحقيق غيرُ مِحال
وشَمِّرْ لما تلقاه عن ساقِ جاهدٍ له هِمَمٌ في الصّالحات عوالي
وَعِظْ منك نفسا ما آرعوت لِمُذكِّرٍ ولا وَثِقَتْ من نَاصِحٍ بمقال
وفي موت أهل العلم أَوْعَظُ واعظٍ لمن يَخْطُرُ الإيمانُ منه ببال
ولا سيّما من لم يزَلْ بِعُلومِه يحلّي نُحُورَ الطّالبينَ لآلي[4]
وينشرها وهي العقود كأنّما تفوح بذاك النّشرِ منه غوالي[5]
وهل كان مثل الشيخ أحمدَ ناشر على طول أيّام له ولياليِ
أبو عبدَة الأرْضَى الإمامُ ومَنْ له من العلم والتّوفيق أيّ خِلال
يروح لنفع الطّالبين ويغتدي كما هطلت مُزْنُ السّما بزُلال[6]

---

(1) مات الشيخ بعد ابنه بقليل .

(2) المجمع ، 39 ب ، التعطير ، 47/1 . والشيخ أحمد بوعبدة ، أصله من أبناء جند الترك ، وقد انصرف الى طلب العلم وتولّى عدّة خطط علميّة كالإمامة والتدريس . توفّي في العشرين من ذي القعدة سنة 19/1222 جانفي 1808 (الإتحاف ، 56/7) .

(3) الآل هنا : السّراب .

(4) لآلٍ : جمع لؤلؤ .

(5) في المخطوط : وهي الغوالي ، ولعلّ الشيخ أرادها ليجانس بها الغالية وهي الطيّب . وفي المجمع : لذاك النشر .

(6) بيت ساقط من التعطير .

متى كَـلَّ ذو وَجْـهٍ جـديدٍ، فـإنّـه ... عـلى كِبَـرٍ لـم يتّـسِمْ بكـلال

إلى أن غدا من علمه الـدّهر مـطلعا ... لِـنَجْـمٍ يُـرى فـي دُجْـنَـةٍ وهـلال

15 عـلى فقـده فَـلْيَـبْـكِ درسٌ ودارسٌ ... بِـدَمْـعٍ على وجـه الـطّروس مُـذَال

وفـي مثـله تـأسى الـقـلوب فـإنّـه ... لهـا صيقـل من رَانِهـا المتـوالي[1]

ولـكنّـه حـيث الـنّـعيـمُ مـصيـرُه ... فـكـلُّ آمْـرِيءٍ ذو رحـلة وزوال

[49] / ومَنْ كان مِن قربى الـرّسـول وآلـه ... فَـأَوْلَى بـأن يَحْـظى بـخيـر مـآل

وَمَنْ كـان للدّين الحنيفِي سـاعـداً ... فَـأَحْـرَى بنـزلٍ من رضى المتعـالي

20 فَـزُرْ قـبـرَهُ وآذْكُـرْ مقـال مُـؤرِّخ : ... سقى قبـره الـرّحمـان مُـزْنَ نَـوَالِ[2]

1222

* * *

(1) في اللّسان : الرّان والرَّيْن سواء مثل الذام والذّيم : وهو الصدأ والوسخ . قال تعالى : بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (المُطَفّفين ، 14).

(2) تاريخ 1222 باعتبار الياء من سقى ألِفا .

حـرف المـيـم

70 ـ وقال قدّس سرّه يمدح النبي ﷺ وموريـاً بالطّبوع [بسيط][1] :

قلبي على هَجْـرِ مَنْ أهـواه في أَلَمِ ... وحـالـتـي بـعـده نـارٌ عـلى عَـلَمِ
رقّتْ لحـالـيَ أَصْـلاَدُ الصّخـور ومـا ... رثى لحـالي ومـا آوى إلى سَـقَمـي
أَنْشَـدْتُـهُ عَـذْبَ أَلْحَـاني أُلَيِّـنُهَـا ... والدّمعُ وآلوَجْدُ في فَيْضٍ وفي ضَرَمِ
لعـلّ كـأْسَ «الـرّهـاوي» أن يعـطّفَـه ... ويقتضي مـنـه مـا يُبْـرِي مـن الألم

5 وحـرمـة «الـذّيـل» لا واللّه أَقصِـدُهـا ... «فالرّصْد» «للذّيل» أمرٌ ليس من شِيَمِي
وَهَبْ لِسـانِيَ «مـزمـومـاً» عليـه أمـا ... هو «الحُسَيْنُ» الذي يُبْـرِي من اللَّمَمِ
«بـالأَصْبَعَيْنِ» لَـوَ آنّ البحـرَ يتـركـه ... أُعَـدِّدُ «الـرّمـل» مـا لا أن يعـزّ دمي
ولـو أرى «سيكـة» تـدني مـودّتـه ... كان «العراق» على ملكي ومِنْ خَدَمي
يـاكم رسى «رصَـدٌ» منّي لـغـرّتـه ... « كـالأصبهـان » أنـاخ العيس بـالألم

10 أشكو «النّوى» ولكم جرى دمي فسقى ... رمْلَ الصحاري «ورملَ المايا» آلأَكَمِ[2]
قـولـوا لـه صبّك الملهـوف في لَهَفٍ ... و « ماية » فَآعفُ وآصْفَحْ يَا أَخا الكَرَمِ

---

(1) مجمع ، 6 ب ، التعطير ، 109/2 . وأسماء الطّبوع أو المقامات المـوسيقية التـونسية هي : الـرّهاوي ـ رصـد الذيـل ـ الرمـل ـ الأصبهان ـ السيكـة ـ المحيّر ـ المـزموم ـ العـراق ـ الحسين ـ النّوى ـ الـرّصد ـ المـايـة ـ الأصبعين . (عنـوان الأريب ، 104/1، في تقـديم قصيـدة من هـذا الجنس للشـاعـر محمـد الظريف التونسي ، ومجموع هذه المقامات يسـمّى : ناعورة الطّبوع) .

(2) بيت ساقط من الديوان .

هـو الـذي بَشَّـرَتْ تـوراةُ مـوسى بـه ... وبـآسمـه صـرّح الإنجيـل لـلأمم
هـو الذي دُونَـه الـرُّسْـلُ الكِرَامُ ومَنْ ... دانت له النّاس من عُـرْبٍ ومن عَجَمِ

* * *

71 ـ وقال متّعه الله بدوام رؤيته ، وبوّأه أعلى المنازل في فسيح جنّته ، يمـدح الغوث الربّاني ، سيدي أحمد التجاني ، رضي الله عنه وعنّا به ، آمين [خفيف][1] :

أَتُـرى مُمْـرِضي درى بِسقـامي؟ ... فـهي إن تُـرْضِـهِ أعـزُّ مـرامِـي
[50] / مـا عدا هجرَه فـأجنـاد صبـري ... مـا آستـطاعت لحملهـا من قيـام
أيّهـا الهـاجـر وإن كـنتَ أهـلا ... أين حِلم النّهى وصفـحُ الكِـرَام؟
كيف يـا سيّـدي وأنتَ مُـرادي ... وعـلى مَنْ سِـوَاكَ ألـف سـلام؟
5 كـيف أذلـلتَ بـالجفـاء مُحِبّـاً ... لـك فـي قـلبـه أعـزّ مـقَـام؟
صـار يهوى من بعـد طول آئْتِـلَافٍ ... لـك وَصْـلاً ولـو بـطيْف منـام
آهِ ألـفـا عـلى لـيـالٍ تـقـضّـت ... نـظّمَـتْ شَملَنـا بـأيّ انـتـظام
حـيـث فـاس قـرارُنـا وهـي دارٌ ... مـا لِـدَارٍ في حُسْنِهَـا من نـظام
مـا لِـمِصْـرَ ولا لـبغـدادَ مـعنىً ... مـشبـهٌ لا ولا الـعـراقِ وشـامِ
10 أيُّ سـرٍّ فـيـهـا وأيُّ سُـرورٍ ... قـد قـطفنـا وأيّ شـرب مُـدَام

---

(1) مجمع ، 6 ب ، التعطير ، 30/1 . والتجاني ، حسب ما كتبه الشيخ إبراهيم الرياحي (التعطير ، 12/1) هو « أمير الأولياء ، وخلاصة الأصفياء ، الغوث الأشهر ، العارف الأكبر ، الكهف الأفخر ، مركز دائرة أهل الله ، ملجأ الكبراء من خلاصة خلق الله ، مولانا وسيّدنا أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن محمد بن سالم بن سيّد الناس . . . ». وانظر ترجمته في أعلام الزركلي ، 232/1 ، وشجرة النّور الزكيّة، ص 378 رقم 1513 ، حيث قال إن الشيخ إبراهيم اجتمع بأحمد التجاني بفاس وتبرّك به وأخذ عنه في سفارته الى المغرب .

وحول اجتماع إبراهيم الرّياحي بالشيخ التجاني ، انظر : « كشف الحجاب عمّن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب » للشيخ أحمد سكيرج ، 1961 ، ص 132-149. وقد جاء فيه (ص 136) أنّ هذه القصيدة « في كسوة ضريح سيدنا رضي الله عنه مطروزة فوق المحمل الشريف » .

أي معنىً وأي لُطْفٍ وظَرْفٍ وغرامٍ يُهَاجُ بالأنغام
والإمامُ التجاني أحمدُ فينا داعياً بالهُدى لدار السّلام
يُسْرِجُ النّورَ في القلوب ويمحو بمياه الغيوب كُلَّ ظلام
يسكُبُ السرَّ في سرائر قوم أصبحوا بالوِصَال سكرى غرام
ذاك فانٍ في اللّه حُبّاً وهذا في جمالِ النبيءِ بَدْرُ التّمام
يا نفوساً دُكَّتْ لقهر التجلّي يا عقولاً خَرَّتْ لِلُطْفِ الكلام
مَدَدٌ مَدَّهُمْ به الشيخ جوداً إنّ جودَ التّجاني في الكون هام
كيف لا والهُمَامُ أحمدُ قُطْبٌ ما له في المقام قطبٌ مُسَامِ
خاتَمٌ خصّه الإله بفضل وعطايا من المزايا عِظام
دُونَها تنتهي النّهى لِعُلُوٍّ وارتقاء من مُدْرَك الأفهام
هكذا أنبأَ النّبيءُ فَصَدِّقْ أو تهَيَّأْ لرشقةٍ من سهام[1]
إنْ تَقُلْ: كيف ذاك وهو أخيرٌ هل يفوق المَأْمُومُ قَدْرَ إمَامِ؟
[51] / قُلْتُ: فاق النبيءُ وهو أخيرٌ كلَّ ذي رتبةٍ سَمَتْ في الأنام
ليس للقدرة القديمة عجزٌ وكذا الفضلُ لم يزل في آنسجام
خِلّ وَصْفَ النبيءِ فهو مُحَالٌ والسّوى جائزٌ بغير ملام[2]
ليس من حقّك الجِدالُ ولكن أن تكون الجفون منك دوامي
حيث لم تكتحل بنور آهتداءٍ كَيْ ترى الشّمسَ ما لها من غمام
لا تُجَادِلْ في الأولياء وسَلِّم قبل توتير قَوْسِ يدّ رَامِ[3]

---

(1) في المخطوط : « أو تهيا هيا لرشق سهام » .

(2) في التعطير ، وكشف الحجاب : « خلّ نعت . . . » .

(3) في المخطوط : « قبل توتير قوس رام » ، وفي كشف الحجاب : « قبل توتير قوس أيد رام » ، وفي المجمع : قبل تواتر أبي قوس رام ، والوزن يبقى مختلاً ، ففضّلنا يدّ بالتشديد .

بَشِّـرْ الخـائضين فيهم بـحـربٍ من قـويّ في بـطشـه ذي انتقـام
30 رَبّ إنّـي صَـدَّقْـتُ كـلَّ وَلِـيّ راعـيـاً قَـدْرَهم بـعيـن آحـتـرام
غَيْـرَ أنّ ابنَ سـالمٍ هـو شيـخي ومـلاذي وعُـمْـدَتي وإمـامي[1]
في هـواه المـطاعِ طـاوعت عيني وعـلى بـابـه ضـربت خـيـامي
إنْ يَكُنْ راضيـاً فـذلـك فـوزي بجميـع آلْمُـنَى وحُـسْنِ الـخِتَـام

* * *

72 ـ وقال مخاطبا الشيخ محمّـد الحبيب ابن القطب التجـاني ، بلّغني الله وإيّاهم من فضله الأماني ، عام 1848/1262 [كامل][2] :

يَهنِيـكَ يـا ذا الـطِّرس كفُّ محمّـد وكفـاك لَثْمُ التّـرب من أَقْـدَامِـه
فـإذا شَمَمْتَ المسـك من إقبـالـه وَنَمَـا سُـرُورُكَ حين كشف لثـامـه
فقل: آلسّلام عليه يا آبْنَ المصطفى بـآبن آلختِام الغَـوْثِ في أيّامـه[3]
ذاك المشـوقُ إليـك إبـراهيمُ قَـدْ قَعَـدَ المَشيبُ بـه إلى أسقـامـه
5 فـلذاك عن إقـدامـه نـابَـتْ لـه عُـرُبٌ كساهـا الحُسْنَ من أقـلامـه
ينهي آشتيـاقـاً بـالفؤاد مُلَخَّصـاً لا يستـطيع آلْكَتْبُ شَـرْحَ غـرامـه
ويـروم منـك رضىً بـه أرواحنـا مـاءُ المـزون مُمَـازِجٌ لمَـدامـه
دامت عُـلاكَ وَدَام سِرٌّ طـريقِنـا كـأسَ الرّحيق وأنت مِسْـكُ خِتامـه

* * *

---

(1) ابن سالم : هو أحمد التجاني ، كما مرّ في نسبه .
(2) التعطير ، 35/2 ، مجمع ، 8 أ .
(3) كان التجاني شريفا ينتسب الى آل البيت .

73 ـ / وقال رضي الله عنه يمدح الخليفة الأعظم الشيخ سيّدي الحاج علي حرازم الفاسي ، لمّا قدم الى تونس وأخذ عنه الطريقة التّجانيّة ، لا زالت بدورُها تامّة مضيئة ، عام 1796/1211 [كامل][1] :

كَرُمَ الزّمان ولم يكن بكريمِ ... وصفا فكان على الصّفاء نديمِي

وأفاض من نِعَمٍ عليّ سوابغاً ... للّه يشكرها فمي وصميمي

عَظُمَتْ على الشعر البليغ وربّما ... عجز الثّناء عن الوفا بعظيم

وأجلُّها نظري إلى آبن حرازم ... وتمتّعي من وجهه بنعيم

5 وتلذّذي من خلقه بمحاسنٍ ... وتنعُّمي من خلقه بنسيم

وتعرّفي من عَرْفِهِ بعوارف ... ومعارف ولطائف وفهوم

وتعزّزي بتذلّلي لجماله ... وتشرّفي من نعله المخدوم

ذاك الذي حَمَلَتْ خزائنُ سرّه ... ما لو بدا لارتاب كلُّ حليم

وهو الذي مُنِحَ المعارفَ فآرتقى ... منها لأَرْفَعِ سرّها المكتوم

10 وهو الذي جُعِلت أسرَّةُ وجههِ ... مرآةَ إسعادٍ وبُرْءَ سَقيم

وهو الذي نال الرّضى من ربّه ... وبنَيْلِهِ مَنْ شاء غير مَلومِ

وهو الذي أذن الرّسولُ بوصله ... وأمدّه من عنده بعلوم

وهو الذي التجاني أودع سرّه ... فيه وخصّ مقامه بعموم[2]

وهو الذي وهو الذي وهو الذي ... وهو الذي معناه غير مروم[3]

---

(1) مجمع ، 8 ب ، التعطير ، 14/1 . والشيخ علي حرازم هو صاحب « جواهر المعاني في فيض أبي العبّاس التجاني (معجم المؤلفين 57/7) . وقد قال الشيخ إبراهيم الرياحي (التعطير 12/1) إنه أخذ الطريقة التجانية عن علي حرازم في أواسط جمادى الأولى عام 1216 . وأكّد ذلك صاحب « كشف الحجاب (ص 133) . وانظر شجرة النّور الزكيّة . ص 378 (ترجمة أحمد التجاني) وفيها ما يوهم بأن شيخنا أخذ الطّريقة عن التجاني مباشرة أثناء سفارته الى فاس سنة 1218.

(2) آسم التجاني هنا يقرأ « التيجاني » ليستقيم الوزن . والمدّ فيه مشهور عند أهل تونس .

(3) مثال آخر من ميل الشيخ الى التراكم والترديد .

15 عظمت لديه مواهب أضحت لها هِمَمُ الورى تسعى بكلّ سليم

وَسَعَتْ محبّتُه إلى أرواحهم فهي الغِذاءُ لراحلٍ ومقيم

يا سيّدي ولكم دَعَوْتُ لسيّدي حتى عرفتُك فاسْتَبَنْتُ رجومي[1]

وعلمتُ أني كنت أرقم في الهوا وأسير خلفي والشّقاء نديمي[2]

يا مَوْئِلي وكفى بفضلك مَوْئِلاً وَمُؤَمِّلِي عند ٱلْتِهابِ سَمومي

20 / هل أنتَ كاشفُ كُرْبتي فلقد سَطَتْ وطَغَتْ عليّ وساوسي وهمومي؟ [53]

هل أنت راحمُ شقوتي فَتُرِيحَني فَخِيَارُ أهلِ اللّهِ خَيْرُ رحيم؟

هل مُنْقِذٌ مَنْ قد تحيَّرَ لم يجِدْ من مُسْعِدٍ يُجْلي الهمومَ زعيمِ؟

فَٱرْحَمْ دموعاً قد رأتك عيونُها فتكرّمت باللّؤْلُؤِ المنظوم

وجوانحاً جَعَلَتْكَ في سودائها وقد آصطلت وتكلّمت بكلوم

25 وجوارحاً هرعت إليك يقودها أَصْلٌ عظيمُ الشأن غير هضيم

وسرائراً ألْوانُها بَلِيَتْ لما وَجَدَتْ سوى شوقٍ إليك أليم

وَمُتَيَّماً لولا التذكّر لم يكن بِمُجَدَّدِ الأشواق غَيْرَ رميم

لا تَقْطَعَنْ أملي وقد وَجَّهْتُه يسعى إليك وأنت خَيْرُ كريم

وقدِ ٱتّخذتُكَ في الأنام وسيلةً وتَوَسُّلِي بِهُدَاكَ غَيْرُ فصيم

30 وجعلت حُبّي عند فضلك ذمَّةً وتذمّ[ما] بِعُلاَك غيرَ ذميم[3]

ورَجَوْتُ من ربّي بفضلك ما أنا أصبحتُ من معناه غيرَ عديم

يا مُسْنَدي، يا مقصدي، يا سيّدي يا منجدي ومؤمّلي وحميمي

---

(1) الرجوم هنا جمع الرجم (بالظنّ والغيب) .

(2) في المخطوط والتعطير : في الهوى . ورقم في الهواء (أو الماء) لعلّها كناية عن الفعل الباطل ، كمن يكتب في الهواء أو الماء .

(3) هذا البيت ساقط من التعطير .

أنت الـذي ربّي آصـطفـاك لِسِـرّه [وحبـاك من فضـلٍ عليـكَ عميمِ
فلك الهنـاءُ فأنت سلطان الـورى] وَلِيَ آلهنـاءُ بـأن تقولَ خـديمي[1]
35 ورسـولُـه أوْلاكَ مَـا آعْتَـرَفَتْ بِـه لـك أَهْـلُ سِـرِّ الله بـالتّقـديم
فسَـلامُ رَبِّـكَ كلّمـا هبّت صَبَـا يغشـاك طيبُ مِـزاجـه المختـوم

* * *

74 ـ وقال قدّس سرّه ، يمدح سلطان المغرب مولاي سليمـان ويهنّئه بـوصول غنيمـة له . ومن غريب الاتّفـاق أن بلغه خبـرها وهـو ينتهي في درس التفسير الى قـوله جلّ وعلا : ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيء ﴾ الآية [الأنفال ،] 41 ، وذلـك عام 1804/1218 [طويل][2] :

دلائـلُ فضـل اللّه فينـا تتـرجمُ وإنْ غَفَلَتْ عنهـا طـوائـفُ نُـوَّمُ
ومِنْ أَكْبَـرِ النّعمى وِلَايـةُ مَنْ لـه علينـا وفينـا حكمـةٌ وتـحكُّم[3]
[54] / تَلَطَّفَ في إخفـائهـا مُتَسَـتِّـراً ومن كَمُلَتْ فيـه الـولايـةُ يَكتُـمُ
ولـمّـا أراد الـلّهُ إظـهـارَ سِـرِّه جرى الأمرُ في الإظهار من حيث يعلم

---

(1) ما بين المربّعين زيادة من التعطير .

(2) مجمع ، 12 أ ، التعطير ، 24/1 والإتحاف ، 76/7 ومسامرات الظريف ، 166/1 وقال الشيخ عن ظروف نظم هذه القصيدة ما يلي :

« لمّا أنشدت بين يدي السلطان أيّده الله بنصره [قصيدة إن عـزّ من خير الأنـام مزار] ، ارتـاب بعض الحاضرين في مجلسه أن يكون ناظمها العبد الفقير ، إذ رأى شـدّة وقوعهـا الموقـع العزيـز في قلب الممدوح ، زاده الله عزّاً ونصراً . فجاءني بعض كتّابه وأخبرني وقال : آدفع هذا الريب بنظم قصيدة في اتّفاق غريب وقع لمولانا السّلطان خلّد الله ملكه ، وذلك أنه وقف يـوماً في إقـرائه للتفسيـر على قولـه تعـالى : واعلموا أنّ مـا غنمتم ، الآية ، فـاتفق أن جاءتـه غنيمـة في مسـاء ذلـك اليـوم ، وتبـارت الشعـراء في البيان عن هذا الغرض العجيب والاتفاق الغريب . فإذا أحسنت في البيان عن هذا الشان ، ارتفع هذا الريب وحُسِبْت من فرسان هذا الميدان . فقلت معرّفـا ، ولخيام الشـكّ مقوّضـا . . . . » (المراجـع المذكورة) .

(3) في الإتحاف : « ومن أكرم » .

5 أَلَمْ تغتنم وقت المساء وغدوة ... بدا الوقف في التفسير آيةَ «وآعْلَمُوا»
ليدري صحيحُ الذّوق أنّ مليكَنا ... له في طريق الكشف نَهْجٌ مُقَوَّمُ
وأنّ لنا فيما قضاه مغانماً ... فبدّل ذي ، بدءًا لما هو أعظم [1]
فلا زالت الأيّام تخدم سعده ... ولا زال مثلي في حلاه ينظّم [2]

* * *

75 ـ وقال رحمه الله يرثي الأمير حمّودة باشا ، باستدعاءٍ من أخيه عثمان [كامل] [3] :

حُكْمُ المنيّةِ نافذُ الأحكامِ ... والدّار ما جُعِلَتْ بدار مُقَامِ
كَمْ فتّتَتْ كَبِداً وكم أبكت دماً ... ورفيع عرش ثُلَّ بعد نظام
وَلَرُبّما هان المصاب وأنتَ يا ... حمّودة جلل على الأيّام
يفنى الزّمان ورُزءُ فقدِك حادثٌ ... يُتْلَى على الأفواه والأقلام
5 إنْ تَسْخُ جامدةُ العيون بِدرِّها ... فلطالما رَوِيَتْ بكأس منام
أَوْ تَلْبَسِ آلدّنيا عليك حِدَادها ... فَغُرُوبُ شمسِك مُؤْذِنٌ بظلام
لكن مَآثرُكَ التي خَلَّدْتَهَا ... أَبْقَتْ سَنَاك وأنت تحت رُجَامِ [4]
آلسُّورُ ما سَوَّاهُ إلاّ عَزْمُه ... ومُشَيِّدُ الأبراج تحت ضِرَامِ [5]

---

(1) في التعطير : « فعجّل ذي برء » ، وفي مسامرات الظريف : « فعجّل ذي بدء » ، وفي الإتحاف « فعجّل ذي ، بدءا . . . » .
(2) في التعطير ومسامرات الظريف : « في علاه » .
(3) توفّي حمّودة باشا سنة 1814/1229 وخلفه أخوه عثمان باي . والأبيات في مسامرات الظريف 37/1 والمجمع ، 19 أ .
(4) الرُّجمة هي الحجارة التي تنصب على القبر ، واحدة للذكر واثنتان للأنثى .
(5) في الديوان : « ومشيد أبراج حمت بضرام » . وفضّلنا قراءة المسامرات . وفي هذا البيت يشير الشيخ الى السور الثاني الذي بناه حمّودة باشا حول مدينة تونس . قال ابن أبي الضياف (الإتحاف ، 38/4) : « وابتدأه ببرج باب الخضراء الملاصق به ويعرف ببرج صاحب الطابع ثم برج سيدي يحيى السليماني ثم برج باب سعدون وبرج باب خالد ويعرف ببرج سيدي قاسم الجليزي » .

أمّـا الثّغـور فـإنّهـا غُصَصُ آلْـعِـدَا وشِـفَـا الـصّـدورِ لأمّـة الإسـلام
ولكم سَقَيْتَ الـرُّعبَ من شقّ العصـا ومَـزَجْـتَ كـأسَ سـرورِه بـحـمـام
مِـنْ بَـعْـدِ مـا بَـالَـغْـتَ في إرشـاده وغَـضَضْتَ جفنَ الحلم غَضَّ كِـرَام
حتى أطـاعَـكَ فيهُمُ آلنّصـر الـذي خـضعـوا بـه قَـسْـراً خـضـوعَ لِئَـام
وبـلغتَ أنّـك إن رَأَوْا لـك عـسكـراً هُـزِمـوا بـلا طَـعْنٍ وسـلِّ حُسَـام
وغَـدَتْ بـذلـك تـونسُ تَـفْـتَـرُّ في حُـلَلِ الهنـا عن ثـغـرهـا البسّـام

15 / مـحـسـودةً كَعُـقـابِ جـوٍّ مَـنْـعَـةً بشمـوخـهـا وكَمِيِّـهـا الـضّـرغـام [55]
والآن فـهـي لـفـقـده مـحـزونـةٌ تـبـكـي عـلـيـه بِكُـلِّ طَـرْفٍ دامـي
فـكـأنّمـا عَـيْـنُ الـحَـوَاسِـدِ فَـوَّقَتْ لِـجَمَـالِـهـا عن قَـوْسِـهـا بِسِـهَـام
لمّـا دعـا داعي الـرّضى فـأجـابـه مـسـتـسـلمـاً لـلّه فـي الأحـكـام
فَـآفْـسَـحْ لـه آللّهُـمَّ عنـدك منـزلا وآسْـمَـحْ لـه بـزيـادة الإنـعـام

20 ولـقـولتي حَـقِّق بـفـضـلك فـيـه إذْ أَرَّخْتُ : قيـل : آدخـل لنـا بسلام[1]

1229

* * *

76 ـ وقال أحسن الله مثواه في دار السّلام ، مؤرّخاً بناء السقاية التي أنشأها الوزير يوسف صاحب الطابع داخل باب سيدي عبد السلام [متقارب][2] :

سبيلٌ ثنى صاحبُ الـطابع آلـ ـعنانَ إليه وشاد انتظامَه
لقـد حـاز يـوسف عـزّاً بـه وأحـرز آلأَجْرَ ليوم القيامة[3]

(1) حساب الجمّل يوافق هذا التاريخ .
(2) التعطير ، 35/I ـ كنّش الطواحني 18763 ـ مجمع ، 24 ب .
(3) بيت ساقط من التعطير .

وساق الأجور لمخدومه آلـمـــــــليكِ الهُمَامِ ومولى الكرامَة[1]

فَنِعْمَ الجميـلُ لـمن قـد بـنى ونِعْمَ الجميل لِمَنْ قـد أقـامَـه

5 شـفى غُـلَّةَ الخـلق في وقـتهـا وأطفـأ من كـلّ ظـامٍ أوامَـه[2]

وجـاء بـمـاءٍ مَـعِـيـنٍ لـه على آلسِّلْمِ وآلأَمْنِ أقوى علامَة

فـلا غَـرْوَ أن جـاء تـاريخُـه : سبيـلٌ حفيلٌ سبيـل السّلامَـة[3]

1219

* * *

77 ـ وقال ضاعف الله له الأجور ، يرثي صديقه الوزير المذكور [كامل][4] :

لـلّه قـد وجـب الـدَّوَامْ وسِـوَاه نـهـبٌ لِـلْحِـمَـامْ

حُكْمٌ جـرى تـعـمـيـمُـه حـتـمـاً عـلى كـلّ الأنـام

سـيّـان في تـنـغـيـصـه عـالٍ ومُـنْخَـفِضُ الـمـقـام

أيـن الـمـلوك وأيـن مَـنْ كـانت لهم تُـرْعَى الـذِّمـام

[56] 5 / لـم يَـحْـمِـهـم مـالٌ ولا لَـمْـعُ الـصوارم والـسِّـهـام

وجـمـيـع عِـزِّهُـمُ آنْـطَوَى كـالبـرق في طـيّ الغـمـام

لم يـظفَـروا بسـوى الـذي عَـمِـلُوه مـن خَـيْـرٍ مُـدَام

وجـدوه نُـوراً عـنـدمَـا يسعى المُقَصِّـرُ فـي الـظلام

وجـدوه سـعـداً مُـؤْنِـسـاً يَـهْـدِي إلـى دار الـسّـلام

10 وجـدوه مُـلْكـاً جَـلَّ أن يـسعـى لـعـزّتـه آنـصـرام

---

(1) الأمير حمّودة باشا الحسيني (1777-1814) .

(2) الغُلّة والأوام : العطش الشديد .

(3) يستقيم الحساب بإسناد 5 الى التاء الختاميّة .

(4) مجمع ، 25 أ والتعطير وكنّش الطّواحني . وقـد استشهد يـوسف صاحب الـطابع في 11 صفـر 23/1230 جانفي 1815 (انظر ترجمته في الإتحاف ، 7/89-100) .

هـذا الـذي قـد رَامَـه بـصنيعـه هـذا الـهُمـام[1]

فـأتـى بـكـلّ عـظيـمـة عن مثلهـا صَغُـرَ الـعـظام

أَوَلَـمْ يُـسِـلْ عَـيْـنَ الـنّـدى حـتّـى تَـضَـلّعَ كـلُّ ظـام[2]

أَوَلَـمْ يَـشِـدْ لـلدّيـن مـا أنـوارُه ذات ابـتـسـام؟[3]

15 مِـنْ جـامـعٍ جُـمِـعَـتْ لـه كـلّ المحاسن بـالتّمـام[3]

ومكـاتـبٍ أضـحـى بـهـا دُرُّ الـمفـاخـر فـي انتـظام

ومَـوَارِدٍ بـزُلالـهـا أَبْـرَى الأنـامَ مـن الأُوَام[5]

هـذا، وكـم قَـصَـدَتْـهُ فـي أيّـامـه زُمَـرُ الـمـرام[6]

والـدّهـرُ كم لَحَـظَتْـهُ مـن إجـلالـه عَـيْـنُ آحـتـرام

20 قـاد الـصّـفـوف بِـعَـزْمِـهِ وبـرأيـه صـلّى الإمـام[7]

فـأطـاعـه فـي حـربـه نَـصْـرٌ عـزيـزٌ لا يُـرام

ثـم آنْـقَـضَـى فـكـأنّـه طَـيْـفٌ تَـعَـرَّض فـي مـنـام

وَمَـنِ آلـذي دامـت لـه والـدّهـرُ مسلولُ الحُسَام؟

فَـبَـكَـتْ عـلـيـه عـوائـدٌ غُـرٌّ بـأدمـعـهـا السّجـام

25 الـلّه يـرحـم يُـوسُـفـاً خـتـم الـكِـرام بـلا كـلام

---

(1) في التعطير والإتحاف « وهو الذي » .

(2) في التعطير والإتحاف : « حتى تضاءم » . وتضلّع : شَبع ورَوِيَ .

(3) في المخطوط : « مَن » .

(4) جامع صاحب الطابع المشهور ، بحيّ الحلفاوين من حاضرة تونس . انظر : « تاريخ معالم التوحيد » (الطبعة الثانية) ، ص 212-224 .

(5) في المخطوط : « من الأسام » . والأُوام : العطش .

(6) في التعطير والإتحاف : « وكم لبّته » .

(7) جاء الصّدر فيهما : « جرّ العساكر خلفه » .

[57] / لا غَـرْوَ أن أرّخـتُـه: بـمـمـاتـه يَـتُـمَ الـكـرام[1]

1230

***

78 ـ وقـال رضي الله عنـه يمـدح كبيـر أهـل الشّـورى شيخـه إسمـاعيـل التميمي [وافر][2] :

خليلي هـل لهجـرك من خِتَـامِ فـإنه منـه مختصـر المَنَـامِ
وهـل تـدري بـأنّـك في فؤادي فكيف تُـذيقُني كأسَ الحِمَـامِ ؟
وَلَسْتُ بِمُعْـظِمٍ حتفـي لشـيءٍ سِوى خَوْفِ آنتقالِكَ من عظامي
فبـالحُسْنِ الـذي أولاك رِقّـي وأولانـي مُحَـالَـفَـةَ السّـقـام
5 تَـرَفَّقْ بي فـإنّـي لستُ مِمَّنْ يـرى حِـلّ التّنقّـل في الغـرام
ولستُ بِمُـذْنِبٍ إلاّ بِـوَجْـدِي إذا مَـا ٱلْوَجْـدُ عُـدَّ من الحـرام
وَصِلْني كَيْ تـرى جسماً نحيفاً يبيت من التسهّـد في ضِـرام
وإنّي في الغـرام فقيـهُ وَجْـدٍ يـبيت من الـتفـقّـه في مُـدام
فيشـرح مُبْهمـاً ويبين معنىً ويُـبْـدِي عِـلّةً وِفْـقَ الـغـرام
10 ويسلك في مسـالكهـا وجـوهـاً لهـا وجهُ القـوارح في اغتمام[3]
ويُعْـرِب عن ضمـائـرهـا بلفظٍ بـديعِ الصَّنْـعِ في سحر الأنـام
كـأنّ الشيـخَ إسمـاعيـلَ لمّـا تَـلألأَ عِـلْمُـه يـوم الخِتـام

(1) الحساب يفضي الى 1230 خلافاً لما في التعطير : 1231 . وفي الإتحاف : 1230 ، وهذا هو الصّواب .
(2) مجمع ، 38 أ . وأبو الفـداء إسماعيـل التميمي قاضي تـونس ومفتيها ثم رئيس المفتين بهـا بعد الشيخ محمد المحجوب سنة 1243 . وتوفّي على هذا المنصب سنة 1832/1248 (شجرة النور الـزكيّة، 370 رقم 1477) . وقد خلفه الشيخ إبراهيم الرياحي .
(3) القوادح أو القوارح ، ولا يتبيّن المعنى بهما .

وفتّـحَ أعْيُنـاً وشفـى صـدوراً ... وأذهـب داءَ أفْئِـدَةٍ لِئـام

وأسـمـع صُـمَّ آذانٍ وحـلّى ... بُـدورَ اللّفظِ ما يـوفي الكلام[1]

15 وأبـرز حين بـرّز فـي جَـلالٍ ... علومـاً دونها الهمم السّـوامي[2]

وأطلع من تـطلّع فـي جمـالٍ ... سَنـاً من دونـه بَـدْرُ التّمـام

إمـامٌ قـد حـوى عـزّاً وعلمـاً ... وأحـرز مصـطفى شِيَمِ الكِـرام

وشيـخٌ قـد حَبَـاهُ اللّه فضـلاً ... لـه آلْفُضَـلاءُ جـاثيـةُ المقـام

[ويمّمـه] التّمـام بـدرّ كـلام ... فلُقِّب بـالـتّميمـيّ الإمـام[3]

20 وشـرّفـه عـلا نَسَبـاً ونُسْكـاً ... فكـان من الكمـال على تمـام

ومـا مـدحي لـه لينـال مَـدْحـاً ... ولكن كي يَـزِينَ بـه نِـظامـي

وأودع عـنـده عـهـداً فـإنّـي ... أرى الأَشْـرافَ عهـداً للذِّمـام

ولا زالت بـه الاشـرافُ تَسْمُـو ... فـإنّ بـقـاءَه سَبَـبُ الـدّوامِ

* * *

79 ـ وقال قدّس سرّه ، مجيباً تلْميذه شيخ الإسلام محمّد بيرم الرّابع عن سؤال أرسله إليه عام 1826/1241 [طويل][4] :

---

(1) هذا العجز غامض ، والقراءة فيه تقريبيّة .

(2) في المخطوط : « في حلال » ، بالمهملة .

(3) الصّدر عسير القراءة ، والإصلاح من المجمع .

(4) مجمع ، 44 ب . وتولى محمد بيرم الرابع مشيخة الإسلام خلفاً لأبيه محمّد بيرم الثالث سنة 1843/1259 ، وتوفّي سنة 1861/1278 (انظر ترجمته في الإتحاف ، 124/8). والسؤال يتعلّق برؤيا منسوبة الى الشيخ أحمد التجاني في اقتراب السّاعة وفناء العالم. فقال بيرم الرابع في سؤاله (التعطير، 101/1 وكشف الحجاب ص 141) :

لقـد ظهـرت رؤيـا لهـا نسبـة الى ... إمـام لـه بـيـن الأنـام تـقـدُّم

ملخّصهـا أنّ الأنـام جـميـعَـهـم ... لـذا القـرن تفنى دون ريب وتعـدم

أهـل هـو ممّـا صـحّ عنـدك نقلُه ... عن الشيخ ، أم للمَين فيـه تـوسّم ؟

أَيَا مَنْ سَبَى الألباب لُطْفُ كلامه ... كما أنّه في الأذكياء مُقَدَّمُ
أَتَتْنيَ من سحر البيان قصيدةٌ ... وما هي إلا عِقْدُ دُرٍّ مُنَظَّمُ
تُسَائِلُ عمّا شاع في النّاس ذكرُه: ... أَهَلْ لَهُ أَصْلٌ في الثّبوت مُسَلَّمُ؟
نَعَمْ هُوَ رَيْبٌ دون مَيْنٍ ومَا لَهُ ... ثُبُوتٌ وأَمْرُ الشيخ أعلى وأَعْظَمُ
5 جزى اللّهُ خِزْياً مُفْتَرِيه وذِلّةً ... وَمَأْوَاهُ إن لم يَعْفُ عنه جَهَنَّمُ
فهذا جوابٌ للّذي هو طالبٌ ... حقيقةَ هذا الأمر ، واللّه أَعْلَمُ
ويسأل إبراهيمُ من فضل ربّه ... لك الأمْنَ في الدَّارَيْنِ وهو يُسَلِّمُ

* * *

[59] 80 ـ / قال قدّس سرّه، مخاطباً الشيخ محمّد [عبشة] قاضي مجاز الباب [كامل][1] :

أمحمّدٌ قد حُزْتَ كلَّ فضيلةٍ ... قدماً شهدتُ بجودك المعلوم[2]
فَامْنُنْ بفِطْرٍ من طعامك إنّني ... أصبحتُ للتّزريد كالمفطوم
واعلم بأنّك إن بَخِلْتَ بأكله ... عُوقِبْتَ من صَبْرِ ٱلْتِهاب سَمُومِ

* * *

81 ـ وقال رضي الله عنه ، مجيزاً تلميذه القاضي محمّد بن سلامة عام 1846/1263 [كامل][3] :

حمداً لمن جعل الإجازةَ سُلَّمَا ... يَرِثُ ٱلمُجَازُ بنَيْلها نسباً سَمَا

---

(1) مجمع ، 44 ب قبل هذه الأبيات نصّ إجازة نثرية من الشيخ إبراهيم الرياحي الى الشيخ بيرم الرابع في رجب 1243 ، تتعلّق بدلائل الخيرات ، وهي تشغل قسماً من لوحتي 58 و 59 . وقد رأينا الإعراض عنها .

(2) في المخطوط : « أمحمّداً » . وقد نوّنّا بالرفع ، وبعض الشيء أهون من بعض .

(3) التعطير ، 105/2 . والشيخ محمّد بن سلامة تولّى عدّة خطط شرعيّة بحاضرة تونس منها القضاء والإفتاء . وتوفّي سنة 1850/1266 ، انظر ترجمته في الإتحاف ، 77/8 .

وصَـلاَتـهُ وسـلامُـه أبـداً على ... خَيْـرِ الـورى متعلّمـاً ومُـعَلِّمَـا
ولآلـه وجميـع أمّتـه الـرّضى ... لا سيّمـا عـلمـاؤهم لا سـيمـا
هـذا وإنّ الفـاضـل آبْنَ سَـلاَمـةٍ ... ذاك الـذي مَتْنَ الكَمَـالِ تَسَنَّمَـا
5 هَشَّتْ إلى نَيْـلِ الإجـازة نَفْسُـهُ ... لمّـا رآهـا لـلأفـاضـل مَغْنَمَـا
فمن الفقيـر لهـا آلْتجَـا مَـعْ أنّني ... مـا كنتُ للظّمـآنِ فيهـا مَعْلَمَـا
لكن رَجَـوْتُ تَشبُّهـاً بـرجـالهـا ... آبـائِنـا العُلَمَـا وَمَنْ يُشْبِـهْ فَمَـا[1]
فـأقـول: إنّي قـد أَجَـزْتُ لـه بـلا ... ثني روايـةَ مـا يصـحّ لِيَ آنتمـا
[60] / مُوصٍ كما أُوصيت بالتّقوى التي ... أوصى بهـا القـرآن نصّـاً مُحْكَمَـا
10 مـن كـلّ مـا أدريـه وأرويـه لا ... الجُعفيّ أَقْصِـدُه فقط أو مُسْلِمَـا[2]
وبـدعـوةٍ منـه بقـلبٍ حـاضـرٍ ... أرجـو بهـا حُسْنَ الختـام مُكَـرَّمـا
واللّهَ إبـراهيمُ يحـمَـد مُهْـدِيـاً ... أَزْكى الصّلاة على الرّسـول مُسَلِّمَا

***

82 ـ وقـال رضي الله عنـه يمـدح آل النبيء ﷺ ، وتعـرّض للشيـخ محمّـد السّعيـد المغربي الحسني ، وذلك في 14 شعبان 1232/ جوان 1817 [كامل][3] :

زَمَنَ التّقى آغْـرُبْ ما عليـك مَـلاَمُ ... تَقْـوَى المُـتيَّـمِ لَـوْعَـةٌ وغـرامُ
مَنْ يـرتجي عَـدْنـاً بفضـل تنسّـكٍ ... فـالنّـاس في سُبُـلِ الهـوى أقسـام

---

(1) تضمين للمثل : « وَمَنْ يُشْبِهْ أَبَهُ فما ظلم » (الميداني رقم 4019) .
(2) الجُعْفِي : الإمام البخاري رضي الله عنه .
(3) مجمع ، 26 ب ، التعطير ، 87/1 ، وجاء في تقديم هذه القصيدة ما يلي :
« اجتمع الشيخ رضي الله عنه في أوائل شعبان 1232 بالشيخ محمد السعيد بن عبد الله الغزواني بن محمد السّعيد ابن الحاج المفضال الدقاليّ الإدريسي ، عند وفوده لتونس ، فامتدحه بقصيدة وهي .. » .

وتَـوَلَّـعي بـمـحـمّـدٍ وبـآلـه حـظّي، ويا كـلَّ الحظوظ سَـلامُ!

قـل لـلعـواذل فيـهمُ أحـسـنـتـمُ إنّ المـلامـة في الغـرام مُـدام

5 حـاولتمُ بـالعـذل نـزعَ محبّـةٍ ثَمِلَتْ بهـا يـوم الخـطاب نِـدَامُ

عـاقرتهـا صِرْفـاً كمـا شـاء الهـوى ومـزاجُـهـا يـا حبّـذا الأنـغـامُ

فهناك لي طاب الشّرابُ ولم يكن فـي كـأسـه لَـغْـوٌ ولا آثـام

إن تـطلبوا التّقليـد منّي في الهـوى فَـلِمِثْـلِيَ آلتَّـقْـلِيـدُ فـيـه حَـرَامُ

وضـحت فـصحّـت لـلفـؤاد أَدِلَّـةٌ حَـجَبَـتْكُـمُ عن دركِـهِـنَّ سِـقـام

10 ونـظرتُهـا والشّمسُ دون ضيـائِهـا إذ أنـتمُ كَـلْمى الـجـفـونِ نِـيـام

وشممتُ عَـرْفَ حـديثِهـا وسمعتُـه دُرّاً يُـغـيـر الـدُّرّ وهـو نـظام

للّه هُمْ ومـحـاسنٌ خُـصُّـوا بهـا سَمَحَتْ بها الأيّام وهي جهـام[1]

ومكـارم هِمَمُ الـزّمـان قصيـرة عـنـهـا وألـسـنُـهـنّ والأقـلام

مـاذا يقـال لهم إذا قـالـوا بنـا مُحِيَ الضّـلالُ وكُسِّـرَ الأصنـام

15 مَـنْ يَتَّـبِـعْ آثَـارَنَـا فَـلَهُ الـهـنـا دارُ آلـنَّـعِـيـمِ ودِيـنُـه الإسـلام

هـذا هـو الشـرّف الأثيـل فَلُذْ بـه لا مـا سـواه فـإنّـه أوهـام

[61] / واسنَنْفِدِ المقدورَ في تعظيمهم قَـوْمٌ أَجَـلَّهُـمُ الـكـتـابُ عِـظَامُ

وآصْـرِفْ لنجلهمُ السّعيـدِ محمّـدٍ وجـهَ الثنـا تَسْعَـدْ لـكَ الأيّـامُ

ذاك الـذي وضحت محاسنُ نـوره نـورُ الـنـبـوّة واضـحٌ بـسّـامُ[2]

20 وتـبـيـنـت فـي وجـهـه نَـضّـارة إنّ الـسّـعـادة نـضـرة وكـلام[3]

جـلّ الـذي سـوّاه حُسْناً خـالصاً فـكـأنّـه لـم تَـحْـوِهِ الأرحـام

---

(1) في المخطوط « حظوا » .

(2) في التعطير ، « سرّه » .

(3) في المخطوط وفي التعطير : نظارة ونظرة.

لا تعجبوا ، فجمال أرباب العبا لجمال مولانا السّعيدِ قوام
أو تحسبوه جهالةً شمسَ آلضُّحَى ولها على نقض الغروب ظلام
أو تظلموه بجعله بحرَ النّدى والبحرُ رشح أنامل وسجام
25 ولئن حوى كلَّ العلوم فإنّما من بيتهم حَظِيَتْ بها الأعلام
فمتى تَرِدْ صَفْوَ المعارفِ منهمُ فآشرب فما بعد آلشّراب هُيَامُ
وآقْبِسْ مَصُونَ السِّرِّ من نَفَحَاتِهِمْ فهمُ فقط دون الأنام كِرَامُ
صلّى الإلٰه عَلَيْهِمُ وِفْقَ الرِّضَى مِنْ بَعْدِ مَنْ هو فاتحٌ وخِتَامُ
ما حَرَّكَتْ ريحُ الغرام سواكناً وترنّمت فوقَ الغصون حَمَامُ

* * *

83 ـ وقال[1] قدّس سرّه لمّا اصطلح الشيخان رئيس الكتبة محمد الأَصرم والقاضي محمد بن سلامة في شأن بناء حائط بينهما ، بعد مشاجرة عظيمة ، والخطاب للأول [كامل] :

ما بين ناظر مقلتي وجفونها وَقَعَ القذى فأطار ذاك منامي
فالحمد للّه الذي قد سرّني بزواله فشفى بذاك سقامي

* * *

84 ـ وقال[2] قدّس سرّه مجيزا الشيخ صالح الشامي في سفره للحجّ عام 1826/1241 [كامل] :

حَمْداً لمن بجزيل فضلٍ أَنْعَمَا وخصوص إِنْعَامٍ بما قد علّما
ثم السّلامُ مع الصّلاةِ على الذي لولاه ما أَرْضاً رأيتُ ولا سما
والآلِ طُرًّا والصّحابةِ كلِّهِمْ ومَنِ آبْتَغَى الإسلام ديناً قَيِّمَا

---

(1) مجمع ، 145 أ .

(2) مجموع ح.ح. عبد الوهّاب ، 18841 ، مجمع الدواوين 31 ب .

[62] / هذا، وإنّي قد أجزتُ لصالحٍ ذاك الذي للشّام في الأصل آنْتَمى
5 مـا صـحّ نـسبتُـه إليّ روايـةً أو قلتـه ، نثراً يُـرَى ومُنَـظَّمـاً
سـاعفتـه جَبْـراً لـه ولـوَ آنني مـا كنتُ في نفـر الإجـازة مَعْلَمَـا
مـوصىً بتقـوى اللّه جـلّ جـلالـه وبـدعـوة تجلو عن القلب العمى
وأنـا الرّيـاحِيُّ ابنُ عبـدِ القـادر الـ ـعبدُ الذي يرجو الشّفاءَ من الظمـا
ثـمّ الصّـلاة عـلى النـبيء وآلـه مـا طـائـرٌ بين الغصـون تـرنّمـا
10 والحمـد للمولى العـظيم أحَقُّ مـا بـدأ المهـمَّ بـه أمـرُؤٌ أو تمّـمـا

* * *

85 ـ وقال تقبّل الله عمله ، وبلّغ في دار المقامة أمله ، يمدح رجلا يتعاطى الطبّ يقال له عبد الرّحيم وقد داوى أحد أولاده فنجح علاجه [وافر] :

قليـلٌ فيـكَ يـا عَبْـدَ الـرَّحِيمِ نـظامٌ جَـلَّ عـن دُرٍّ نَـظِيـمِ
جمعتَ الحُسْنَ مَعْ أدبٍ وطِبٍّ وأخـلاقٍ أَرَقَّ مـن الـنّسيـم
إذا نـادمـتَ ذَا حَـزَنٍ تـسلّى وفي مـرآك عـافيـةُ الـسّقيم
لقـد أحْيَيْتَ جـالينـوس حتّى غنينـا بالجـديـد عن القـديم[1]
5 أطـال اللّه عمـرَك في عـوافي كمـا مثـواك جنّـات النـعيـم

* * *

86 ـ وقال متّعه الله برؤيته ، وأعلى منزلته في دار كرامته ، مناقضاً آبن جزّي القرطبي في قوله : « يا محبّا كتب الحسن به » الخ [رمل][2] :

---

(1) في المخطوط : « جاليانوس » والتصويب من المجمع ، 45 ب ومن المألوف .

(2) التعطير ، 110/2 والأبيات ساقطة من المجمع . وابن جزي الكلبي : محمد بن محمد بن أحمد ، شاعر وكاتب أندلسي خدم ملوك غرناطة ثم بني مرين بالمغرب وتوفي سنة 757 (أعلام الزركلي 266/7) . . وأبوه أبو القاسم (ت 741) فقيه وأصولي مالكي ذو تصانيف كثيرة (الأعلام 221/6) . انظر خبره في نفح الطّيب (طبعة إحسان عبّاس 526/5) .
والأبيات التي عارضها الشيخ هي (نفح الطيب 533/5 والتعطير 109/2) :
يـا مُحِبّـا كَتَبَ الـحسـنُ بـه أَحْـرُفـاً أَبْـدَعَ فـيـهـا وبَـرَعْ :

يـا جميلَ ٱلْـوَجْهِ، والحُسْنُ بـه أَحْسَنَ ٱلْكَتْبَ على وجْـهٍ أتـمّ
قَـوَّسَ النّـونَ لِعَيْنٍ حـاجبـاً وبِميمِ الثّغـر في الـخّط خَتَـمْ
كيف لا أطمـع في وصلك لي وعلى وجهـك مكتـوبٌ: نَعَمْ

* * *

87 ـ وقال رضي الله عنه يرثي شيخه القاضي أحمد بو خريص [خفيف][1] :

كـم رحيـقٍ معـطّرٍ مـختـومِ في كؤوس المنـطوق والمفهـوم
[63] / قـد سقاهـا أبو خُـرَيْصٍ مُـدَامَـا أَطْـرَبَتْهُم بسِـرِّهـا الـمكتـوم
في دروسٍ أنـوارُهـا سـاطعـاتٌ في سمـاء النّهى بِحُسْن فُـهـوم
طـالـعُ السّعـد قـال: ذاك محلّي لا يحيط عن قـطبهـا المعـلوم[2]
5 أحمـدُ جـامـعُ الجوامـع طـرّاً سيّـدٌ في الكمـال غَيْـرُ مـروم
عضـد الـدّين حـجّـة الله فخـر في سبيـل الهـدى وبثّ العلوم[3]
أيُّ بَحْـرٍ في العلم لم يَجْرِ منـه أيّ طـام من رأيـه مـخـتـوم[4]
ذكـرُه المسـكُ في الآفـاق عبيرٌ قـدرُه دُونَـهُ مجـاري النّجـوم[5]
صِيتُـهُ الشّمسُ شهـرةً في البـرايا في ثـنـاءٍ كـالـلّؤلـؤ الـمـنـظوم

= ميـم ثـغـر ، ثـم نـون حـاجـبٍ ثـم عـين هي تـتـمـيـم الـبـدع
أنـا لا أطـمـع فـي وصـلك لـي وعـلى وجهـك مكـتـوب : منـع

(1) مجمع ، 38 أ ، التعطير ، 97/1 . والشيخ أحمد بوخريص مدرّس بجامع الزيتونة ، تولّى قضاء الجماعة في التاسع من ربيع الثاني 1230 (19 فيفري 1815) واستقال بعد ذلك بمدّة قليلة ، مفضّلاً التفرّغ للتدريس الى أن أدركته المنيّة في الخامس من ربيع الأوّل 1240 (28 اكتوبر 1824) (الإتحاف ، 139-138/7) .

(2) في التعطير : « لا محيط » .

(3) في المخطوط : « عضو الدين حجّة الدين » .

(4) هذا البيت ساقط من التعطير. وكلمة «مختوم» ظنّية . وفي المجمع : أيّ ضام (ظامّى) من ريّه محتوم .

(5) في التعطير : « عبيق » وفي المجمع : غبيق بالمعجمة .

10 ثم لبّى لما دعاه المنادي لِقضاءٍ على الورى محتوم
سكن القبرَ بعد تلك المعالي يا لَحِصْنٍ من الهدى مهدوم !
إنّ هذا المصابَ خطبٌ جسيم بَاذِلُ الرّوحِ فيه غير ملوم
غَيْرَ أنَّ المصيرَ للفضل كفٌّ تغرس الصّبر في الفؤاد الكريم[1]
يا إمامَ الهُدَى عليك سلامٌ من رؤوفٍ بالعالَمِين رحيم
15 رحمةً في الحياة كُنْتَ ونوراً أيّ جَهل من بعدها مركوم
فحقيقٌ قولي متى قلت: أرّخ: كسفت بعدها بدور علوم[2]

1240

* * *

88 ـ وقال قدّس سرّه، يرثي القاضي الشيخ المختار المنكّبي [كامل][3] :

قاضي المنيّةِ نافذُ الأحكام عدل القضا حتى على الحُكّام
ما الفضل يمنعه ولو بلغ الفتى في الفضل مجتهداً أجلَّ مَقَامِ
آنظر إلى هذا الإمام وما حوى كيف آنْطَوَى في تربة ورُجام
غَرَبت محاسنُه وكانت للورى سَرْجَ الظّلام وزينةَ الأيّام
5 ولفقده يبكي القضاء كما بَكَتْ مُقَلُ الأرامل بَعْدُ والأيتامِ
[64] / للّه يا مختارُ ما قدّمتَه من صالحٍ ذُخْراً لِنَيْل مَرَامِ
ولك الهناءُ بِطِيبِ ما خلّفتَه من حُسْنِ ذكرٍ في البريّة نَامِ

(1) لعلّه : « الفؤاد الكليم » .

(2) في المخطوط : « متى ما أؤرّخ » ، وتأريخ الوفاة في هذا الحساب 1240 وفقاً لما جاء في الإتحاف وفي التعطير .

(3) مجمع ، 41 ب . والشيخ المنكّبي فقيه من أشراف باجة ، تولّي القضاء ببباردو وتوفي سنة 1812/1226 (الإتحاف ، 60/7) .

فبقبـــره قِفْ واعتبـــر مُسْتَنْشِقـــاً من نشـره روضا كمِسـك خِتـام
وآنشُدْ لدى هذا الضريح مؤرّخاً : أَكْـرِمْ بمثـوى حلّه بســلام[1]

1226

* * *

89 ـ وقال رحمه الله يرثي المفتي الخطيب الشيخ حسين برناز [كامل][2] :

كـلُّ الـورى هَـدَفٌ لِسهم حِمـام حُكْمٌ جـرى حتى على الحكّـام
كيف الـدّوام وكـلّ شيء هـالـك لِنَـزِيـلِ دارٍ غَيْـرِ ذات دوام ؟
فـآعْمَلْ لنفسـك صالحـاً تلقـاه إذْ يصحو الورى من سكرهم بمنام[3]
وآنفض يـداً من هـذه الـدّار التي سَحَـرَتْ بـأحـلامٍ ذوي الأحـلام
5 وهي التي وعظت وحسبُك واعـظا مَـوْتُ الـعـلوم ونُـقْـلَةُ الأعـلام
آنظر إلى هذا الضّـريح ومـا حَوَى من عَـالِمٍ عَلَمٍ وبَحْـرٍ طـامـي
بَـحْـرٌ مـن الـتّـحـقـيـق قـلّد دُرَّه نحرَ الـطّروس أنـامـل الأقـلام
كنـز من التّـدقيق كم حَلْيٍ بـه مـن دميـة الإفـتـاء والأحـكـام
هـذا الإمـام حُسَيْنٌ آلعَلَمُ الـذي نـظم التُّقَى والـعـلمَ أيّ نـظام
10 يا مجمَعَ البَحْرَيْنِ يا بـرنازُ ، مَنْ أبقيت نـوراً في دُجى الإظـلام ؟

(1) يوافق الحساب سنة 1226 كما في الإتحاف .

(2) الشيخ حسين برناز عالم وفقيه من أصل تركي . تولّى عدّة خطط شرعيّة بالمنستير وتونس ، كما تولّى الخطابة بجامع القصر ثم الإمامة بجامع يوسف داي . توفّي سنة 1813/1228 (الإتحاف ، 7/84-85) .

(3) تلقاه لا تَلْقَهُ وكذلك في المجمع ، 89 أ .

قد كنتَ مصباحَ الهُدَى وصباحَه وجمالَ وجه محافلِ الأيّام
إن غِبْتَ عن نظر العيون فلم تزل بين الجوانح في أعزّ مقام
يَهْنِيك ما خلّفتَ من شكرٍ وما قدَّمْتَه ذُخراً لِنَيْلِ مَرَامِ
لا غرو أن يجد المُنى فضلاً وفي تاريخه : حصل الهنا بختام[1]

1228

* * *

(1) تاريخ الجمّل : 1228 وفق ما في الإتحاف .

حـرف النّـون

90 ـ / قـال تغمّده الله بـرحمتـه ، وأخلده أعلى قصـور جنّتـه ، مؤرخـاً بنـاء المغـارة الشاذليّة [حين ما أتمّها شيخ الطريقة يومئذ الشريف الحاج عمر بن المؤذّب رحمـه الله تعالى] سنة 1817/1232 [كامل][1] :

آنْـظُرْ لـه تَمَّتْ مغـاني حُسْنِـهِ ... مُتَعَبَّـداً للّه مُـذْكِـرَ عَـدْنِـه[2]

سَـطَعَتْ محاسنُـه سَناً فكـأنّما ... شمسُ الضُّحَى بَزَغَتْ لنا من رُدْنِه[3]

وتـبـيَّـنَـتْ فـي وجـهـه ورداتـه ... إنّ السّعـادةَ رَشْفـةٌ من مُـزْنِـه[4]

قَـرَّت بـطلعتـه عيـونُ أُولي التّقى ... وآستبشـرت بمنـائـحٍ من يُمْنِـه[5]

5 لا غَرْوَ إذْ قُطب المعـارف والهدى ... سـاقي مُهَيَّمِـهِ وراقي حُـزْنِـه[6]

الشّـاذليُّ ـ ومـا أبـو حسنٍ ومَـنْ ... عَـزَّتْ عن الإفصـاح عـزّة شـأنـه!

يـا رُبَّ غَـاوٍ قـد هـدى ولَكَمْ فَتىً ... عَـانـى الهـوى فـآفتكّه من سِجنه[7]

---

(1) التعطير ، 90/1 . والزيادة من مجمع الدواوين ، 10 أ . ومغـارة أبي الحسن الشاذلي هي الكهف الـذي كان يتهجّد به على جبل التّوبة في مقبرة الزلّاج جنوب عاصمـة تونس ، وهي الى اليـوم مقصد المـريدين المنتسبين الى الطريقة الشاذلية ، بها يتلون كلّ سبت أوراده وأذكاره .
والشاذلي هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبـد الجبّار المغـربي ، ولد بـالمغرب وعـاش بتونس ثم الاسكندرية وكان له كرامات عديدة . ومـات بصحراء عيـذاب في طريقـه الى الحجّ ودفن هنـاك سنة 656 . انظر الأعلام ، 120/5 وجامع الكرامات للنبهاني ، 176/2 .

(2) المتعبّد بصيغة اسم المكان : المغارة المذكورة . ونفحاتها القدسيّة تذكّر بجنّات عدن .

(3) الرّدن ج أردان : كمّ الثوب .

(4) في التعطير : « رشفت » . والرشفة ما يتبقّى من ماء قليل .

(5) المنائح ج منيحة : الناقة توهب بلبنها ووبرها . وهنا : الهبة عامّة .

(6) المهيّم : الشديد العطش . والرّاقي من يستخدم الرُّقية لإزالة همّ أو وجع .

(7) في المجمع : غار .

ولـكـمْ وَلِـيٍّ نَـالَ وزن ولايـةٍ والشّـاذليُّ بـه آستقـامـةُ وزنـهِ[1]
شيـخ الـطّريقـهِ في بنيـه مُـرَبّياً فكفـاه عن شـرح الـطريق ومتنـه
وأبـان في أحـزابـه نـوراً لمـن وقـع القَـذَى في قلبـه أو جفنـه
لا سيّمـا الحزبُ الكبيـر وما حـوى من سِـرٍّ آنْـزَلَـهُ الإلـه بـإذنـه[2]
بـاللّه شَنِّفْ مسمعي بحـديثـه وأَدِرْهُ كـأسـاً وآسْـقِنِي من دَنِّـه
وآسْمَـحْ بـه صِـرْفـاً فـإنّ قتيلَه يبقـى على رَمَـقٍ ولم يَـسْـتَـفْـنِـه
فـأنا المُصـابُ بحبّه وأرى الـورى كـلٌّ أصيب بـحبّـه مـن فَنِّـه[3]
كـلٌّ يـرى سـوقَ البضـائـع رابحـاً فيمـا لَـدَيْـهِ وغَيْـرُه في غَـبْنِـه
يـا ذاكـريـن اللّه في أرجـائـه بُشْـرَاكُمُ يـومَ المَخـافِ بِـأَمْنِـه
واللّه يـذكـرهم بـذِكْـرِكُـمُ لـه ويُحِلُّكم من ذكـره في حصنـه[4]
وطوائفُ الأمـلاكِ قـد حَفَّتْ بكم فَـلْيَكْـفِ ذلـك ذاكـرا وَلْيَـهْـنِـهِ
هذا وما لخصـوص أهل طـريقكُم شَـرَفٌ عـظيـمٌ لا يُقـام بِـمَـنِّـه
فـآسْعَـوْا إليـه بكـلّ قلبٍ حـاضـرٍ غَيْـرُ الـرّضى من ربّـه لم يَعْنِـهِ
[66] / ودعوا الهوى فَهُوَ الذي عاق الورى فلَكَمْ رِهَـانٍ أُغلِقت فـي دَيْنِه[5]
وتمتّـعـوا يـا زائِـريـه بمنـظرٍ يهـدي لِمَنْ قـد زار قُـرَّة عينـه
وتـأمّلوا كيـف اعتـنى عُـمَـرٌ بـه وأمـدّه التـوفيق منـه لِعَـوْنـهِ[6]

---

(1) في التعطير : « قام وزن . . . » .
(2) الحزب الكبير : لعلّه حزب البحر المشهور عند مريدي الطّريقة الشاذلية .
(3) في التعطير : « عن فنّه » .
(4) في التعطير : « بذكراكم له » .
(5) الرّهان جمع الرهن ، وهو الشيء المرهون . والبيت ساقط من التعطير .
(6) هذا البيت ساقط من التعطير . وعمر : هو الشيخ عمر بن المؤدّب المدرّس والإمام الثالث بجامع =

فبنى بـه سَعـةً زوائـدَ وافـقت يُمنَى مُهَنْـدِسِهَـا رِيَـاضَـةُ ذِهنِـهِ

25 إنّ المَقـامَ بـدونهـا حسـنٌ وفي تـاريخهـا: تمّت زوائِـد حسنـه[1]

1231

* * *

91 ـ وقال نوّر الله ضريحه يمدح المفتي الخطيب الشيخ الطاهر بن مسعود حين قدومه من المغرب ، رحمه الله [كامل][2] :

زَمَـنٌ بكـلّ مـسـرّة وافـانـي أَكْـرِمْ بـه زمـنـاً وأيّ زمـانِ

لن أستـطيـع ثـنـاءَه ولـوَ أنّنِي أُعْـطِيتُ في الإطـراء كـلَّ لسـان

حيث الحبيب مُنَـادِمٌ ومُـوَاصِـلٌ وبحيث يسمعني وحيث يـراني

والشّمـل منتظمُ الجـواهـر عقـده وصفـا المـودّة مُثمِـرُ الأغصـان

5 من بعد ما طحنت كـلاكـلُ جَـوْرِه كَبِـدي وأبلى مـهجـتي ورمـانـي

وتـداولت بين الحشـاء همـومُـه دُوَلاً تُـشيـب ذَوَائِبَ الـوِلْـدَانِ

وتنـاضلت فـوق الأسى وتـزاحمت شِيَـعُ الـرّدى وطـوئفُ الحِـدْثـان

بكتـائبٍ سُـودِ الـدّروع كـأنّهـا لَيْلُ ٱلْمِحَـاقِ وأَوْجُـهُ السّودان[3]

= الزيتونة ، وفي نفس الوقت شيخ الطريقة الشاذلية . وقد تمّ في عهده تجديد وترميم مغارة أبي الحسن الشـاذلي ، وتوفّي عن سنّ عـالية في 18 جمـادي الأولى سنة 1245 (نـوفمبر 1829) ودفن في جـوار المغارة . (الإتحاف ، 156/7) .

(1) حساب الجمّل يساوي هنا : 1231 ، خلافاً لما في التعطير : 1232 .

(2) مجمع ، 34 أ التعطير ، 110/2 . والشيخ محمّد الطاهر بن مسعود هو أستاذ الشيخ إبراهيم الرّياحي ، تولّى التدريس والخطابة بجامع الزيتونة وتوفّي بالطاعون سنة 1818 (الإتحاف ، 108/7) .

(3) المِحاق : آخر الشهر ، لا قمر فيه .

جَعَلَتْ تجولُ بِأَضْلُعِي فحروبُها ... ما مَرَّ عن نيرانها المَلَوَانِ[1]

وجوانحي ميدانُها ومداسُها ... ومجالُ كلّ مهنَّدٍ وسِنان

وقُوَى الحشاءِ مغانمٌ لِكُمَاتِها ... قُسِمَتْ أحاداً بينها ومثاني

أفلا يَحِقُّ على الجفون تجرّحٌ ... وعلى الفؤاد تجرّع الأشجان؟

وتسهّدٌ وتحنّنٌ وتأسّفٌ ... وتصعّدٌ في سُلَّمِ الهَيَمان

وأَحِبّتي ما بين ناءٍ مُبْعَدٍ ... وحميمِ آنٍ في التّراب مُهَان[2]

[67] / وحليفِ وِدٍّ لا يفيق من الأسى ... لذهاب خِلٍّ أو نُبُوّ مكان[3]

ومحلُّهم من بعد أُنْسٍ مُوحِشٌ ... يَبكي ويُبكي كلَّ صَلْدِ جَنان

يشكو حرارة ما يذوق وإنّما ... يشكو فراقَ أئِمّةٍ أعيانِ

كانوا مصابيحَ الرّشاد لأهله ... فتناثروا كلآلِئِي الأجفان[4]

سَلَّ الزّمانُ غِرارَهم فأراشهم ... بأسِنّةِ الأنكاد والأحزان[5]

وكسا جسومَ القاطنين ملابسَ آلْـ ... ـأسقام بعد نُعومةِ الأبدان

ولَكَمْ كَسَا مِنْ ذي اعتزاز ذِلّةَ آلْـ ... ـأكفان بعد رفاهة الأردان

وطوى محاسنَ مِنْ كِرَامٍ سَادَةٍ ... وكرائِمٍ تُصْبِي الرشيدَ حِسانِ

بجنود طَعْنٍ بالحروب عليمةٍ ... وخبيرةٍ بِمَقَاتِلِ الإنسان

طاعونها لا يكتفي بِأَقَلَّ مِنْ ... أَخْذِ النّفوس ولا يقول: كفاني

---

(1) الملوان : اللّيل والنهار .

(2) الحميم الآني : في التنزيل هو الماء الشديد الحرارة . وهنا لعلّه الصديق المتأنّي الحليم . وإنما اضطرّته المجانسة بين ناءٍ وآنٍ الى هذا التّلاعب .

(3) في المخطوط : « نبوّ مخاني » . ونبا به المكان : أزعجه وأضاقه .

(4) لؤلؤ العين : دمعها .

(5) في التعطير : « غرارهم . . . بقواضب » . والغِرارة : حدّ السيف أو الجولق وهو الكيس . ولعلّه يعني به الكنانة التي تُراشُ سهامُها .

25 حتى مَلَلْتُ من الحيـاة وطـولِهـا ورأيتُ رَمسي فيهـا نَيْـلُ أمـاني
وحَسَـدْتُ قُـطَّانَ القبـور وربّمـا لـذَّ الحِمَـامُ لمُصْـطَلي النّيـران

*

فـإذا نسيمٌ قـد تضـوّع بـاسمـاً بـالغـرب هبَّ مُعَـطِّرَ الأركـان
يُبْـرِي آلسِّقَـامَ شميمُـه وبنشـره يُـطْفي حـرارةَ كِـلّ صَبٍّ عَـانِ
يسـري الى نحو المشـارق مُذْهِبـاً عِـلَلَ الصُّـدور وغُـلَّةَ الـظّمـآن
30 نـاديتُـه: مـاذا وَرَاءَكَ طِبْتَ مِنْ مُحْيِي النّفـوس بنشـرك الـرّيّـان؟
فـأجـابني: إنّي هببتُ مُـبَشِّـراً بقـدوم من خضعت لـه الثَّقَـلَانِ
شمسُ الأيمّـةِ طـاهـرٌ من نـورِه يُهْـدى لـرونق حسنـه القَمَـرَان
شيـخٌ حبـاه من الكمـال إلاهُـه مـا لم تَـرُقْ بنـظيـره العَيْنَـان
أجلى على تَرشيشَ ظلمةَ حـزنهـا فـبـدت بـوجـهٍ مُشْـرقٍ فتّـان
35 وأبـاد جُنْـدَ همـومهـا بعسـاكـر [من ضيغمٍ ضـارٍ بكـلّ لسـان][1]
[68] / أَخَذَتْ تُقَارِعُ كُـلَّ شهمٍ ضَيْغَمٍ حتّى استحـال مُـزَوِّدَ العِقْبَـان[2]
ونفى لهـا بؤسَ السّقـام فـأصبحت خضـراءَ بعـد يبـوسـة الأفنـان
وتحـوّلت دارَ النّعـيم وطـالـمـا كـانت مَجَـالَ مصـائِبٍ وهـوان
وتـزخـرفت حتى كـأنّ قـطينَهـا لم يُجـرِ دَمْـعَـةَ حـائـرٍ ولهـان
40 وكـأنّـهـا لـمّـا ألـمّ بـدورهـا إرَمٌ تَـبَـدَّتْ أو قـصـورُ جِـنـان
وتبـاشـرت لمّـا رأتـه بـأَسْـرِهـا بلسـانِ حـالٍ أو لسـان بيـان
حتى رأيتُ بنـاءَهـا طَـرَبـاً الى مـرآه يـهـتـزّ اهـتـزازَ غـوانـي

---

(1) هذا الشطر ساقط من المخطوط ومن المجمع ، 35 أ .
(2) في التعطير : « شهم غضنفر » .

وجـوامعـاً ومسـاجـداً ومـدارسـاً تـومي الى التّسـليم ذاتَ حَنـان
ودروسُهـا تختـال في حُلَلِ البَهَـا ولـهـا بمقـدمـه البهِيّ تـهَـانِ
45 وتقـول: أهـلاً يـا حبيبُ ومـرحبـاً بـك يـا إمـامَ مشـايخِ العِـرفـانِ
يـا محيِيَ الإتقـانِ بعـد دروسـه ومـحـلّيَ الأذهـان بـالإيـقـانِ
ومُشَيِّـداً ربـع العلوم وقـد هـوى فـوق العـروش أسـافـلُ الجـدران
يا آبْنَ الكِرَامِ ونخبـةَ الفضلاءِ مِنْ أهـل الخـلافـة من بني عـدنـان
يا نَجْلَ صاحِبِ خَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الثّرى عُمَـرٍ مُـوشّـحِ رايـة الإيمـان
50 ومُعِـزَّ دينِ المصـطفى بـأدِلّـةٍ وأسِـنّـةٍ وأجـلّةِ الـفـرسـان[1]
ومبينَ صدقِ وقوعِ ما يقضي به آلْـ ـإرْهـاصُ، مثل تصـدّع الإيوان[2]
فـأذاق كسـرى كـأسَ ذلٍّ قـاتـلٍ فـكـأنّـه مـا ذاق بـنـتَ دنـان
كـم لي أُنَـقّي فـي الأنـام لعـلّني أُلْفِي فـمـا أَلْفَيْتُ مـثلك ثـانِ[3]
ولكم سألتُ النّاسَ هـل لك مُشْبِـهٌ فـرأيـتُهـم يـنـفـون كـلَّ مُـدَانِ
55 مِنْ أَيْنَ نُلْفي مُشْبِهاً لك في الورى وَهُمُ لـذكـرك نـاكسـو الأذقـان؟
[69]/ وإذا بـرزتَ رميتَهم بمهـابـة تَـذَرُ الشُّجَـاعَ البَـطْلَ مثـلَ جَبَـانِ
حتّى إذا مـا الـرُّعبُ زال رأيتَـهم وجـميـعُهـم مُثْنٍ بكـلّ لـسـان
قـل لي بفضلك: أيّ ذنبٍ جِئْتُـه حتّى أُجَـرَّعَ غُصّـةَ الهـجـران؟
وتـرى فـراقي مـذهبـا ومـدامعي تبـدو بـذاك مُبَـاحـةَ السَّيَـلان
60 ولأيّ شـيء مـا رأيتُ مـن الأسى بمغيب مطلَعِكَ العَلِيّ الشـان؟
وتَـركْتَنِي فـوق البسيـطة هـائمـاً عـاري الحيـاة لشـدّة الهيمـان

---

(1) الجلّ : بالضّم والفتح : ما يغطّي الدّابة من أثواب للزينة أو الصيانة .
(2) الإرهاص : في المعتقد ، هو الأمر الخارق للعادة الذي يظهر للنبيّ قبل بعثته (المعجم الوسيط) .
(3) ثانٍ عوض ثانياً . وقراءة البيت ظنيّة .

حتى رأيتُ من العذول تعذّراً ... وترحّما من كلّ نَذْلٍ شَانِ

أَحَسِبْتَ لي إلْفاً سِوَاكَ يروقني ... وأرى السُّلُوَّ به عليك عراني

لا والذي أولاك رِقّي ليس في ... قلبي سواك وليس لي قلبان

65 ولئن أتيتُ جريمةً فَلأَنْتَ مَنْ ... يُولي المُسِيءَ سحائبَ الغُفْران

أَوَكَانَ هجرُك لا لذنب جِئْتُه ... أَيَحِلُّ منكَ عذابُ غَيْرِ الجاني؟

ولعلَّ وِدَّك حال حتّى إنّه ... نسجتْ عليه عناكبُ النّسيان

ومتى استحال وحسنُ عهدِك في الورى ... عالي الحصون ومُحْكَمُ البنيان؟

لم أَدْرِ ما سبب الصّدود وليتَني ... حصّلتُ منه على شِفَا خفقان

70 لكنّ حرصي قَادَني لِلَطِيفَةٍ ... فرأيتُ منه الأَمرَ شِبْهَ عِيَان:

هي أنّ ما قد حُمَّ ليس بواقعٍ ... بمكانٍ أنْتَ به من القُطّان

فتركتَني كَيْمَا ترى المقضيَّ في ... حُلَلِ الوجود محقّق الإمكان[1]

والصّالحون لهم مَزِيدُ كرامةٍ ... فيهم تُعَاقُ عوائقُ الأزمان

سيّما وقد شاهدتُ فيكَ عجيبةً ... تقضي بأنّك قُرَّةُ الأعيان

75 إنّي رأيت كواكبَ الأفلاك قد ... سارت لِنَحْوِكَ طالقاتِ عِنَان

عَلِمَتْ بأنّك زائرٌ لِسَرَايَةٍ ... فَتَدَنَّيَتْ للغرب والمَيَلان[2]

[70] / فإنِ آمْتَرَى ذو ومِرْيَةٍ فلعلّه ... لم يَدْرِ كيف مَطَالِعُ الوِجدان

ولعلّه إذ كنتَ شمسَ معارفٍ ... غَرَبَتْ عليه أَشِعَّةُ اللَّمَعَان

وَالشمسُ تَبْهَرُ كلَّ مُقْلَةِ مُبْصِرٍ ... عن دَرْكِها بزيادة الإمعان

80 ولأَنْتَ أَرْفَعُ منزِلاً بمراتبٍ ... من دونها البحران يلتقيان

أَفيستطيع بلوغَ مدحِك مادحٌ ... ويُجِيدُ فيكَ مبانياً ومعان[3]

---

(1) في التعطير « جال الوجود » .

(2) هكذا في المخطوط وفي المجمع، وهي مخالفة لقواعد الإعلال . (3) ومعانِ عوض معانيَ بالنصب .

وأَجَـلُّ مَـدْحٍ أنـت فـوق أَجَـلِّهِ وأَجَـلُّ قصر في القصـور يعـاني[1]
لـكنّ مـا لا يُـسْتَـطَاعُ جـميعُـه فَيُجَـاءُ منـه بمُـمْكِنِ الإتيـان[2]
والعَفْـوُ عمّـا قـد جَنَيْتُ مُؤَمَّـلٌ حيثُ آجْتـرَأْتُ على عَلِّي مكـان
85 لا زال في حَـرَمٍ يُـلاذُ بِحِصْنِـه مـا دام في حَـرَمَيْهِمَـا الحَـرَمـان

* * *

92 ـ وقال طاب مثواه ، وأزلف في عليّين مأواه ، مُقرِّظا ديـوان الشيخ العـلاّمة محمّـد القرشي السّلاوي في مدح سلطان المغرب مولاي سليمان [بسيط][3] :

كَحِّـلْ بإثمـد هذا الـرّوض أجفانـا وآقْـطِف سرورَك من مغنـاه ألـوانـا
وآخْلَعْ عِـذارَك في تحصيل واجبـه فلستَ أوّلَ جـاني اللّهـو أفنـانـا
وآعْصِ العَذُولَ إذا وافاك منتصِحـاً فـإنّـه أَحْسَـدُ الحسّـادِ إنسـانـا
رَوْضٌ سَقَتْ غُـرَّ آدابٍ خـمـائلَهُ وقلّد الـطّلُّ جيـدَ الـزّهـر عقيـانـا
5 كـأنّمـا الـزّهـرُ حُـورٌ في أرائكهـا تكلَّلَتْ من جـواري الزّهـر تيجانـا
والرّيحُ من بينهـا مُضْنىً يعالـج مِنْ تقبيله لخـدود النَّـوْرِ أشجـانـا[4]
مـا هـو إلا جنـانٌ زُخْـرِفَتْ أدبـاً لِمْ لاَ وَغَـارِسُه فِكْـرُ آبْنِ رضوانـا؟
ذاك الأديبُ ومَنْ شـاعت فضـائلُه بحيث صارت على القُرْشِيّ عُنْوَانا
حَاوِي الكَمَالَيْنِ من حَسْبٍ ومن نَسَبٍ وَمُحْـرِزُ المجـد أسـراراً وإعـلانـا
10 إنْ يَنْتَسِبْ فهـو خير الأَكْـرَمِينَ أَبـاً أَوْ يَحْتَسِبْ فَأَتَمُّهُمْ حُسْناً وإحسـانا

---

(1) بيت ساقط من التعطير . والقصور هنا : التقصير .
(2) الرّبط بالفاء غير ضروري .
(3) مجمع ، 30 ب ومجموع ح.ح . عبد الوهّاب 18841 والتعطير ، 35/1 ، وفيها أن الديوان المُقرَّظ جمع فيه الشيخ محمد القرشي أمداح السلطان ، سواءً كانت له أو لغيره .
(4) في التعطير : « بفالج » .

[71] / أهـداه حبُّ أميرِ المؤمنين إلى أن جاء فيه بهذا الوضع برهانا
كأنّه قال مَنْ يهْوَى مَحَاسِنَهُ لم يَسْتَطِعْ دونَ شرح الحبِّ كِتمانا
فلا يزال عزيز القصر خَادِمَه ولن نَزَالَ لَهُمْ في المدح حسّانا[1]

* * *

93 ـ وقال قدّس سرّه، مجيباً باش مفتي توزر الشيخ إبراهيم بوعلاّق عن أبيات أرسلها إليه يشتكي فيها من فساد النّاس وقلّة آدابهم مع الشريعة [طويل] :

كتابٌ كريمٌ مشرقٌ لمعاني بِحُسْنِ معانيه وحُسْنِ بيان[2]
أتانا من الغرّاء بلدةِ تَوْزِرٍ بروضة آدابٍ وعِيْبَةِ عرفان
بإعرابه يُنسيكَ أعرابَ يَعْرُبٍ ويَسْحَبُ ذَيْلاً عن فصاحة سَحْبَان[3]
أتى فيه إبراهيمُ يطري سَمِيَّهُ بأوصافه العُلْيا وما هي من شاني
5 وكلّ إناء بالذي فيه رَاشِحُ كما رشَّح الأضوا لنا القَمَرَان[4]
على أنّه في ضيق صدرٍ ومثلُه لأجل فساد الوقت صاحبُ أحزان
على أنّ من تشكو إليه فَمَا لَهُ بتقويم مُعْوَجِّ الأمورِ يَدَانِ
ومَنْ لم يكن للبيض والصُّفْرِ باذلاً بوقتِكَ لا تُصْغي له الأُذُنَانِ
فَدَاوِمْ على لَوْنِ الصَّلاحِ تفُزْ ولا قُنُوطَ فإنّ الدّهرَ صاحبُ ألوان

* * *

94 ـ وقال رحمه الله ، يرثي الذّاكر محمود غربال في آخر رمضان [كامل][5] :

الموت ليس بِطَالِبٍ مُتَوانِ يا نائماً في هيئة اليَقْظان

---

(1) في التعطير : « القطر » . وحسّان هو حسّان بن ثابت .
(2) هذه الأبيات مفقودة من التعطير . وفي المجمع ، 43 ب : بسخر معانيه .
(3) هو سحبان وائل المشهور بخطابته .
(4) وكلّ إناء بالذي فيه يرشح : مثل معروف .
(5) القصيد غير وارد في التعطير . وفي المجمع ، 40 ب : أبو الثناء .

فـآذْكُـرْ مصيـرَك للثّرى مُتفَـرِّداً ذا مـنـظرٌ يَـعِظُ الـورى بـبـيـان
من بعـد خفضِ معيشـةٍ وتـأنّسٍ وعُـلُوّ شـأنٍ يَـا لَـهُ مـن شـان!
فـآرْحَمْ شبابَـك أو مَشيبَكَ بـالتُّقى فهي التي تبقـى على الـحِـدْثَـان
5 وآمْلُكْ سبيلَ الماجدِ الأَزْكَى الذي تـرك الثّنـا يُـتْلَى بكـلّ لسـان
فَخْـرُ الغـرابلةِ الأجلّةِ في الـورى محمـودُ هُـمْ ذو الفضل والإحسـان
[72] / ضَمَّ المعـالي للّذي يحـويـه مِنْ شَـرَفٍ فَحُقَّ لـه بـه الشَّـرَفـان
ثمّ استجـاب لـربّـه لمّـا دعـا داعيـه مُمْـتثِـلاً عـلى آطمئنـان
فَمَتَى تَـزُرْ فَهَبِ آلـدُّعَـاءَ مُؤرّخـا: أَنْـزِلْـهُ في خيـر المنـازل هـاني[1]

* * *

95 ـ وقال رحمه الله يرثي القارىء أحمد سيضة [كامل][2] :

كُـلُّ امـرىءٍ سـاعٍ إليـه مَنـونُـه لاقٍ جَـزَا مـا قَـدَّمَتْـهُ يمينُـه
فـآرْجِعْ الى مَـرْضَاةِ ربّـك قَبْلَ أَنْ يبكي آلْمُفَـرِّطُ أن تخيَب ظنـونُـه
فالحزم في التّقـوى فقط فَمَنِ آتَّقَى قَـرَّتْ بغـايـة مـا يـرومُ عُيـونُـه
وآعْمَلْ كأَحْمَدَ سِيضَةَ العملَ الذي يلقـاكَ سـاعـةَ وحشـةٍ ميمـونُـه
5 قـد كـان بَـرّاً مَلْجَـأً لِمُـؤَمِّـلٍ عفّـاً تُقَضُّ من العَفَـافِ جفـونُـه
حِلْف التّـلاوة للكتـاب ونِعْمَ مَنْ كـان التّـلاوةَ للكتـاب قـرينُـه
حَسَنـاً خـلائقُـهُ جَمِيـلاً خَلْقُـهُ يُـرْضيـكَ منـه حَـرَاكُـهُ وسُكُـونُـه
ثم استجـاب لـربّـه لمَّـا دعـا لِيَنَـالَـهُ مِـنْ خيـره مـخـزونُـه
ولِلَمْحِ بَرْقِ الجـود أبرق قُلْتُ في تـاريخـه: جـادت ثـراه مُزُونُه[3]

1222

* * *

(1) حساب الجمّل يفضي إلى تاريخ 1804/1218 ، وهو غير مثبت في المخطوط ، مثبت في المجمع .
(2) التعطير ، 74/1 ، مجمع ، 41 أ .
(3) حساب الجمّل : 1807/1222 ، كما في التعطير .

حـرف الصّـاد

96 ـ قال أسكنه الله فسيح الجنان ، يمدح الشيخ سيدي علي العريان [خفيف][1] :

مَن يَكُنْ في ضَنىً ورام خلاصَه ... فـإلى ذا المقام يحـدو قِـلاَصَـهْ

حضـرةٌ قـدحـوت سنىً وسنـاءً ... ومقـامٌ يعطيـك دون خصـاصَـة

فـاَقْتَرِحْ مـا تشاءُ مُخلِصَ عَـزْمٍ ... واَقتنِصْ مـا أردتَ منه اقتنـاصَه

ذا مقـامُ العـريـان أستـاذ نَصْـرٍ ... يــوم أعـطاه لقمــةً خــواصــه

5 فتلقّى الأســرارَ منهــا وأبــدى ... للشقيّ الشقـاء منهـا منـاصَـه[2]

[73] / والّذي جاءه ابنُ عـزّوزَ يحبو ... خاضعاً مُظْهراً لـديه انتقـاصَه[3]

واَدَّكِـرْ مــا حَيِيتَ يَــوْمَ مُــرادٍ ... يوم جرّ البلا عليه اغتصـاصَه[4]

يـومَ وادي الزّرقـاء إذْ رام ظلمـاً ... وطغى جنـدُه وأفنى رصاصَـه[5]

---

(1) مجمع ، 9 ب وفيه : دفين تـاستور . التعـطير ، 113/2 ، وأضـاف : بتستور . والقـافية الأولى فيهمـا : خلاصة . والقلاص ج قلوص وهي الناقة .

(2) في المجمـع : منها . . . منـه . وفي التعطيـر : منه عـوض منها في الشـطرين . والبيت يبقى غامضـاً . وكذلك البيت الرابع .

(3) ابن عزوز : هو الولي الصالح الشيخ علي عزّوز ، قدم من المغرب الى تونس في أواخر القرن السـابع عشـر واستقرّ ببلدة زغـوان حيث بنى له الأميـر محمد بـاي الحفصي بن حمّودة بـاشا المـرادي زاويته المشهورة التي دفن بها سنة 1710 .

(4) مراد : هو الأمير مراد باي بن علي باي بن حمودة باشا المرادي . تولّى الملك من سنة 1699 الى سنة 1702 واشتهر ببطشه وسفكه للدماء وفتكه بالعلماء .

(5) وادي الزرقاء : مكان يقع بين باجة ومجاز الباب ، تمكّن فيه قائد جند الترك إبراهيم الشـريف من قتل مراد باي المعروف باسم « مراد الثالث » أو « مراد بوبالة » ، وقطع رأسه ، وذلك يوم 10 جوان 1702 ، وبوفاته انقرضت الدولة المرادية (الحلل السندسية ، 673/2) .

فكأنّ الرّصاصَ في الشيخ ماءٌ أنزلتْه السّماءُ مُزْناً خلاصَة

10 قال : يا ظالماً بواديك هٰذا رأسُك المجتري أريك قصاصَه

فقضى نحبه بطعنة سرٍّ عجّلت هلكَه وقدّت دِلاصَه

وآسْأَلِ النّاسَ ما ليونس ولّى مظهراً بالفرار منه خلاصَه[1]

حين رام المبيت بالخود غصباً مُكْرِها أَهْلَهُنّ في ما أَنَاصَه[2]

فغدا في محلّهِ له حرب قد أثار ابتلاءَه وقِماصَه[3]

15 يا لها من مناقب لإمَامٍ صَفْوَةِ الأولياء طُرّاً خلاصَة

فَلَكَمْ قد أجارَ من مستجير في حِمَاه وعنه أَرْخَى فِرَاصَه[4]

ولَكَمْ قد أغاث في البحر مَنْ قَدْ صار في قعره غريقاً وغاصَه

فآبْقِ يَا رَبِّ فَضْلَهُ وآرْضَ عنه وأَدِمْ مجدَه وأكْرِم أصَاصَه[5]

* * *

(1) يونس : هو يونس باي ابن علي باشا ، شارك في الثورة التي أعلنها أبوه ضد الأمير حسين بن علي سنة 1728 .

(2) أناص أمرا : أراده .

(3) القماص : القلق .

(4) الفراص ج فِرصة : وهي الثوب من القطن أو الصوف . وفي التعطير : ألقى ، ولا يوافق معنى الحماية .

(5) الأصّ والجمع أصاص : الأصل الكريم . وكذلك القوّة ومتانة الخلقة .

حـرف العيـن

97 ـ (وقال متوسّلا الى رسول الله ﷺ) [طويل][1] :

وعَدْتَ الذي يدعو وها أنا سيّدي ... دعـوتُـك مضـطرّاً وأنتَ سميـعُ
وحقّقتُ يـأسي مِنْ سـواك لفقـره ... وجئتُـك محتـاجـاً فكيف أضيـعُ؟
ونـاديتُ والآمـال فيـكَ قـويّـةٌ ... وقَلْبِيَ من ضـرب الـذّنـوب وجيـعُ
وفي عَمَلِي سُقْـمٌ وعِلْمـيَ شهـوةٌ ... وفي الصّدر رَوْعٌ للحساب مَرُوعُ[2]
[74] 5 / أتُطْرِدُنِي عن باب فضلك سيّدي ... وروضـك للعـافي الفقيـرِ مَـريـعُ؟
وكيف يُـرى ظنّي لـديـك مخيّبـا ... وعندي على طردي إليـك رجوعُ؟
وهـل لِيَ من مـولى سـواك أرومُه؟ ... تَعَالَيْتَ، وَصْلِي من سـواك قـطيـع
وأيُّ نَـوالٍ غَيْـرَ فَضْلِكَ يُـرْتَجَى ... وأيّ حِـمىً إلّا حِـمَـاكَ منـيـع؟
لئن حَجَبَتْنِي عـن نَـوَالِـكَ زَلّـةٌ ... تَـلَظَّتْ لهـا مـنّي حـشىً وضـلوعُ
10 وأَخْلَدَني منهـا الى الأرض شهـوةٌ ... وَقَـهْقَـرَنـي وَجْـدٌ بـهـا ووُلُـوعُ
فمـا بِيَـدي حَـوْلٌ ولا لِيَ حيلةٌ ... سـوى أنّني نحـو الـدّعـاء سـريـع
بـإذنِـكَ تـوفيقي وفضلُك واسـعٌ ... إذا لم تُـوَفّقْنِي فـكيـف أطيـع ؟
أُسَـوِّفُ بـالإقـلاع قلباً مقلّبـاً، ... وعَـالَمُ حِلْمٍ منـك فيـك طمـوعُ
وقـد صَـدَّنِي عن ذاك قلبٌ مُغَفَّـلٌ ... لـه كُـلَّ يـوم فـي هـواه وُقـوعُ

---

(1) وردت هذه القصيدة في مجموعة الصّلوات التي ألّفها الشيخ إبراهيم الرياحي بعنوان: «النّرجسيّة العنبريّة في الصّلاة على خير البريّة». التعطير، 62-61/2 ومسامرات الظريف، 159-158/1 مجمع، 4 ب.
(2) في كتاب الأدب التونسيّ في العهد الحسينيّ ، 128 : وفي علمي شهوة .

15 عَسَى أَثَرُ العِصْيَان بالذّنب يمتحي ... وللّه في أهل الرّجاء صنيعُ
فكم سَعَةٍ وافت على حين شدّةٍ ... وقد يُرْتَجَى بعد الغروب طُلُوعُ

* * *

98 ـ وقال رضي الله عنه يمدح الوزير يوسف صاحب الطّابع صديقه [طويل][1] :

لِسَاعدِ هذا الدّهر أنت أَصَابِعُ ... وأنتَ لأمر المُلْكِ خَتْمٌ وطَابِعُ
وفي كلّ مُلْكٍ مَنْ يسوس شؤونَه ... ولكِن عن الماضي يجلّ المضارع
وفي الفَلَكِ السّامي كواكبُ جمّةٌ ... وأنّى يضاهي الشّمسَ في الأُفْقِ طالِعُ !
أيا نورَ عَيْنِ الدّهر فالدّهرُ مُبْصِرٌ ، ... وَمَسْمَعَ جِسْمِ الدّهر فالدّهر سامع
5 حَلَلْتَ سماواتِ العُلَى فطويتَها ... وإلاّ فممّا أنت في الجوّ ساطع
وما جئتَ إقْبالاً بعزٍّ وإنّما ... أتاك ليُلقى العزُّ إذْ أنت رافع[2]
وما جاء إنْفَاساً بِغَيْرِ مَحَلِّه ... ولكنّ فَرْعَ الشّيء للشّيء راجع[3]
وأيّ كمالٍ يبتغى فيه كاملٌ ... وأيّ جَداً يُبْغَى من النّاس نافع[4]
[75] / فتًى نشر الإحسانَ وابلُ جودِه ... فقام ونُطْقُ الجودِ بالشّكر صادع
10 فأَنْبَتَ في الآفاقِ حمداً مُخَلّداً ... ومجداً [عن الأصحاب يرويه تابع][5]
عَلامَ قَتَلْتَ البخلَ جوداً وأهلُه ... على سقمه الماضي الجفون دوامع ؟
كما نهكَتْ عليك عَلْيَاءَ حَاسِدٍ ... فأصبح ملسوعاً وقدرُك لاسعُ

---

(1) التعطير 82/1 . وكنّش الطواحني 18763 (15 بيتاً فقط) مجمع ، 23 ب .
(2) في التعطير : « وما جبت أقفالا » . والبيت يبقى غامضا .
(3) الإنفاس : الرغبة الشديدة في الشيء عن غير استحقاق .
(4) في التعطير : « ينتقي » . والجدا والجداءُ : العطاء والنفع .
(5) في التعطير : « أقمت لدى الآفاق » . والإكمال من التعطير .

[على أنّ ما فوق البسيطة ساجدٌ إليك وما فيها لغيرك راكع][1]

وما حَسَدَ الأعداءُ شيئاً يَرَوْنَهُ ورُبَّ عدوٍّ فيه للحقّ وَازِعُ

15 وقد بَرَزَتْ للمُلك منك عزائمٌ عَلِمْنَا بِأنَّ السّعدَ للنّحس قامع

وأَمَّكَ بالإقبال في الحُسْنِ مَنْ له إمَامَتُهُمْ في الدّين إذْ أنت جامع

[فللّه خاقانٌ يرى بفؤاده يُسَوِّفُ ما يأتي كما هو واقع[2]

رأى أنّ للإصلاح فيك شمائلاً فألْفاكَ لا يدنو إليك مضارع[3]

وغير غريبٍ أن يصيب بِرَأْيِهِ أميرٌ لِثَدْيِ الرأي والعلم راضعُ

20 وللفرع بالأصل ابتداءٌ وحيثما تكامل أصلُ المرء فالمرء تَابِعُ

وَدُمْ أنتَ في وجه السّعادة طالعاً ودُرُّك من نحر الخلافة لامع]

* * *

99 ـ وقال قدّس سرّه مقرّظا رسالة ألّفها شيخ الإسلام محمّد بيرم الثاني في الوصيّة والتزم فيها عدم الرّجوع ، وذلك عام 1810/1225 [طويل][4]:

كأنّك تهوى أنّ عذلك ينفع وهل كان عند الصبّ للعذل مسمع[5]؟

إذا كان من ذاتي رجوعي إلى الهوى فما نفع قولي : إنّني لست أرجع

وهل وقع الملزوم يوماً ولم يكن لِلاَزِمِهِ في ساحة الكون موقع ؟

---

(1) بيت ساقط في التعطير .

(2) الأبيات 17-21 ساقطة من التعطير . وسوّف هنا : لعلّها تعني : ينظر إلى بعيد ويعرف الأمور قبل وقوعها . وهو معنى غير وارد في المعاجم . ولا شوّف بالمعجمة ، والخاقان : الملك ، ويعني به هنا الأمير حمودة باشا .

(3) المضارع : المشابه .

(4) مجمع ، 32 ب ، التعطير ، 75/1 ، والشيخ محمد بيرم الثاني (ت 1831) ترجم له ابن أبي الضياف فقال : ألّف رسالة في رجوع الموصي عن وصيّته بعد أن اشترط عدم الرّجوع ، نحا فيها منحى المجتهدين من أهل التّرجيح وقلّد المذهب المالكي ، وقرّظها علماء العصر (الإتحاف، 158/7).

(5) في التعطير : « وهل كان للعشاق للقول مسمع » .

لـذاك تـراني كلّمـا شِمْتُ بـارقـاً ... تُسـابقـه من بـرق وَجْـدِيَ أَدْمُـعُ

فـأمّـا إذا تبـدو محـاسـنُ بَيْـرَمٍ ... فكيف ترى الحِرْبا إذا الشّمس تطلع ؟

سـمـاءُ عـلومٍ كـلّمـا لاح لامـعٌ ... تـقفّـاه منـهـا أَلْـمَـعٌ ثـم أَلْـمَـعُ

[76] / وَبَحْـرُ علومٍ يزدري الـدرَّ عِقْدُهَـا ... على أنّـه للنّقـل والعقـل مجمـع

وفي هٰـذه الحَسْنـا التي بـرزت لنـا ... بـألـوانِ حُسْنٍ للمنـازع مـقنـع[1]

بَـدَتْ للمُنَى رَوْضـاً وللعـين قُـرَّةً ... وفيهـا الـذي من ذا ومن ذاك أَنْفَـعُ

فجاءت تهَادَى لا سوى السّحر غنجُها ... ولا مـا سـوى مـاء الـوَسـامـة بُـرقُـعُ

تـرى بين معنـاهـا ورقّـةِ لفـظِهـا ... عِنـاقـاً على نَـوْلِ الـطبيعـةِ يُصْنَـعُ

إذا آختصمَ النّعمـانُ فيهـا ومـالـكٌ ... تقـول : لكـلّ منكمـا فيَّ مـنـزع

ومهمـا ادّعاهـا العقلُ ردّ آختصاصَه ... بهـا نصٌّ نقـلٍ بـالحقيقـة يَقْـطَعُ

وإنْ تَفْخَـرِ آلْفَتْـوَى بهـا فلَكَمْ بهـا ... لأهـل القضـا مِن تـاج عـزٍّ يُـرصَّـعُ

فسبحـان مختـار الإمـام محـمّـدٍ ... لهـا وهـو أدرى أيّهم هـو مـوضـع

وكيف وبيتُ الـدّيـن والعـلم بَيْتُـه ... وللمجـد والتّقـوى مَقِيـلٌ ومَـرْبَـعُ

عفـافٌ على وجـدٍ وعفـوٌ بقـدرةٍ ... وَجَـاهٌ ولكن لم يُـدَنِّسْـهُ مـطمـعُ

وخفضٌ على رفـعٍ وتليـنُ منـطقٍ ... على أنّـه لَلصّلْدُ في الحقّ يصـدع[2]

وفَضْـلُ ثباتٍ مـا الـرّواسي راوسخـاً ... لـدَيْـه إذا طـارت نُهًى وهي وُقَّـعُ

وقـدرٌ تـمنّـى النَّـجْمُ نَـيْـلَ مَـحَـلِّهِ ... فكيف ترى مَنْ في الثّرى فيه يطمع ؟[3]

الى مـا يفـوت آلْعَـدَّ مِنْ كـلّ حِلْيَـةٍ ... بهـا شَمْـلُ أشتـاتِ الكمـال مُجَمَّـعُ

فَدُمْ واحداً لا مَنْ يضاهيك في الورى ... وعـزُّك مـوصـولٌ وأَمْـرُكَ يُسْمَـعُ

---

(1) في التعطير : « للمنازل » .

(2) في التعطير : « للصدّ » .

(3) في التعطير : « تمنّى المجد » .

ولا تحتقِـرْ شِعْـرِي وإن كـان أهله فَـقَـدْرُكُمُ مـن أبلغ الـشّعـر أرْفَـعُ
ولـكـنّـني حـاولـتُ شـرحَ مـودّةٍ وشـافِـعُ شعـري في الـوِداد مشفّـعُ
25 وأزْكـىَ سـلامٍ مـن سَـلِيـمِ مـودّةٍ عليـك بِـرَيْحَـانِ الـرّضى يتضـوّعُ[1]

* * *

100 ـ وقـال رحمه الله في تـأريخ الأميـر حمّـودة بـاشـا ، وقـد مـات يـوم الجمعـة [كامل][2]:

[77] / لـمّـا ارتـقـى أرّخـتُـه : إنّـي شـهـيـدُ الـجُـمُـعَـة

1229

* * *

(1) أورد صاحب التعطير جواب بيرم الثاني ، وهو ثمانية أبيات من الوزن والرويّ .
(2) الإتحـاف ، 11/3 ، وقد أرّخ وفـاته (ص 88) « بليلة الجمعـة عيـد الفـطر من سنـة 16/1229 سبتمبـر 1813 » . والبيت يوهم أنّه أرّخ لارتقائه العرش ، وإنّما المقصود ارتقاؤه الى الرّفيق الأعلى .

حـرف الفــاء

101 ـ قال قدّس سرّه ، وطاب مستقرّه ، يمدح سلطان المغـرب مولاي سليمـان ، حين قام عليه بعض أبناء عمّه وأخذ منهم الثأر [كامل][1] :

بُشْرَى الورى بِـالأَمْنِ بعد مَخَـافِ ... وقفـوا بـه في مـوقف الأعـراف[2]

قـرّت به عين الهُـدَى أمّـا الهـوى ... فَلِحُـزْنِه حـزنت بنـو الإرجـاف[3]

أغفت جُفـون الـرّشــد ثم تنبّهت ... بلطائِفٍ قــد كُنّ تحـت سجــاف

مـا صحّ لـولا ذاك في حقّ آمرئٍ ... رؤيــا سـليمــانٍ بـعيـن خــلاف

5 وهُــوَ الــذي عمّ البــريَّــةَ فضلُه ... فـأحاط بـالـدّنيـا إحـاطـةَ قـاف[4]

والــدّين في عِـزٍّ بــه والنّـاس من ... بــركــاتــه فـي جنّـةٍ أَلْــفَــافِ

قُـلْ للمغارب هـل جهلتِ كمالَـه ... وكمـالُه في الكـون ليس بِخَافِ[5]

أَضْحَكْتِ سِنَّ الشّرق إِذْ أَبْكَيْتِ في ... مـا قد أتيتِ مـدامـعَ الإنصـاف[6]

رُمتِ القيـاسَ بغيرِ معنى جـامـعٍ ... وغـرستِ لاستثمار غُصْنِ خـلاف

10 فـأتيتِ بِـالخطإِ الـذي لا يُـرْتَضَى ... حتّى لأحمقَ في المــدارك جـاف

---

(1) التعطير 26/1 ، مسامرات الظريف ، 167/1 ، مجمع ، 12 ب . والقائم على السلطان مولاي سعيـد ابن أخيه .

(2) في التعطير : « موقف الإرجاف » .

(3) البيت مثبت في المسامرات وساقط من التعطير .

(4) لم نفهم : « إحاطة قافٍ » . وإذا كان القافي هو المتتبّع للأثر يقفوه ، فلعلّ المعنى : فضله يبحث عن العفاة ويلاحقهم .

(5) في التعطير : « في الناس » الخطـاب للمغارب دون أن يذكر الثائر صراحة .

(6) في التعطير والمسامرات : « مسامع » .

إنّ الكـواكبَ في السّمـاء كثيـرةٌ ... لكنْ ذُكـاءُ فـريـدةُ الأوصـاف[1]

وكـذلـك الأشـراف كـلٌّ جـوهـرٌ ... وأبـو الرّبيـع فريـدة الأصـداف[2]

أَنَـقِمْـتُمُ منـه التُّـقى فسئـمتـمُ ... نِعَماً سَوابِـغَ سُتْرُهُنّ ضـواف ؟[3]

أَمْ عـلمَـه أم حلمَـه أَمْ عـدلَـه ... أَمْ وَكْفَ كَفِّ يَمِينِهِ المِتْلاَفِ ؟ [4]

15 أم رُمْـتُمُ بـطراً وكـم من قـريـة ... بَـطِرَتْ فَجُـرَّ بها الى الإتـلاف[5]

فنقضتمُ العهـدَ الـذي قـد أَوْثَقَتْ ... كفُّ الشّـريعـة في يـد الأسـلاف

[78] / ونسِيتمُ يـومَ الـولايـة وهـو في ... كَـرْهٍ لهـا والقـوم فـي إلحـافِ

لم يَـرْضَهَـا لـولا صـلاحٌ رامَـه ... وتَـضَـرُّعُ الـعـلمـاءِ والأشـرافِ

حتّى إذا استولى كما شـاء الهُدى ... وبَـشِـمْـتُـمُ بِـآلْـبِـرِّ والألـطاف

20 قلتم : نخـالفـه ، وأيّ فـضيـلة ... في منهلٍ عذبِ المواردِ صاف؟[6]

لم يُـرْضِني والعـالَمين بـأسْـرهم ... إذْ أَتَـيْـتُـمْ لـلرّشـاد مُـنَـافِ[7]

تستـوجبون بـذاك ، لولا حِلْمُـهُ ، ... مـا آسْتَوْجَبَتْـهُ آلْقَوْمُ بـالأحقاف[8]

لكن عفـا والعفـوُ منـه سَجِيَّـةٌ ... وأتى بِصَـفْـحٍ وافـرٍ وعفـافِ[9]

لم يلتفت لـنفـاذ قـدرتـه الـتي ... بـالنّون مـدّ مـديـدهـا والكاف[10]

---

(1) ذكاء : هي الشّمس .

(2) أبو الربيع هو سليمان العلوي الممدوح . وفي التعطير : « فريدة الأوصاف » .

(3) في المخطوط : أنعمتم أو : أنقمتم ، وهي القراءة التي اعتمدناها . وفي التعطير والمسامرات والمجمع : « هل عمّكم » ، وهي قراءة صالحة أيضاً . والنعم السّوابغ : الضافية (ضوافي) .

(4) الوَكف : السّيَلان .

(5) بطِر بالنعمة : طغى بها وتكبّر وأخذته الخيلاء .

(6) سقط هذا البيت من التعطير .

(7) في المسامرات والتعطير : « لم يرضنا » . والإدّ : الأمر الفظيع .

(8) إشارة الى عذاب قوم عاد بالرّيح الصّرصر (الأحقاف 21-26) .

(9) في هامش المخطوط : بعض صفاته (والعفو . . .) .

(10) في هامش المخطوط : بحارها (مُدَّ بحارها) .

25 لــو شـاء قَهْــرَ عَــدُوِّهِ لم يفتقــر ... لـقعــاقــع الأرمــاح والأسـيــاف

وأُمِــدَّ من جنــد السّمــاء وراثــةً ... من جــدّه المـختــارِ بــالآلاف[1]

لـكنّ طَــوْدَ ثَبَــاتِــه لم يـهتــزز ... بعــواصفٍ مـن غيّـهم أصنــاف

ورعى حقــوقَ اللّهِ والأرحـامِ في ... قَـوْمٍ زعانفَ للضّـلالِ خِفـاف[2]

كرهوا الهـدى والحقَّ لمّا جـاءهم ... جَنَفـاً الى الإهمـال والإسـراف[3]

30 ولـوِ أنَّمَـا آتَّبَـعَ آلْهُـدَى أهـواءهم ... جـاؤوا بِسُمٍّ لــلأنــام زُعــافِ

يـا خـاتَمَ الخلفـاءِ لا تَحْفِـلْ بهم ... وآصْـدَعْ بأمـر اللّه صدعَ مُصَـافِ

وآصْبِـرْ كمـا صَبَـرَ الهُـدَاةُ فـإنّهـا ... مِحَــنٌ يَلِدْن مَنَــائِــحَ الإتحــاف

فـاللّه حسبُك والـذين استيـقــنوا ... فتصـامَمُـوا عن نـاعقِ استخفـاف

وآحْلُمْ على المـولى السّعيدِ فـإنه ... بَــرُّ البُنُـوَّةِ صــادق الإسعــاف[4]

35 أنت اليـزيـدُ وإن يقـولـوا : عمُّـه ... والابنُ قـد يَهْفُـو وليس بجـاف[5]

مثـل اليـزيـدِ هفـا فجـاء بصـارفٍ ... في فيه للسّلطان ، ذا استعطافِ[6]

فَـأَنَـالَـهُ بـالحلم واسـعَ عـطفــه ... عـطفَ الأُبَـوَّةِ سـابـغَ الأعــطاف

[79]/ لا تَيْأسِ آلْقُرْبَى حَنَانَكَ بعـدما ... فـاضت سحـائبُهـا على الأطـراف

---

(1) إشارة الى المدد من الملائكة في وقعة بدر .

(2) الزّعنفة بالفتح أو الكسر : النّذل ، والجماعة من أخلاط النّاس .

(3) الجَنَفَ : العدول عن الطريق السّويّ .

(4) السّعيد هو ابن أخي السلطان المارق عليه .

(5) اليزيد : هو والد السعيد الثائر (انظر الاستقصاء للناصري السلاوي ، 152/8) . ويهفو : يخف ويعتريه الطيش .

(6) ثار اليزيد بن محمّد غيرَ مرّة على أبيه محمد بن عبد الله ، وحين يغلبه جيش أبيه يحتمي بأضرحة الأولياء الصّالحين (الاستقصاء ، 8/72) . وتوالي الفاءات ركيك ولعلّه يعني بصارف : ما يصرف السلطان عن الانتقام وفي المسامرات والتعطير : بصارم ، وليست بأكثر وضوحاً .

إنّ السّعيدَ مُبَرَّأٌ لكنّها أطماعُ قَوْمٍ مُسْنِتِينَ عجافِ[1]

ما هَمُّهم نَصْرٌ له ، لكنّهم نَصَروا سَخَائِمَ في النّفوس خوافِ[2]

مَنَّتْهُمُ الأحلامُ أنْ سَيَنَالُهُمْ عِزٌّ لأنَّهُمُ ذوو سفساف

فآستيْقظوا من نومهم في خَيبةٍ ونَدامةٍ ممتدّةِ الآساف

ولهم إذا آنكشف الغطا يومَ اللّقا خِزْيٌ بأنواعِ المكاره واف[3]

ولك الثّناءُ مخلّداً في هذه والفتح والنّصر العزيز مُوَافِ

أمّا بتلك فلا تُرَعْ ، بل دُمْ لَنَا فلك الهنا بنهاية الأزلافِ

يا من إذا تُلِيَتْ محاسنُ مَدْحِهِ طَرِب النّهى من كأسها بسُلاف

ومتى يَسُمْ مُثْنٍ عليك بلوغَه في الأرض قال له المديح : أُنَا فِي[4]

دامت حياتُك للقلوب مسرّةً واللّه ـ جلّ ـ بنصره لك كاف

خُذْها جِناناً في جَنانِ أجلّةٍ ولها لهيبٌ في قلوبِ سخافِ[5]

قَصُرَتْ نِبالي أن تُناضِلَ دُونَكُمْ فَبَرَيْتُ من نَبْع الجدال قَوافِ[6]

ترمي العُدَاةَ بكلّ معنىً مُصْعِقٍ وبكلّ لفظ مُبْرِقٍ خَطَّافِ[7]

شكراً لِأَنْعُمِكَ التي أَسْبَغْتَهَا ولوَ آنّهُ لِعُلَاك غَيْرُ مُكَافِي[8]

أُهْدِي اليك تحيَّةً عِطْرِيَّةً تغشى منازلَ آلِ عبدِ مَنَافِ[9]

---

(1) أسنت القوم : أصابهم الجدب والقحط . والبيت ساقط من التعطير والمسامرات .

(2) السخيمة : الضغينة . وخواف عوض : خوَافيَ بالنصب .

(3) الأبيات 41-43 ساقطة من المسامرات والتعطير وهي ملحقة بالهامش في المجمع، 13 ب.

(4) بيت ساقط من التعطير . وأنا في : لعلها : أبتعد وأخالف المطلوب .

(5) في المخطوط وفي التعطير والمسامرات : « في عيون أجلّة » . وأخذنا بإصلاح في الهامش : (جنان في) جَنان . والمقابلة بين الأجلّاء والسخفاء وتباين موقع القصيدة منهم ، واضحة .

(6) قوافيَ هي الأسلم في النّحو .

(7) في التعطير : « بكلّ معنى مطرف » .

(8) أي : مكافيء .

(9) السلاطين شرفاء من سلالة الرّسول ﷺ .

بعد اختصاص المصطفى بصفّيها وَتَعُمُّ نَشْراً كلَّ من هو قافِ[1]

* * *

102 ـ وقال ، أجزل الله صلته ، ورفع في الجنّة منزلته ، يمدح سلطان المشرق محمود خان ، حين وفد عليه باسلامبول عن إسقاط الخراج عام 1838/1254 [طويل] :

ركبتُ متونَ اللّجّ وهي لها رَجْفُ وأرواحُها بالسّابحات لها عَصْفُ[2]

ولي منه أهوالٌ يودّ رهينُها وقد خَشِيَ الإغْلاقَ لو جاءه الحَتْفُ[3]

[80] / ولكنّني ما زلت أمزج مُرَّها بِحُلْوِ رَجَاءٍ طاب منه ليَ الرَّشْفُ

عسى مُقلتي تَحْظَى بأنوار غُرَّةٍ على غرّة الرّائي سَناها له عطف

5 خليفةُ ربّ العالمين وَظِلُّهُ إذا آشتدّ بَأْسُ الدّهرِ فهو له كهف

فإنّي صَرَفْتُ الوجهَ نَحْوَ فِنَائِهِ وأَنْزَلْتُ رَحْلِي حيث يمتنع الصَّرفُ

الى حضرة السّلطانِ محمودِ آلذي ملوكُ الورى رِقٌّ لدولته صِرف

أيا عزّةَ الإسلام إن خاف ذلّةً ويا مَفْزَعَ الأملاك إن مَسَّهم وَجْفُ

لك الأرضُ مُلْكٌ والسّماءُ مُؤَازِرٌ وعونُ إلهِ العرش رُمْحُكُ والسَّيْفُ

10 فما ثَمَّ فوق الأرض مَنْ لم يكن له رجاء أياديك الجليلةِ وآلْخَوْفُ

يُرَجّيكَ مسكينٌ ويخشاك قاهرٌ فَلِلأَوَّلِ آلْجَدْوَى وللآخَرِ آلْقَصْفُ[4]

لَكَ آلْحَمْدُ في كلّ البسيطة عابقٌ له مَشْرِقُ الدّنيا ومَغْرِبُها أَنْفُ

بذكرك تهتزّ المنابرُ بَهْجَةً وبآسمك أفواهُ الدّعاء لها هَتْف

---

(1) أي : مَنْ يأتي بعد الرّسول من الآل والصحابة .

(2) مجمع ، 16 ب ، مسامرات الظريف ، 200/1 والإتحاف ، 24/4 ، وفي المخطوط « إسقاط الإخراج » . وأرواحها : رياحُها .

(3) إغلاق الرّهان : افتياته على الرّاهن إذا عجز عن فكّه .

(4) في المخطوط : يرجاك ، ولا توافق الوزن .

إذا ما دَعَوْا بالنّصر مُدَّتْ ضراعةً ... أكُفٌّ ونحو العرش مُدَّ لها طَرْفُ

خُصوصاً لدى البيت العتيق ، وروضةٍ ... لِكونِ سَحَابِ الجُودِ منك لَهَا وَكْفُ

فأَخْصَبَ بعد الجَهْدِ والجَدِب عيشُهم ... ومِن بحرك الطّامي تَأَتّى لهم غرف[1]

وكَمْ لك يا مولاي من حُسْنِ خلّةٍ ... تُوَحَّدُ إن عُدَّتْ وفي ضمنها ألف

تُذَكِّرُ أسلافاً كِراماً تَقَدَّموا ... سلاطينَ جاءتنا بأنبائها الصُّحْفُ

بدولتهم جاء الكتاب مُنَبِّهاً ... وفي الأنبيا عند الختام أتى الوصف

وإن فاتح الأرض سليمان جنده ... لهم دون أجناد الورى إرْثُها وَقْفُ[2]

تمتّعَ أهل الدّين في روض عهدهم ... كما آنتفضت للكفر أَفْئِدَةٌ غُلْفُ[3]

وفاتح إسلامبولَ جاء مديحُه ... عن المصطفى رَفْعاً وليس به وقف

مَضوْا ومزيد اللّطف لم يمض حيثما ... سليلُهُمُ المحمودُ آثارَهم يقفو

[81] / نعم يا إمامَ المسلمين وكهفَهم ... إذا مَسَّهُمْ ضُرٌّ فمنك له كَشْفُ[4]

أَتَيْتُكَ ضَيْفاً مستغيثاً وشأنُكم ... إغاثةُ لهفانٍ وأن يُكْرَمَ الضَّيْفُ[5]

توالى علينا الضّعفُ من كلّ جانب ... وما زال ذاك الضّعفُ يتبعه ضُعْفُ

فجئناك نبغي آلعفوَ واللّطفَ والرّضى ... وهل مِنْ سواك العفوُ يُطْلَبُ واللّطفُ؟

فعيشةُ مَنْ ترضى عليه هنيئةٌ ... وكيف لِعَيْشٍ دون عَفْوِكَ أن يصفو؟

رِضاكَ رضى المولى لأنّك ظِلُّهُ ... وللظلّ من أوصاف صاحبِه وَصْفُ

أدام لنا آلْمَوْلَى إضاءَةَ شَمْسِهِ ... وليس لها يوماً غروبٌ ولا كَسْفُ

بِجَاهِ نبيِّ اللّهِ سيّدنا الذي ... له خُلُقٌ يقضي عليه بأن يعفو

---

(1) في المخطوط وفي المجمع : بعد الجهد والجدّ . والإصلاح من مسامرات الظريف ، هامش 300.

(2) صدر هذا البيت مختلّ الوزن . وفي المجمع ، 17 أ : وان سليمان فاتح . . . والوزن يبقى مختلاّ .

(3) بيت ساقط من المسامرات .

(4) في المسامرات : « يا أمير المسلمين » . وفي الإتحاف : « يا أمير المؤمنين » .

(5) في المسامرات : « وإن كرم » .

عليه صلاةُ اللّه ماذرّ شارقٌ وما خُطَّ بالأقلام في طِرْسِها حَرْفُ
ولآلِ والأصحابِ طيبُ تحيَّةٍ يفوح على الأتباع من نشرها عَرْفُ

* * *

103 ـ وقال رحمه الله ، مجيزا شيخ الإسلام أحمد عارف في سفره في العام المذكور [كامل][1] :

حَمْدا لمكرمنا بأيّ عوارف شَمَخْتَ عن الإحصا بأنفٍ آنفِ
وصلاتُهُ وسلامُهُ أبداً على مُجْلِي الرّجا بصوارم وعوارفِ[2]
ولكلّ من والاه أَغْدَقُ رَحْمَةٍ ينهلّ دائمُها آنْهِلالَ الواكفِ
هذا ولمّا ساقني القَدَرُ الذي ما في وقوع صروفه من صارف
5 نَحْوَ القُسَنْطينيَّةِ البَلَدِ الذي لا يُسْتَطاعُ جمالُه للواصف
نَفَحَتْ لروحي نفحةً مِسْكِيَّةً كانت مُسَكِّنَةً لقلبي الواجفِ
وأنار لي منها ضياءُ خاطفٌ خِلْتُ البيوتَ سماءَ ذاك الخاطفِ
فسألتُ ما هذا النّسيمُ وذا الضِّيَا ؟ قالوا : ألم تسمع بأحمدَ عارِفِ ؟
ذاك الذي أخلاقُه كالرّاح في لُطْفٍ يَلَذُّ مَذَاقُه للرّاشفِ
10 أو أنّها هاروتُ في سحر النّهى إن لم نقل : سرٌّ سرى من آصف[3]
[82] / وإذا رأيتَ جبينَه مُتَهلِّلاً فعلى بدور التِّمِّ لستَ بآسِفِ
وإذا سمعتَ علومَه فاسْمَعْ إلى تلك البحورِ طَمَتْ فهل من غارف ؟
قَسَماً بما يحويه من حَسَبٍ ومِنْ نَسَبٍ وفضلٍ لاحقٍ أو سالِفِ

---

(1) مسامرات الظريف ، 202/1 والإتحاف ، 25/4 ومجموع ح.ح. عبد الوهّاب 18841 ومجمع ، 17 ب .
(2) في المخطوط : « ومعارف » .
(3) آصف أو آصاف بن برخيا : وزير سليمان بن داود الذي حذّره من عبادة الأوثان . الطّبري ، 497/1 . وانظر دائرة المعارف الإسلامية ، 707/1 .

لَـوْ أَبْصَـرَ النّعمـانُ بهجـةَ حُسْنِـهِ لاهتـزّ عِطْفـاً كآهتـزازِ العاصف[1]

15 هــذا ومن عَجَـبٍ رأيتُ سُـؤَالَـه منّي إجــازتَــه كَـشَيْـخٍ عــارِفِ

كــلّا وإنّي والــذي رفــع العُــلاَ أَحْـرَى بأن أَرْوِي عليـه صحائِفِي

لـكنّـني لا أستــطيــع خــلافَــه وعليـه فيما شـاء لَسْتُ بخـالِفِ[2]

فأقول : إنّي قـد أَجَزْتُ لـه الذي قـد صحّ لي من تـالـدٍ أو طـارفِ

مــوصىً لإبـراهيمَ منــه بـدعــوةٍ يرجو الرّياحي بها أمان الخائف[3]

* * *

104 ـ وقـال[4] رحمه الله مخـاطباً بعض الـوزراء ، مستعطفـاً له على بعض الضّعفـاء [طويل] :

جميـلُ ظنوني نَحْـوَ عفـوك سـاقني وإن كـان لي قلبٌ بِخَوْفِـكَ واجفُ

وذنبي وإن حـقّت عـليّ جحيمُـه فَـعَـفْـوُكَ ظِـلٌّ لِـلْمُؤَمِّـل وارفُ

وفي المصطفى الهادي لمثلك أُسْوَةٌ وكم مُجْـرِمٍ وَافَتْـهُ منــه عـواطفُ

وهــل ذاك إلاّ أنّ ذُخْـراً تُـعِـدّه وذكــرا تـولّى نَشْــرَهُ لـك عــارفُ

5 ومـا بعد نَشْـرِ الذّكـر للمـرء مَفْخَـرٌ ولا بســوى مـدحٍ تشفّــع خـائفُ

وحاشا لفضلٍ منْكَ أنِ يُنشِدَ الورى وقــد عَلِمُــوا أنّي بِبَــابِــكَ واقفُ

ومِنْ قَبْـلُ نـادى كـلُّ مـولى قـرابـةً فمـا عطفت مـولىً عليـه العـواطفُ

* * *

---

(1) في الإتحاف : العاطف ، ولعلّها تعني : المتثنّي الذي يميس . والعـاصف في المخطوط وفي المجمـع والمسامرات لا وجهَ لها .

(2) في الإتحاف : « لست بحائف » ، من الحيف وهو الظّلم والجَوْر .

(3) الـعجز مختلّ الوزن، وفي المجمع، 18 أ : الرياح (وبها يتّزن البيت) أمـاني الحالف. هـذا وقد جـاء في الدّيوان بعد هذه القصيدة رسالة نثريّة موجّهة إلى أحمد عارف مع أحمـد بن أبي الضياف حين سـافر إلى اسلامبول سنة 1842/1258، وهي من تأليف الـشيخ إبراهيم الرّياحي. ولكنّ صاحب الإتحاف، لم ينقلهـا حين لخّص لنا وقـائع وفـادته (الإتحـاف 59/4). ورأينا إسقـاط هذه الـرّسالـة من الدّيـوان، لأنّنا اهتممنا بالشعر لا غير.

(4) مجمع ، 26 أ .

105 ـ وقال قدّس سرّه يمدح الأكتب الشيخ محمد قلّالة والتزم فيها التشريع [كامل][1] :

زَمَنُ السّرور بما يسرّ كُ مُسْعِفُ رحبُ المهاد ومسعدٌ لك متحفُ
فَاجْنِ المنى من روضها فلطالما حنّ الفؤاد الى بروق تُخلِف
وآخْلَعْ براقعك التي مَنَعَتْكَ من نَيْل المُرَادِ فإنّ دهرك منصف
وَأَنِسْ بعسّال القَوَا مِ مهفهفٍ طلقِ القياد وَدَعْ عدوَّك يرجف

[84] 5 / وآقْطِفْ ثمار اللّهو قطفَ مُراغم أَنْف الأعادِ ولا يَصُدَّك مُسْرِفُ
وأَدِرْ بذكر محمّدِ بْنِ قلالةٍ كأسَ الوداد فإنّما هي قَرْقَفُ
وآصْدَعْ بحبّك فيه لا تخش آمْرَءاً يبغي البعاد فليس يخشى المدنف[2]
عِلْمٌ أبان بعلمه لمن اهتدى سُبُلَ الرّشاد فأين مَن لا يعرف؟
وأضاء تونس من سنا ه فأصبَحَتْ شمسُ البلاد ضياؤها لا يُكْسَفُ

10 وتزيّنَتْ من حسنه فكأنّها ذات العماد ولاح فيها يوسف[3]
وغَدَتْ به مَنْحَى الورى وملاذَ مَنْ يبغي الإياد له فؤاد يرجف[4]
يا مَنْ به جاد الزّما ن ولم يكن يدعَى الجواد ولا بفضل يُعْرَفُ[5]
ومن اغتدى من حُسْنِه كلُّ الورى إلفَ السّهاد له دموعٌ ذُرَّفُ

---

(1) عنوان الأريب 94/2 . وقال : « هي من الكامل ، وتقرأ من مجزوء العروض » أي من مجزوء الكامل . وفي المخطوط : التزم فيها التشريع . وهو إدخال قافية ثانوية في القصيد ، وهي هنا الدّال . وظفرنا بهذا المصطلح في قاموس كازميرسكي ، فلا اللّسان ذكره ولا التّاج . وفي المجمع ، 33 ب : يمدح أبا عبدالله محمد قلالة مستجيراً به عندما أوقعوا بالوزير يوسف صاحب الطابع وبكلّ مَن انتسبَ إليه .
هذا والشيخ محمّد قلّالة كاتب وأديب نشأ بالقيروان . فاستقدمه حمّودة باشا إلى تونس كاتباً للإنشاء وتوفي سنة 1822 ، انظر الإتحاف ، 127/7 .

(2) في المخطوط : « يبغي القياد » .

(3) إرم ذات العماد .

(4) الإياد : ما يُتقوّى به ، وكذلك ما يَستُر .

(5) في المخطوط : يدعو والضمير عائد على الزمان البخيل .

لـك في المكـارم سُنّـةٌ وشـريعـةٌ بين العبـاد ومـذهـبٌ مُتَـحَنِّـفُ
وعليـك من حُلَلَ المهـا بـة مَـا بِـهِ خضع المُعَادِ وعـاد إلْفـاً يُنْصِفُ[1]
ومـن الجمـال مـلابسٌ يصبـو لـهـا صَلْدُ الجماد كـأنّـه بـك مُـدْنَـفُ[2]
ومـن العلوم منـاهـل تـروي بهـا مَنْ هـو صادٍ بـالجهـالـة مشـرف
ومـن البـلاغـة مـا بـه سحبـان في فـرش القتـاد مـن الفـهـاهـة يلهف
ومـن القـريض سـوابـق جـلّت على كـلّ الجيـاد ودون شـأوك مـوقـف
ومن الكتـابـة مـا بـه تسمـو عـلى رتب العمـاد وأنـت أنـت الأشـرف[3]
ولـك اليـراعـة صـارمـا تـوقيعـه نـفـعٌ يُـرَاد وديـمـة تـترشّـف
وبـك الـوزارة أشـرقت لـو جئتَهـا بـادي السّداد وحـدّ سيفـك مـرهـف
وبـك العلومُ وأهْلُهَـا فَـرَحـاً نَفَتْ لبس الحِداد وأصبحت تـترشّف[4]
ولـذاك أضحى بِـآسْمِـهِ وبـحُسْنِـهِ شعـري يُنَاد ومقلتـي تَتَشَـوَّفُ[5]
[85] / وَغَدَتْ ظنوني مِن سوا ه سـليـمـةً فهـو السّناد وهـل إذْن أتـخـوَّفُ ؟
لا زال في فلك العُلَى مُتَـرَقِّـيـاً حتى المعـاد وبـالمـدائـح يُتْحَفُ

* * *

(1) المعاد عوض المعادي ، وكذا مرّ الأعادي في البيت الخامس .
(2) في المخطوط : « به مدنف » .
(3) العماد الأصفهاني صاحب الخريدة .
(4) في عنوان الأريب : « تتشرّف » .
(5) يناد عوض : ينادي .

حـرف القــاف

106 ـ قال قدّس سرّه مقرّظا قصيدة الشيخ محمد التّهامي الحسني [المغربي] التي مدح بها الرّوضة النبوية ، على ساكنها أفضل الصّلاة وأزكى التحيّة ، [لمّا وفد لتونس قاصداً الحجّ وتوفّي بالحجاز في عامه] ، عام 1827/1243 :[1]

الحمد لله مزهر رياض الآداب ، ومفيض بدائعها على أولي الألباب ، والصّلاة والسّلام ، الفائح منهما مسك الختام ، على من تفتخر المدائح بشمائله ، وتحتضر المنح الى نائله ، سيّدنا محمد صورة الكمال المطلق ، وينبوع بحر الرحمة المتدفّق ، وعلى الآل والأصحاب ، ومن تبعهم بإحسان على تعاقب الأحقاب .

وبعدُ فقد أطْلَعَنا الشّيخ العلاّمة ، الدرّاكة الفهّامة ، أبو عبد الله سيّدي محمّد التّهامي ، ذو العلم الهامي ، والعمل السّامي ، على قصيدته القافيّة ، التي امتدح بها خيرَ البريّة ، فألفيتُها عَيْبة القرائن اللّغوية ، وروضة العجائب الأدبيّة ، شمّرت في قود كلّ صعب ، عن الكعب ، وجرّت الذّيل على جرير الى ساحة كعب[2] . فلمّا سرّني مُحيّاها ، وسرت فيّ سُرى حُميّاها[3] ، اقتضت منّي بليغ المديح ، ولم تدرِ أنّ سهمي فيه الوغد والمنيح[4] . فقلتُ ، وبها الى النّبي ﷺ توسّلت [رجز] :

أُعِيـدُهـا هيفـا بـربّ الفَـلَقِ مـاذا حَـوَتْ من بهـجـةٍ ورَوْنَقِ

---

(1) التعطير ، 107/1 ، وهذه الأرجوزة ساقطة من المجمع .

(2) كعب بن زهير . وفي التعطير : وحاكت فصاحة كعب .

(3) في المخطوط : « حماياها » ، وفي التعطير : « محيّاها » أيضاً .

(4) الوغد والمنيح : من سهام الميسر ، هما اللّذان لا نصيب لهما .

قـد آنـقَـتْ كـلَّ حـبـيـب رَمِـقِ وفَـلَّقَـتْ قـلبَ حـسـودٍ حَـنِـقِ[1]

إذ وسـقت مـا يُـنْتَقى فـي نسـق من رائق الـمعـنى ومـبنـى رَيِّقِ[2]

كم قنـصت مـن شـارِدٍ في وَلَـقِ وقيّـدت من عـابـدٍ فـي طَلَقِ[3]

5 وفـتّـقـت مـن مُـلْتَـوٍ مـرتبـق وفتّحت من كـلّ كـنـزٍ مُغْـلَقِ[4]

[86] / لـلرّوضـة الغـنّـاء في تـألّـق بنـورهـا مبـتسـمـا عن عَـبَقِ[5]

وسـلسبيلُهـا الـمَعـيـن الـغـدقِ يجـرى على حصبـاء درّ لـقق[6]

نسيمهـا الصّبا آنْبَـرت من مشـرق للصبِّ قـد هبّت بِبُـرْء الحـرق[7]

وطيـرهـا بسـجعـه الـمفـتـرق يجلو عن القلب الأسى كالغَسَقِ[8]

10 تحكي لهـا بعض جمـال مبـرق إذ مـا لهـا فـي ذاك مـن تَـعَـلُّقِ

ولا رداع هـي قـيـد الـحـدق قـد أقبلت بكـلّ حُسْنٍ مُشْـرِقِ[9]

يقـول رائيـهـا بفـرط الـحـرق كـأنّـهـا مـا خُـلِقَـتْ مـن عَـلَقِ

سـبحـان مـن خلقـهـا من عـلق ولا مـثـانٍ أطـربـت ذا قـلق[10]

---

(1) في التعطير :

قـد قـلعـت قـلـب حـسـود حـقـق إذ وسـقـت مـا يـنـتـقـى فـي نـسـق

وآنقتِ : أعجبت أو أفْرَحَت وسرّت . والرّمِق من الناس : الفقير الحزين .

(2) وسقت : نظّمت ورتّبت . وفي التعطير : وفنّ ريّق .

(3) الوَلق : الإسراع وكذلك الطعنُ الخفيف . والطّلَق : الحبل الشديد الفتلِ .

(4) المرتبق من الحبال : كثير العُرَى ، كلّ عروة فيها رَبقة .

(5) في التعطير : « لا الروضة »وفيهما : عن غبق ، بالمعجمة . والعبق بالمهملة : الرائحة الطيّبة .

(6) اللّق : الصدع والشقّ . وأيضاً المسك . ولا يوافق صفة الدرّ . ولعلّها : يقق أي أبيض .

(7) في التعطير : « قد جاءت » .

(8) في التعطير : « بلحنه » . والغسق : ظلمة اللّيل .

(9) الرداع : أثر الطّيب في الجسد .

(10) سقط الصّدر من التعطير . ويبدو لنا أن العجز محوّل عن موقعه ، والأولى أن يلحق بالبيت 11 :

ولا رداع هـي قـيـد الـحـدق ولا مـثـان أطـربـت ذا قـلق

يقول رائيها الخ . . . .

مـمّـن تـشـنـى بـقـوامٍ رشِـقٍ يسقي نـداماه بكـأس مُـدْهَقِ[1]

15 من سحـر عينيـه وخمـر المنطق وكـيـف لا وقـد أتـت بـفـيـلق

من مـدح سيّـدٍ عـظيم الخُـلُقِ فـأضـرمـت نـاراً بقـلبٍ شيّـق

ونـشـرت عـقـيـق دمـع مـغـرق مـا هي إلاّ جَنّـةٌ في مُهـرَق[2]

قـد أثمـرت بكـلّ خيـر مغـدق من دونها في القدر تاج المفرق[3]

وكـلّ عقـدٍ فـوق جيـد غـوهق وكـلّ شـاعـر مجيـدٍ مـفلق[4]

20 لـيس لـه إلاّ انـحـطاط الـعـتـق لـلّه مُـنْـشِـئُـهـا رئيسُ الـسّـبـق

ابنُ التّهـامِيّ الـرّضَى المُـوَفّـقِ محمّـدٌ ذاك الـهُمَـام الـمُتّـقِي

نـسـيـجُ وحـدِه لـقـول مُـطْلَقِ جـازاه ربّـه مـقـامـا يـرتـقِي

[ومـنيـة والأمـن يـوم الفـرق] بـمـا امتـطى مـن نصَـبٍ وأَرَقِ

[ومـا ابـتغى مـن سـلّم ونفق] حتّى أتى بمـدح بحـرٍ دغفـقِ[5]

25 في حقّ خيـرِ صـادقٍ مصـدّقِ صـلّى عليـه الـلّه من مـؤتـلق[6]

أضـاء بـالأنـوار كـلَّ أُفُـقِ والآل والأصحـاب أهـلِ السّبَقِ

[87] / وكـلّ مـؤمن بـهم مـلتـحـق[6]

---

(1) مدهق أو دهاق : ملآن . وفي التعطير : « مدفق » .

(2)المهرق : الصحيفة .

(3) في المخطوط « من مرهفا في القدر » . وفضّلنا قراءة التعطير .

(4) في المخطوط والتعطير : عوهق بالمهملة ، ولم نجدها فيما لدينا من معاجم . . أمّا الغوهق والغيهق فهو الطويل ، والعنق كثيراً ما يوصف بالطول . وبعد ، فهذا منا تأويل ، وسامح الله الشيخ إذ حشر في هذه الأرجوزة ألواناً من الغريب كأنه رؤبة أو أبوه .

(5) الدغفق : الماء المصبوب ، والبحر الدّغفق : الطّامي . وصدر هذا البيت وصدر البيت السابق ساقطان من التعطير . وفي التعطير : « ببحر دمع دغفق » .

(6) في المخطوط : « من مرتعق » ، ولم نجد لها معنى ، فأخذنا بقراءة التعطير وهو أوفق للأنوار الآتية .

(7) في التعطير شطران زائدان بين البيتين 19 و 20 :

وكـلّ مـن يـريـدهـا مـن أحـمـق قـلـنـا لـه : يـا أحـمـق فلتُـطرقِ .

قاله بلسانه ، ورقَمه ببنانه ، بعدما جال في جَنانه ، الفقير ، الى رحمة ربّه القدير ، إبراهيم بن عبد القادر الرّياحي المحمودي نسبا ونِجاراً ، التّونسي داراً وقراراً ، المالكي مذهباً ، الأشعري عقيدة ، التجاني مشربا .

* * *

107 ـ وقال قدّس سرّه ، وطاب في أعلى عليّين مقرّه ، مقرّظاً رسالة العلاّمة صاحبه الشيخ محمد بن الشيخ صالح الكوّاش في الرّد على سعود الوهابي عام 1811/1226 [طويل][1] :

شموسُ الهُدى والحمد للّه شارقة ... وأسيافُ أهل الدين بالحقّ بارقَة
وإنْ خَرَسَتْ عن نُصرَة الدّين ألْسُنٌ ... فكَمْ ألسنٍ مثلَ الأسنّة ناطقَة
متى لَمَسَتْ كفُّ الغُوَاةِ سماءَه ... فلم تَرْمِهِمْ من حُرَّسِ الشُهب صاعقَة
ولا تحسَبوا أهلَ الحماية قد قضَت ... فما سبقت إلاّ هنالك لاحقَة
ولا تيأسوا من ذاك إن مات صالحٌ ... فهذا آبنُه راياته فيه خافقَة[2]
ألم تنظروا ما أطْلَعَتْهُ علومُه ... من الحُجَجِ اللاتي أبانت حقائقَه
كأنّ سَنَاها في دُجى البِدَعِ التي ... بدت ، شمسُ أفقٍ للحنادس خارقة
[بواترُ ، أمّا شهمُها فمحمّدٌ ، ... وأمّا لِهَامِ الزائِغين ففالقة
لَعَمْرِي لقد حلّى من الدّين جيدَه ... وتوّج بالتّصنيف فيه مَفَارِقَه][3]
وأنْطَقَ من داعي الهُدَى مُتَكَلِّماً ... وأخْرَسَ من فحل الضّلال شقاشقه

---

(1) مجمع ، 33 ب ، التعطير ، 77/1 . وسعود هو أمير نجد سعود بن عبد العزيز بن سعود من أنصار الإمام محمد بن عبد الوهّاب .

(2) الشيخ صالح الكوّاش والد صاحب الرّسالة ، عالم وفقيه ، أصيل مدينه الكاف . توفي سنة 1804/1218 (الإتحاف ، 44/7) .

(3) هذان البيتان ساقطان من التعطير .

وذاك بيمن السيّـد الأسعـدِ الـذي لنُصْـرَتِـهِ لـلدّين حَـمَّـلَ عَـاتِقَـه
[وأخْلَصَ في دَرْءِ الفسـاد طَـوِيَّـةً أدَارَ على قُـطْبَيْ هُـدَاه منـاطقَـه][1]
هـو النّاصـرُ المنصورُ حمّـودةُ الـذي محامِدُه في الشّرق والغرب عـابقة[2]
[لئن تحْلِف الأيّـام أن لا تـرى لـه - ولم تَرَ - مِثْلاً فهي في ذاك صادقة][1]
15 فـدامت لـه الأيّـام وهي مـواسـم وآمـالُنـا فيهـا بـه وهي وارقـة[3]

* * *

108 - / وقـال رضي الله عنه ، مجيباً ابنه الخـطيب الشيخ سيـدي علي حين قرّظ رسالته قطع اللّجاج في نازلة أولاد سليمان ابن الحاج[طويل][4] :

جـزاك إلـهُ العـرش كـلَّ فضيلة تُسَرُّ بها في الدّهر بـالعلم والرّزق

* * *

---

(1) وهذان البيتان أيضاً .

(2) في هذا البيت إشارة الى الأمير حمودة باشا الحسيني الجالس على العرش عصرئذ .

(3) في التعطير : « وهي بواسم » .

(4) مجمع ، 45 أ . والشيخ علي الرياحي له ترجمـة في الإتحاف ، 83/8 . والأبيـات التي قرّظ بهـا رسالـة والده منقولة في مسامرات الظريف ، 191/1 . والنّـازلة التي ألّفت فيهـا الرسـالة كـانت للشيخ مـع قاضي الحاضرة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار .

حرف السّين

109 ـ وقال رضي الله عنه يمدح خير الأنام عليه أفضل الصّلاة والسّلام [وافر][1]:

كفاني من زماني ما أقاسي ... ومن أهليه ما بالقلب راسي[2]

[زمانٌ ماله بالنّاس مَيْزُ ... بالحمير ألْوَى جناسي][3]

فدهرٌ بالحقيقة غير دهر ... وناس في الحقيقة غير نَاسِ

[أعمّم في الجميع ولا أحاشي ... وأقصده واني غير قاسِ][4]

5 وما أنا فيهمُ إلاّ غريب ... وإن كَثُرَ المُؤاخي والمُوَاسي

ولولا سِحْرُ أَلْحَاظٍ نِيَامٍ ... سَبَاني ، صحّ من دنياي آسي[5]

تصول به الظِّبَاءُ على أسودٍ ... فتخضع ما رأت غابُ الكِناس[6]

ففي كلّ القلوب لها جِرَاحٌ ... وفي كلِّ الجفونِ لها مُقَاسِ

وذَابَ لِفَتْكِهَا ما هو صَلْبٌ ... ولان لفعلها ما هو قَاسِ

10 فلستَ تَرى سوى صَبٍّ صريع ... يقاسي في الصبابة ما يقاسي

وكلُّهُمُ وإنْ تاهُوا فَمِنِّي ... قَدِ اقْتَبَسُوا الهوى بَعْضَ اقْتِباسِ[7]

---

(1) التعطير ، 113/2 . وكشف الحجاب ، ص 140 ومجمع ، 5 ب .

(2) في التعطير : « وما من أهله بالقلب » .

(3) بيت ساقط من التعطير ، وهو مختلّ الوزن .

(4) بيت ساقط من التعطير .

(5) هكذا في المصدرين . ولعلّها : [لـ] صح من دنيا إياسي . أو : من دنياي يأسي .

(6) في المخطوط : الكناسي . والكِناس : مأوى الظبية .

(7) في المخطوط : « تاهوا بمعنى » ، ولا معنى له .

ومَنْ في النّـاس لازمـه عـذابٌ تـزول لِـحَمْـلِهِ الشُـمُّ الـرّواسي
وكلّفـه الهـوى بـأساً شـديـداً إلى غَـوْلٍ من النّـاس الخِسَـاسِ
سـوى هـذا القتيـلِ ولا قتيـلٌ كمقتـولِ العنـاء من الـنّعـاس
15 ولا مثـلَ النِّصـالِ نِصَـالُ جَفْنٍ يُجَـرِّحْنَ القلوبَ بـلا مسـاس[1]
[89] / على صفحـات مُقْمَـرٍّ جبينٍ وخـدٍّ وَرْدُه مـن تـحـت آسِ
[بـه داءُ العضـال وهَـلْ لِصَبٍّ سوى وَصْلِ المحبِّ ـ فُدِيتَ ـ آسي][2]
غـزالٌ لا يُـحـاكـيـه غَـزالٌ وشمسٌ نـورُهـا للكَـوْن كـاسي

*

أَغَيْـرَ ٱلمصـطفى أبغي بِجِـدِّي أفي خَيْـرِ ٱلْبَـرَايَـا مِنِ ٱلْتِبَـاسِ ؟
20 من العُـرْبِ الكِـرام أنـار لمّـا أُرِيـدَ هناك تصحيـحُ الأسـاس
وَأَوْمَضَ في اللّيَالي السُّـودِ حتّى أبـان الـدّينَ من بَعْـدِ ٱنْـدِرَاسِ
وَأَطْلَعَ في سمـاء الـدّين شُهْبـاً لهـا بين الـورى أيّ ٱحْتِـرَاسِ
فصـار الـدّينُ ذا وجـهٍ صحيحٍ ومُلْكُ الحقِّ منصـوب الكـراسي
وعـاد الكُفْـرُ من بعـد ٱعْتـزازٍ حليفَ ٱلـذُّلِّ محكومَ الـدِّراس[3]
25 فَيَا كَمْ هَـدَّ مِـنْ قَصْـرٍ مَشِيـدٍ وفـرّق بيـن جـثمـانٍ ورأس !
بـأبـطالٍ تـدين القِـرنَ جبنـاً وتكسـوه الـدّمـاءَ من اللِّبـاسِ
عليهم مـا شَـدَا في النّـاس شَـادٍ سـلامٌ كُـلَّ آنٍ فـي ٱعْتِـراس[4]

* * *

(1) في المخطوط : « ولا مثل الصّعال » ، وهي بعيدة . وفي التعطير : « يجرعن » .
(2) بيت ساقط من التعطير .
(3) الدّراس والدّروس : البِلَى .
(4) في التعطير : « عليه » .

110 ـ وقال رحمه الله يمدح شيخه القطب المكتوم ، الجامع لأسرار المنطوق والمفهوم ، الغوث الربّاني ، الشيخ أحمد التّجاني [بسيط][1]:

صَاحِ آرْكَبِ العزمَ لا تُخْلِدْ الى اليأس ... وآصْحَبْ أخا الحزم ذا جِدٍّ الى فاس

وآشْرَح متونَ صباباتي لِجيرتها ... وحَيِّ حَيًّا بهم قد كان إيناسي

وآقْرَا السّلام على تلك المعاهد مِنْ ... حَيْرَانَ تلفظه ناسٌ إلى نَاسِ

وقُلْ لهم : ذلك المضنى وحَقِّكُمُ ... باقٍ على العهد ذو وَجْدٍ بكم رَاسِ

5 لا يُبْصِرُ الحُسْنَ إلاَّ في وجوهِكُمُ ... وليس يجنح في حبٍّ لوَسواسِ

وعُجْ الى حيثُ مَنْ عَيْنِي لفُرْقته ... تبكي ، وتَزْفَرُ بالأشواقِ أنفاسي

ومَنْ أنا فيه هَيْمانٌ يقلّبني ... دهري بأنواع تهيامي وأجناس[2]

[90] / ومَنْ فؤادي به مُضْنًى يحمّلني ... ما بعضه دُكّ منه الشّامخُ الرّاسي

ذاك الذي نال ما لم يِحْوِه بشَرٌ ... من العَطايا ولم يُعرف بمقياس

10 غَوْثُ البرايا أبو العبّاس أحمدُ مَنْ ... معناه أعظمُ أن يُجْلَى بقرطاس

روحُ الوجود وقُطبُ الكون مركزه ... مُمِدُّه سرّه الساري إلى النّاس

رمزُ الوجود وسِرُّ الحقّ طَلْسَمُه ... مكنونُه كنزه المَخْفِي بحرّاس

حقيقة الكون معنى السّرِّ مُجْمِعُه ... فَيْضُ الإلٰهِ بلا لَبْسٍ ولا باس

أعني التجانيَّ تاجَ العارفين ومَنْ ... بسابغ الفضل مِنْ عرفانه كاسي

15 ومَنْ محبّتُه دِيني وخِلَّتُه ... عقلي وروحي وجُلّاسي وأحداسي

ومسمعي وفؤادي وآنبساطُ يدي ... ومُقْلتي ولساني بين جُلّاسي

يا سامعي ، إنْ تكنْ للسِّرِّ ذا ظَمَإٍ ... فَجِئْنِي لأحمدَ ساقي السّرِّ بالكأسِ

رِدْ وِرْدَهُ العذْبَ وآستنشِقْ روائحَه ... تَظْفَرْ بأعطارِ ذاك الورد والآس

---

(1) التعطير ، 62/1 . وكشف الحجاب ، ص 138 ومجمع ، 7 ب .

(2) في المخطوط : « ومن أنا في هُيَام » . وفي كشف الحجاب : « ومن أنا فيه حيران » .

وآستَعْمَلِ آلْجِدَّ في تحصيل واجِبِـهِ إنْ لم تكن في بِسَاطِ القُرْبِ ذا ياس
وآهْـرَعْ إليه إذا مـا كُنْتَ ذَا ظَـمَـإٍ وآسْـرِعْ إلى اللّه مَشَّـاءً على الـرّاس
وآنهَضْ فقـد لاح لـلإسعـادِ طـالعُـهُ وقُمْ ولا تَـكُ لـلإسعـاد بـالنّـاسِي
وآخلَعْ ظـلامـاً على قلبٍ مُنِعْتَ بـه أن تستضيءَ من آلمعنى بنبـراسِ
ومـا ظُنُونُـك بـالـوِرْدِ الـذي نـظمت يَـدُ النُّبُـوَّةِ هـل يُبْنَى بـلا سـاس ؟
ومـا تـظنّ بـمنـهـاجٍ لسـالـكـه أمْنـاً مِنَ آلْهَـوَالِ نيـرَانٍ وأرمـاس
يـا ربِّ أَدْعُـوك بالأَسْمَا وأَعْـظمِهَـا وأَعْظَمِ الرُّسْلِ ذي الإحسان والبأس
وحـمـزةٍ وعـليّ وآبـنـه حَسَـنٍ مـع الـحُسَين وزهـراءٍ وعبّـاسِ
آجْعَـلْ قـلادة جيـدي في أصـابعـه وآرْحَمْ به قلبِيَ المُضنَى به القـاسي
وَآبْعَثْ لـه عند سمـع النّظم مـرحمةً تـنفـي عليّ شَـقَـاوَاتِي وإفـلاسـي
[وَآجْعَـلْ نِظَامي وإن نـالت مَفَاصِلُه إلاّ بـه أرتجي مَحْـواً لأرجـاسي][1]
وَعُمَّ مثـواه تسليمـاً فليس سـوى تسليمِ ذاتك كُفْءَ القُطب في النّاس[2]

* * *

111 ـ وقال قدّس سرّه مخاطباً الشيخ أحمـد زرّوق الكافي[3] وملغـزا في اللّيم[4]، وذلك سنة 1802/1277 [كامل] :

يـا مفـرداً في الـظّرف والإينـاس مَنْ لم يكن للعهـد بـالـمتنـاسي
مَـا آسْمٌ غـدا ثُلُثَـاهُ لي مَـعْ ثُلْثِـهِ ولَمِ آنْفَـرِدْ يـومـاً بـه في النّـاس

---

(1) بيت ساقط من التعطير .
(2) جاء في كشف الحجاب (ص 139) : « أن هذه القصيدة لها تأثير في نفي الكروب وانشراح القلوب ، كما جرّبت لكلّ من تلاها » .
(3) مجمع ، 46 أ . وأحمد زرّوق الكـافي عالم وأديب ، تـولّى التدريس بجـامع الـزيتونـة وقضاء المحلّة ، وتوفّي سنة 1831/1246 (الإتحاف ، 158/7) .
(4) الليم : هو الليمون الحلو .

فـي قـلبـه مَـيْـلٌ ولا قـلبٌ لـه حتّى يميلَ ، ولم يَمِـلْ كـالـنّـاس

ولـطالمـا سـارت بـه الـرّكبـانُ تـا عـبـةً فـمِـنْ إبِـلٍ ومَـنْ أفْـراسِ

5 فـأَجِبْ إذا مـا سـرتَ فيـه أوفَقِفْ « ما في وقوفك ساعـةً من باس »[1]

ولقـد ذكـرتـه فـالسّؤالُ جـوابُـه مـا فـيـه مـن خـلطٍ ولا إلْـبـاسِ

* * *

(1) مطلع قصيدة لأبي تمّام (ديوانه 242/2 رقم 81) .

حرف الهاء

112 ـ وقال تقبّل الله عمله ، ورفع في عليّين منزله ، مخاطباً سيّد الوجود ﷺ ، حين رأى أعلام المدينة المنوّرة في حجّته [وافر] :

أتيتُك راجلاً ووددتُ أنّي ... جعلتُ سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أُسَعّي على المآقي ... الى قبرٍ رسولُ اللّه فيه[1]

* * *

113 ـ وقال قدّس سرّه ، يرثي الأمير محمود دباي رحمه الله [كامل][2] :

ما ماتَ مَن يُبقي الثَنا ذِكرَاهُ ... ويمينُه ظفِرت بكُلّ مُناه
كالسيّد الباشا الرضى وهو الذي ... طِيبُ آسْمِهِ يُهدي شذا معناه
سَمَّوْهُ [محمودا] .... [3]
ملكٌ إذا عُدَّ الملوك فإنّما ... هو صالح قد فاق في تقواه
[92] / أَحْنَى على الضّعفاء من لِينِ ٱلْحَشَى ... وأَمَنُّ من أرواحهم رُحماه
5 وهُوَ الذي بسط الهنا بيمينه ... فالهرج ما ناب الورى برجاه
سبحان من جمع الكمالَ لِمُفْرَدٍ ... لَمْ يَحْكِهِ في ذاك إلاّ آبْنَاهُ[4]

---

(1) مجمع، 6 ب. وقراءة الصدر لا توافق الميزان إلاّ بتضعيف سعى كما فعلنا، وهو غير وارد في المعاجم.
(2) ارتقى الأمير محمود بن محمّد الرشيد بن حسين باي العرش يوم 9 محرّم 1230 (21 ديسمبر 1814) وتوفي يوم 28 رجب 1239 (28 مارس 1824) .
(3) بيت لم يثبت منه إلا الكلمة الأولى ، وزاد المجمع ، 20 أ الكلمة الثانية .
(4) وهما حسين باي الثاني (1824-1835) ومصطفى باي (1835-1837) .

ثم آختفى كالشّمس قرصا لاسناً ... فـآبنـاه في فَلَكِ الحيـاة سنـاه[1]

قُـلْ للألـى سفكـوا دماءَ عُيـونهم ... أأسىً بمـن قـرّت لـه عينـاه ؟

10 لـم ينتقـل إلاّ لـخيـرٍ وافـرٍ ... فيـرى جَـزَا مـا قـدّمتـه يـداه

ولـذا بحسن الظنّ قلت مؤرّخـاً : ... كـان التحيّـة والسّـلام قِـراه[2]

1239

* * *

114 ـ وقـال رضي الله عنـه مؤرّخـاً وفـاة شيخـه العـلاّمـة الشيـخ صـالـح الكـوّاش [كامل][3]:

كـلّ الى بـطن الثّـرى رُجعـاه ... لـو بـالسّمـاء تمسّكت يـمنـاه

لا فضـلَ فيـه لـذي كمـالٍ إنّمـا ... يـرجو جـزيلَ الفضـلِ في أُخـراه

(هذا ما اتّصل بنا منها) .

---

(1) قراءة البيت عسيرة ، ففي المخطوط : قرص الأسى ، فـانفاء . فـأخذنـا بقراءة المجمـع ، 20 ب ، وما أثبتناه ظنّي .

(2) حساب الجمّل يوافق التاريخ المذكور : 1239 .

(3) مجمع ، 37 ب . وانظر ترجمة الشيخ صالح الكوّاش في الإتحاف ، 44/7.

حـرف الـواو

115 ـ قـال رضي الله عنه يمـدح مقدّم الـطريقة القـادرية[1] العـلامة الشيـخ محمد بن عيسى تغمّده الله برحمته [طويل] :

هَلُمُّـوا بني أمّي إلى جنّـة المـأوى ... تَـرَوْا حُسْنَ ما فيهـا من ٱلْمَنِّ وٱلسَّلْوَى

الى مجلسٍ طـابت عـنـاصـر سـرّه ... بفضـل الإلٰـهِ عـالمِ السـرّ والنَّجْـوَى

جـرت فيه من فَيْضِ الـرّسول سحـابـةٌ ... فهـو كما تـدري حصـونٌ من البَلْوَى[2]

على كـلّ ذي شَأْوٍ فـأصبـح في الـورى ... عَلِيَّ الـذّرى لا يـدركـون لـه شَـأْوَا

5 فَقُـلْ للّذي ينهـاك عـن طيـب نشـره ... ويعـذل : ما لي عن محـاسنه سَلْوَى

الى حضـرة الأَزْكَى المكمّـل مَنْ لـه ... بَـرَاهِنُ فضلٍ عن جميـع الورى تُـرْوَى

[93] / إمـام الهـدى هـو ٱبْنُ عيسى محمّـدٌ ... شـريفُ الـورى أَصْـلاً وأَكْـرَمُهُمْ مَثْـوَى

قـديمـاً عَـلاَ حـتى تـمـهّـد ذروةً ... تُذَرّي فحولَ النّـاس ما دونهـا ذروى[3]

ألا يـا ٱبنَ عيسى مَنْ يسـاويـك رفعـةً ... وهـل يستوي أعلى الـروائح بـالأَسْوَا ؟

10 حِـمَـاك وإلا مـا تُـنـالُ حـمـايـةٌ ... وحُسْنُـكَ أَوْ كُـلُّ المحـاسن لا تُهـوى

وفـيـك وإلاّ مـا تَـوَشَّـحُ مِـدحَـةٌ ... ومنـك وإلاّ مَنْ يجيب بـذي الشّكْـوَى

---

(1) نسبة الى الوليّ الصالح الشيخ عبد القادر الجيلاني . والقصيدة في المجمع ، 10 ب .

(2) فهو : يختل بها الوزن ، إلاّ بتشديد الواو .

(3) تذري : قراءة تقريبية ، بمعنى : تتركهم وتشتّتهم .

ففيك أماني يا مُناي ومنيتي وأترك من يروي ملاميَ لا يروى[1]

وأقتل نفسي في رضاك صبابةً إلى أن أرى وَجْهَ العواذل لي يُشْوَى

دعوني ولومي في آبن عيسى فإنّني أرى لَوْمَهُ أشهى من المنّ والسّلوى !

* * *

(1) في المخطوط : منائي يا أماني ، والتصويب من المجمع .

حرف لام ألف

116 ـ قال رضي الله عنه مؤرّخاً وفاة العدل العلاّمة الشيخ عبد الله التّميمي ، خال الشيخ إسماعيل التميمي رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ، آمين [كامل][1] :

يا سالكاً في الأرض سُبْلاَ ... ما يتّقى للموت نَبْلاَ
قف واعتبر بحُلاحِلٍ ... متوحّد فضلا ونُبْلاَ[2]
كانت به الأيّام لا ... مَثَلاً لها بَعْداً ولا قَبْلاَ
والعلم كان به حَياً ... لِلْعَالَمِينَ وكان وَبْلاَ[3]
ولَكَمْ أفاد من آعتفى ... ولكم أزاح عليه جهلا[4]
وأبان عن طرق الهدا ... يةِ ما يرى صِدْقاً وعدلا
وعلى أهالي الفضل مِنْ ... أهل العدالة زاد فضلا
وعلى الكِرَام مِنَ الكرا ... مِ من الكرام الأصل جُلّى
وعلى عيون الكاتبيـ ... ـن ذوي البراعة كان جلاَّ
والآن سار إلى الرّضى ... لمّا تبيّن منه إلاّ[5]
[94] / ودعاه : عبدَ الله يا ... بَدْرَ التّميميّين أَهْلاَ !
لبّى لدعوة ربّه ... وتخيّر المُلْكَ الأجلاّ

---

(1) التعطير : 8/1 . مجمع ، 38 أ .
(2) الحلاحل : السّيد الكريم .
(3) الحيا : المطر .
(4) عليه ، والأصوب : عنه .
(5) الإلّ : العهْدُ .

ولـذاك فـي تـاريـخـه : كـانت لـه الفـردوس نُـزْلا[1]

1205

* * *

117 ـ وقال رحمه الله يرثي الأميرة آمنة آبنة علي باشا باي [كامل][2] :

سَكَنَتْ فسيحاً في الجنان ظليلا وقـطوفهـا قـد ذُلِّلَتْ تـذلـيـلا
لا تحسبوهـا في الثّـرى ومَقيلها تهـوى الثريّـا أن تكـون مقيـلا
بنتُ الهُمَـامِ عليٍّ الملكِ آلّـذي لم يتّخِـذْ غَيْـرَ الصّـلاح خليـلا
وحليلةُ البـاشـا الهمـام أبي الثّنـا وكفى بمحمـودِ الخليـل حليـلا
5 أمُّ الـملوك وأختُهُـم يـا مَـنْ رأى حَسَباً لـذا الحَسَبِ العـريقِ مثيلا
شرفٌ لَوَ آنَّ الشّمَس تملِك بعضَـه لم تتّخِـذ نحـو الغـروب سبيـلا
أَلَـهَـا كـآمِنَـةٍ يـدٌ مبسـوطـة عَـطْفـاً على الفقـراء أو تقبيـلا
طـالت خطاهـا والخطى مقصـورة فيمـا يكـون بـه الكمـال طـويـلا
نَسَجتْ على النّوْل القديم طـرازَها وَرَأَتْ سَـدَى ذاك الهـدى تبـديـلا
10 وتمسّكت بِعُـرَى الـدّيـانـة كفُّهـا وتبـتّـلَتْ لـمعـادهـا تـبـتـيـلا
ثمّ آنقضت والفيضُ يـعبـق نشـرُه عبقـا على حُسْنِ المـآب دليـلا
ومضت الى الفِرْدَوْس في تاريخها: يـا حبّـذا جـودٌ حَـوَتْـهُ جميـلاً[3]

1238

* * *

(1) في الإتحاف ، 36/7 ، ترجمة وجيزة لهذا الفقيه الموثّق . وقال إنه مات سنة 1214 . وحساب الجمّل هنا يوافق سنة 1205 .

(2) مجموع ح.ح. عبد الوهّاب 1/29 ب (18548)، مجمع، 20 ب. وهذه الأميـرة التي توفّيت في سنـة 1238 (1822) هي آبنة الباشا علي بن حسين باي (1759-1777) وشقيقة الأمير حمّودة باشا (1777-1824) وزوجة الأمير محمود باي (1814-1824) ووالدة الأميرين حسين باي الثاني (1824-1835) ومصطفى باي (1835-1837) وهذا ما يشير إليه الشيخ إبراهيم الرياحي في مرثيته (أنظر، الإتحاف، 141/3) .

(3) تاريخ الشطر : 1238 .

حرف اليـاء

118 ـ وقال قدّس سرّه معارضاً القصيدة اليائية [سائق الأظعان يطوى البيد طيّ] لسلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض[1] رضي الله عنه [رمل][2]:

حَيِّهِمْ إن جِئْتَهم يا سَعْدُ حَيّ ... فَهُمُ أهل الحيا في كلّ حيّ[3]

[95] / عِشْ بهم صبًّا ومُتْ في حبّهم ... مَنْ يَمُتْ في حبّ حيٍّ فهو حيّ

هم ملوكُ الأرضِ سادات الورى ... فآرْوِ عنهم وآطْوِ ذكرَ الغيرِطيّ

لم يَزَلْ إحسانُهم يغمرنا ... مطلباً بالفيض في نشر وطيّ

5 كم كذا ألفاظهم تأتي بما ... فيه للقلب شفاءٌ ودُوَيّ

لفظهم والجود ، ذا فيه شفا ... لذوي السّقم ، وهذا فيه ريّ

من كلا هذين لا أبرح في ... سكرة فآرْوِهم عن سَكْرَتَيّ

فثناهم لامعٌ في فكرتي ... ونَداهم هامعٌ في راحَتَيّ

أنا منهم لم أزل مكتسِباً ... كلَّ ما يُنْسَبُ في الخير إلَيّ

10 طَرَقَتْني نفحةٌ من سِرِّهم ... فكسا ضَوْءُ سناها أصغريّ

سيّدتني مُنْشِئاً مرتحلاً ... كلَّ ما أطلُبُه في قبضتيّ[4]

---

(1) عمر بن الفارض (1180-1234) من كبار شعراء الصوفيّة وهو من أصل حموي، عاش في مصر ثم انتقل إلى الحجاز حيث نظم كثيراً من قصائده ، وقد كان متأثّراً بالشيخ محيي الدين بن عربي ،انظر : محمد البهلي النيال ، الحقيقة التاريخية للتصوّف الإسلامي .

(2) التعطير ، 114/2 والمجمع ، 2 ب .

(3) في التعطير : « الوفاء » .

(4) في التعطير : « سوّدتني » . وقراءة منشئا تقريبيّة .

أَسْعَـدَ اللّهُ بهم فكـري فـلا يعتـريني نَصَبٌ في سـاعـديّ
واجبٌ عنـديَ أن أسعى على بَصَـرِي حقّـا لهم لا قـدميّ
[يـا لسـاني أَدِمِ المـدحَ لهم دائمَ الدّهر ويا فكري تَهَيّ][1]
15 أنـا والـلّه مـحـبٌّ لَـهُـمُ صـدِّقـوني ليس بعـد اللّه شيّ
مُـخْتَـفٍ حبّـهُمُ فـي مُهـجتي عن جميـع الخلق إلا ملكَـيّ
قـد منحت بـوفـا دون جفـا فلذا أَنْسَـيْتُـمُـوني أَبَـوَيّ
وسقـاني كفّكم كـأسَ نَـوًى مـن رحيـقٍ بـاردٍ فيـه شـفـيّ
فـلكـم منّي صـلاةً كـلّمـا أَمْـطَرَتْ سحبٌ بصُبح وعِشيّ
20 وكـذا الآل مـع الأصحـاب مـا وَجـد الحيُّ فتىً في كـلّ حيّ
وآستمـرّ المـدح يـأتيكم على « سائق الأظعان يطوي البِيدَ طيّ »

* * *

119 ـ وقال رحمه الله معارضاً أيضاً الشيخ المذكور [رمل][2] :

[96] / حُبُّكُمْ قـد شـدّني من عضـدَيّ وافتقـاري لَـكُـمُ أغـنـى يـديّ
يـا جلوسي حيث لا جُـلاّسَ لي ثـمّ أُنسي حيـث لا أُنْسَ لـديّ
[طـاب لي فيكم عَـذابٌ واصبٌ قَدْ لَوَى الأحشـاءَ منّي أيَّ لَيّ][3]
شِئْـتُـمُ كَـيَّ فـؤادي مـغـرمـاً فـآنكـوى منكم بكَيّ أيّ كـيّ
5 فـجـزمـتـم لـي فـؤاداً تَـعِـبـاً عَجَباً كيف يُـرَى الجـزْم بكَيْ [4]

---

(1) بيت ساقط من التعطير .
(2) التعطير ، 115/2 . مجمع ، 3 أ .
(3) بيت ساقط من التعطير .
(4) تورية وملحة نحويّة .

أنـتُم أدْرَى بـمـا بيـن الـحـشـا وآنْـطَوتْ عنـه ضُلوعي أيَّ طيّ
آفـعـلوا مـا شئـتُـم إنّـكُـمُ كـلُّ فعـل منكمُ عَـذْبٌ لـديّ
وإذا عـنّـفـنـي ذو عـذَلٍ قـائـلاً : حُبُّـكَ فيهم كـان غيّ
قُـلْتُ : مَـهْ دَعْـني فلَوْ أنَّـهُـمُ منحـوني الحُبَّ مـا كنت بحيّ
هـم فؤادي وحيـاتي مثـلَمَـا أنّـهم سـمـعي ومَـرْأى مُـقْـلَتَيّ
يـا أُسَـاتي حيث مـا أنتُمْ أنـا وتـنـزّهتـم عـن الـشِّـبْـهِ بـشيّ
فـآكشِفـوا عن عَيْنِ قلبي غَشْـوَةً وآقْـلَعـوا لي صَـمَمـاً فـي أُذُنَيّ
كي أرى بعضـاً من الحُسْنِ الذي دُونَـه الأفكـارُ في عـجـزٍ وعِيّ
وتـعـي نـحـوكُـمُ أُذْنـي وإنْ كنتُ أرجـو منصبـاً صعبـاً عليّ
فـأرى مـنكـم رِضًـى يُـلْبِسُـنِـي تحت أطبـاق السـرى أَحْسَنَ زيّ
بـالنبيء الهـاشمِيّ المصـطفى خَـيْـرِ خلقِ الـلّهِ مِـن آل قُـصَـيّ

* * *

أرجـوزة

120 ـ وقال رضي الله عنه يستغيث ويتضرّع في شفاء الشيخ البشير الزواوي رضي الله عنه عام 1801/1216 [رجز][1] :

يـا من يجيب دعـوةَ الـمضـطرّ ... أبـدل إلٰهي عُسْـرَنـا بـاليُسْـرِ
الحمـدُ لـلّه المـجيبِ من دعـا ... وفـاتحِ ٱلْبَـابِ لِعَبْـدٍ قـرعـا
سبحـانـه مـن راحمٍ رحـمـانِ ... تـبـارك الـلّطيـف مـن مـنّـانِ
[97] / مَنْ ذا الـذي ما شَمَلَتْـهُ رَحْمَتُـهْ ... وأيّ خـلقٍ لـم تَـنَـلْهُ مِـنَّـتُـهْ
5 هـو الـذي مَنَّ بـإرسال الحبيبِ ... فيـا سعـادةَ المنيب المستجيبِ
جـعله نـوراً بـه تُـجْلَى الـظُّلَمْ ... وكَـمْ لنـا مـن نعـمـة بـه وَكَـمْ
نـرجـو بـه مَحْـوَ ذنـوبٍ كَثُرَتْ ... ونَيْـلَ إصـلاحِ قلوبٍ فَسَـدَتْ
صلّى عليـه اللّه مِنْ صـدرِ سَمَـا ... وخَلْفَـهُ صلّى الصُّـدورُ في السّمـا
صـلّى عليـه الـلّه مِـنْ ذي جَـاهِ ... لـم يَـدْرِ مـا مَعْنَـاهُ غيْـرُ ٱلـلّهِ
10 وآلِـه وصـحـبِـه وكـلِّ مَـنْ ... سـار من الإيمان في نهجٍ حَسَنْ
صـلاة مُـدمِنٍ لقَـرعِ فَـوَلَـجْ ... ونـال من جـدواه مـأمـولَ الفَـرَجْ
ثمّ بـذاك الجـاه والقـدر الكبيـر ... نسـأل في شفـا شيخنـا البشيـر
نسـألـك اللّهُـمَّ كشـفَ ضُـرِّهِ ... وبُـرءَ سُـقمـه ونُـجـحَ أَمْـرِهِ
وٱجْمَـعْ لـه بين شفـاء الجَسَـدِ ... ونـيْلِهِ حُـسْنَ الأجـورِ فـي غَـدِ

---

(1) التعطير ، 9/1 ، والشيخ البشير الـزواوي هو شيخـه في الطّريقـة الشاذليـة وقد مـرّت مرثيّتـه . والأرجوزة مفقودة من المجمع .

15 يـا منجيـاً من غـمّـه ذا النّـون ... من بعـد ما أشفى على المَنُـونِ[1]
وسـامـعَ الـدّعـاء مـن أيّـوبَ ... وراحـمـاً بيـوسُـفٍ يـعـقـوبَ
ومُـبْـرِدَ الـنّـارِ لإبْـرَاهـيـمَ ... ومـانِـحَ الـتّـنـزيـه لـلكَلِيـمِ[2]
ومُـسْـرِيـاً بِسـيّـدِ الكُـلِّ الـى ... مـا ليس يـرجـوه ذَوُو قَـدْرٍ عَـلاَ

جَـلّلْهُ يـا رَبِّ ثيـابَ الـعـافيـة ... وَهَـبْ لـه نفـحـةَ خيـرٍ وافيـة
20 وآنفض فـراشه على أيـدي الشّفـا ... بحقّ مـا في مُسْلِمٍ وفي الشّفـا[3]
يـا ربِّ قـد وَهَـنـتِ آلْـعِـظَامُ ... وأنـهـكـت قـوّتـهـا الـسّـقـامُ
وغـاب عـنّـا وجـهُـه لـذاك ... فصـارت الـدّنيـا لنـا أَحْـلاَكَـا
وأنـت حَـسْـبُ ذاك لـيس إلاّ ... فـآمْنُنْ عـلينـا نِـعْمَـةً وفَـضْـلاَ
يـا رَبَّـنـا الـلّهُـمَّ وآشْـفِ أُمَّـنَـا ... زوجتَـه التي حَـوَتْ طيبَ الثَّـنَـا
25 / وعَـافِهـا من كـلّ ضُـرٍّ وضَنَى ... وفُـكَّهـا من كـلّ ضيـقٍ وعَـنَـا [98]
أطـاعتِ آلـرَّحْمَـانَ في بشيـرِهِ ... ووافَـقَـتْ رضـاه فـي أُمُـورِهِ
فـأصبحَتْ في حُلَلِ الـرّضـوانِ ... رافـلةً لَـيْسَـتْ كـمـا الـنّـسـوانِ
وهَـبْ إلـهـي بـعـد ذا ذرّيّـة ... طيّبـةً صـالـحـةً مَـرْضِـيّـة[4]
تَـرِثُ مـنـه الـعـلمَ والأسـرارا ... والـحِكْـمَـةَ الـعَـلْيَـاءَ والأنـوارا
30 سـالكـةً مسـالـكَ الصـوفيّـة ... كـارعـة من عينهـا الـصفيّـة
يـا واهباً يَحْيَى على وَهْنِ آلْكِبَـرْ ... ومُتْحِفـاً زَوْجَ الخَلِيـلِ بِـالبشَـرْ
ولـيس فـي أمـر الإلـه عَـجَـبُ ... وهـو لتحسين الـرّجـا مُسْتَـوْجبُ
سـألـتُـك اللّهـمّ بـالـمختـار ... وآلـه وصـحـبـه الأخْـيَـار

---

(1) ذو النون : هو لقب سيّدنا يونس عليه السّلام .
(2) في التعطير : « للسّليم » . والكليم موسى عليه السلام .
(3) مسلم : أي صحيح مسلم . وشفاء القاضي عياض .
(4) في التعطير : « صالحة درّيّة » .

ومُحرز ذاك الإمامِ بنِ خَلَفْ مَنْ جاء في التّقوى على هَدْي السَّلَفْ[1]

35 بما أَلْتَهُ من المعارفِ وما وَهَبْتَهُ من العوارِفِ

وآبن عروسٍ عِيبة الأسرارِ ذي الحِكَمِ السّاطعةِ الأنوارِ[2]

كم نَبَّهَتْ بزجرها قلباً غَفَا وكم شَفَتْ من واقفٍ على شفَا

وصاحب الإمام مالك عليّ ابن زيادٍ صاحب القَدْرِ ٱلْعَلِيّ[3]

وجَاهِ تلك الدرّة المكنُونَة عائشةَ السيّدةِ المصونة[4]

40 ذاتِ التصرّف الكبير القاهرِ والسِّرِّ والنّورِ القويّ الظاهر

وجاء ليْثُ الغابِ مَنْصُورٌ وَمَنْ نال من الأسرار فوق ما يُظَنّ[5]

وسائِر الرّجال من أهل البَلَدْ وكلِّ مَنْ كان له فيه مَدَدْ

وأولياء اللّه في كلّ الجهاتِ مَنْ قد أتى فيما مضى أو هو آتِ

يا رَبِّ قدّمنا لَكَ الرّجالاَ فلا تُخَيّبْ سيّدي الآمالا

45 وقد دعوناك على آضْطِرارِ منكّسي الرّؤوسِ والأبصارِ

[99] / مستنجزين وَعْدَكَ المُوَفَّى وكارعين وِرْدَه المُصَفّى

أَغِثْ أَغِثْ أنت مُغِيثُ المستَغيثْ فما لنا سِوَاك يا رَبِّ مُغِيثْ

وآغْفِر إلهي للجميع ما سَلَفْ وآمْنُنْ على الكلِّ بإسْكَانِ ٱلْغُرَفْ

وأَنجحِ ٱلمَقَاصِدَ الجميعا ويَسِّر ٱلصَّعْبَ لنا سريعا[6]

---

(1) الولي الصالح الشيخ محرز بن خلف (951-1023) ، وهو معروف بالعبادة والتقوى وتحفيظ القرآن الكريم للصبيان . وقد اشتهر في مدينة تونس باسم « سلطان المدينة » .

(2) أحمد بن عروس ، من أشهر الأولياء الصالحين بتونس في العهد الحفصي . بنى له السلطان المنتصر زاوية بالقرب من جامع الزيتونة أقام بها أكثر من 30 سنة وتوفّي سنة 1463 .

(3) عليّ بن زياد : أوّل من أدخل الموطأ الى تونس . توفّي سنة 183 . (شجرة النور الزكية ، 60 رقم 33) .

(4) عائشة المنوبية من أتباع أبي الحسن الشاذلي توفيت بتونس سنة 1267 .

(5) منصور بن جردان من المتصوفين المشهورين في مدينة تونس . توفي سنة 1498 .

(6) في المخطوط : « وصيّر » .

50 ويَسْأَلُ آلنَّاظِمُ إبراهيمُ مَحبَّةً بذكرها يَهِيمُ

والعطفَ من شيخ الوفا البشيرِ وٱلْجَمْعَ في اليقظة بالبشير[1]

صلّى وسلّم عليه اللّهُ ما لا يَفِي ٱلْعَدُّ بِمُنْتَهاهُ

وآلِهِ الأشرافِ والأصحابِ وكلِّ مَنْ يُعَدُّ في الأحْبَابِ

* * *

(1) في المخطوط : « شيخ الصّفا » .

مسائل فقهيّة وغيرها

121 ـ قال رحمه الله ناظماً الصّلوات التي تفسد على الإمام دون المأموم [طويل][1] :

وأيّ صلاةٍ للإمام فسادُها ... تبيّنَ ، فالمأموم في ذاك تابعُ
سوى عدّة ضاهت كواكب يوسف ... وها أنا مُبْدِيها اليك وجامعُ :
ففي حَدَثٍ ينسى الإمام وسبقه ... وقهقهة والخوف في العدِّ رابع
وإعلام مأموم بفوز إمامه ... بتنجيسه والبعض فيه منازع
5 وقطع إمام حين كشفٌ لِعَوْرَةٍ ... على ما لِسَحْنونٍ وقد قيل واسع
ومستخلف لفظاً لغير ضرورةٍ ... لأجل رعاف : هي في العدّ سابع
ومستخلَف بالفتح لم يَنْوِ ثمَّ مَنْ ... بتسليمه فات التدارُكَ تابع
وتارك قبلي الثّلاث وطال إن ... همُ فعلوا ، لكنْ به الخلفُ واقع
ومنحرف لا يستجار انحرافه ... وهذا غريب بالتتمّة طالع
[100] 10 / وذا في صلاة ما الجماعة شرطها ... وإلا فبطلانٌ على الكلّ شائعُ

* * *

122 ـ وقال رضي الله عنه فيمن يجب عليه إمساك اليوم الذي أفطر فيه ومن لا [يجب عليه] ، على ما ذكره الشيخ الخرشي رحمه الله . [طويل][2] :

---

(1) التعطير ، 105/2 ، ومجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 . مجمع ، 46 ب .
(2) التعطير ، 106/2 ، والزيادة منه . مجمع ، 47أ .

إذا صائم يعروه فَطْرٌ وقد أتى ... يسائل عن إمساك آخِر يَوْمِهِ
فإمْسَاكُهُ حَتْمٌ بيومٍ معيّنٍ ... لدى العَمْدِ والمظنون منفيّ حتمِهِ
وفي غيره حتم بشهر صيامه ... وإنْ يَقْضِهِ فالنّدْبُ غَايَةُ حُكْمِهِ
وفي كلّ محتوم التتابع ندبه ... يرى إن عراه الفطرُ في بَدْءِ صَوْمِهِ
5 وفي غير محتوم التتابع حكمه الـ ... ـخيارُ كصَوْمِ العيدِ فآظفَرْ بفَهْمِهِ

* * *

123 ـ وقال رحمه الله ، ناظماً المطالب السبعة [طويل][1] :

لتحقيق برهان الوجود مطالب ... محصّلها سبع فَخُذْ كَشْفَ لَبْسِهِ
فأوّلها في العدّ إثباتُ زائد ... وثانيها إبطال القيام بنفسه
وثالثها في العدّ إثبات نقلة ... ورابع إبطال الكمون وعكسِه
وإبطال عدم للقديم وسادس ... لزوم مزيد في المحلّ لجنسه
5 وإبطال تجويز التسلسل سابع ... فَزَاحِمْ بحفظ العلم وَآعْنَ بدرسه

* * *

124 ـ وقال قدّس سرّه ، ناظماً ما يمنع من بيع الطّعام بالطّعام والنّقد بالنّقد والعرض بالعرض [طويل][2] :

إذا بِعْتَ مطعوماً بمطعوم آخر ... فإن كان بالتأجيل فآمنعه مطلقا
ويُحْرَمُ في الجنس التّفاضلُ إنْ هما ... يكونا ذوي قوتٍ وذخرٍ فيُتَّقَى
وحرِّمْهُمَا في النّقد والجنسُ واحدٌ ... وللنسء فآمْنَعْ حيثما الجنس ما آلْتَقَى
ومهما تَبِعْ عَرْضاً بِعرضٍ فإنّه ... سوى الجنس بالتأجيل والفضل يُنْتَقَى

---

(1) مجمع ، 46 ب .

(2) التعطير، 106/2 . مجمع ، 46 ب.

5 وأَجْرُ اختلاف النفع مجرى تخالف بجنس هنا فاحفظ فلا زلت ذا تُقَى

* * *

125 ـ / وقال رحمه الله ملغزاً معنى قول ابن عاصم :

« وديّـة الـجـروح في الـنّسـاء كـديّـة الـرّجـال بـالـسّـواء »

إلى آخر الأبيات . [طويل][1]:

أخا الفقه هل تَهْدِي الى الرّشد سائلاً تَحَيَّرَ في أمرٍ عـويصِ المسالـك
أَمَـا قـرّروا أنّ الجـريمـةَ مثلهـا يكون الجزا عـدلاً لدى كـلّ ناسـك
ويـزدادُ إنْ زادت ولـكـنْ قـد أتـى بنقصـانه في الـزَّيْـدِ مـذهبُ مـالِـكِ

* * *

126 ـ وقال قدّس سرّه مجيباً بعض المغاربة على قوله ملغزا . « ألا أيّها القاضي لنا هالكٌ خلا » إلى آخر الأبيات ، عام 1817/1223 [طويل][2] :

أخو الزّوجة الغرّا الذي مات جدّه وقدمات عنه بعدمـا مات عنـه أبْ
وذاك أنّ الـجـدَّ زوّج نَـجْـلَه بـأمٍّ لها جـاءت بنجل ولا عَجَبْ
فيحـوي أخـوهـا مـا تبقّى لأنّـه لِمَيّتِنـا نَجْلُ آبْنِـهِ فهـو قـد عَصَبْ
فهـذا جوابي مُسْعِفـاً فيـه سـائـلاً وإنْ لم يُوَفِّ اللّفْظُ منه بهـا وَجَبْ

* * *

---

(1) التعطير، 107/2 ومجموع ح . ح . عبد الوهاب 18841 والمجمع ، 46 أ . والبيت الموالي في العـاصميّة هو:

« إلاّ إذا زادت عـلى ثـلُث الـديَـة فمـا لهـا مـن بعـد ذاك تـسـوِيَـة »

(2) مجمع ، 46 أ ، التعطير ، 107/2 . وسؤال المغربي هو :

ألا أيّهـا القـاضي لنـا هـالِـكٌ خـلا عن الـزّوجـة الغـرّا وأخٍ لهـا نُسِبْ
فتـأخـذُ ثُمْـنَ الـمـال ، والأخُ كـلّه وهـذا سـؤالٌ ، والثـوابُ لِـمَنْ يُـجِبْ

استدراك ما ذهلت عنه

127 ـ قال قدّس سرّه مكاتباً الشيخ سيدي الطاهر بن عبد الصّادق رحمه الله [متقارب][1]:

[102] / ألا قل لسكّان وادي العقيق هنيئاً لكم في الجنان الخلود[2]

أفيضوا علينا من الماء فيضا فنحن عِطاشٌ وأنتم وُرودُ[3]

* * *

128 ـ وقال رحمه الله مجيباً الشيخ العربي الدمناني أحد الكتبة بفاس عن كتاب أرسله اليه عند وصوله الى تونس متوجّهاً الى الحجاز عام 1827/1242 [4] :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ﴿ وَهُوَ ٱللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وفي ٱلأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف ، 3) . الحمد لله ربّ العالمين .

---

(1) التعطير ، 22/2 وكشف الحجاب ، ص 397 . والبيتان مفقودان من المجمع .

وفي مسامرات الظريف ، 183/1 : هو أحد أتباع الشيخ أحمد التجاني ، قدم الى تونس سنة 1838 فاصطحب الشيخ إبراهيم الرياحي الى بلدة تماسين بالجنوب الجزائري للقاء شيخ الطريقة التجانية بها ، وهو الحاج علي التّماسيني ، فسارا اليها عبرَ القيروان ثم الصحراء ، والبيتان غير مذكورين في المسامرات . .

آنظر ترجمة السيد الطاهر بن عبد الصادق الأقماري في كشف الحجاب ، ص 396-397 .

(2) في كشف الحجاب : « ألا قل لساكن . . . » .

(3) بقية الخطاب رسالة نثرية أعرضنا عن نقلها . وهي منشورة أيضاً في كشف الحجاب ، ص 397 ، بتاريخ « أواسط حجة الحرام سنة 1260 » .

(4) مجمع ، 29 ب . التعطير ، 97/1 . وفيه نصّ الرسالتين بين الشيخ محمد العربي الدمناني المغربي والشيخ إبراهيم الرياحي . وفي رسالة الكاتب الفاسي عتاب للشيخ التونسي ، فكان ردّ شيخنا قويّا .

والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد خاتم النبيّين ، وإمام المرسلين . وعلى آله وصحبه والتابعين ، الى يوم الدين [طويل] :

عجبتُ وهل ذا الدّهرُ إلاّ عجائِبُ ... لمن قال ذا عتبٌ بِحُسْنِ بيَانِ
أتيناكُمُ من بُعْدِ أرضٍ نزوركم ... وكم منزلٍ بِكْرٍ لنا وعَوَانِ
نُسَائِلُكم هل من قِرًى لنزيلِكُم ... بِمَلْءِ جُفُونٍ لاَ بِمَلْءِ جِفَانِ
أتأتوننا قصد الزيارة ثمّ لا ... توافوننا من بعد نَيْلِ تدانِ ؟
5 وتَغْنَوْنَ بالإرْسال عن وصل حِبِّكُمْ ... وقد صار منك الوصلُ طَوْعَ بَنَانِ
لقد جلّ هذا الحبّ حتّى كأنّه ... سرابٌ تراءى لامِعاً لِعِيَانِ
وساءلتُمُ مِلْءَ الجفون قراكمُ ... أشرتم الى بُخْلٍ بملء أوانِ[1]
بعيشك ما صدّ الجفونَ عن القرى ... وما احتجتَ في لقياه للوخدان
وقد لاح لي في شرح ذاك ضمائر ... أنَزِّه عن إعرابهنّ لِسَانِي

كتابك أيّها السيد الذي بذَّ الأقران . وأذكر بإحسان بيانه بيان حسّان . لعلّه مجرّد إبراز لإبريز البلاغة . ومحض حسن تخيّل ببنان البيان صاغه . وإهمال المراقبة لأمر العاقبة ساغه . تبغي بنفثاته البالية . قلب الحقائق العقليّة والنقليّة . وإلاّ فكيف يسوغ[2] في معقول أو منقول ، قرب الحبيب وما إليه وصُول[3] ، والقناعة عن ملء الجفون برسول . بعدما ادّعيتم من معاناة البعد البعيد . ومكابدة الشّوق الطويل المديد . وقد قال القرب : ﴿ هُذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ (ن ، 23) . وإنّ حبّكم مبنيّ على غير أساس . أولم يَعُدْ من شرّ الجنّة والناس . فابْتُلِيَ عَقدُه بالفسخ . وقبل التبليغ وقع النّسخ . ثم إنّك لم تَأْلُ جهداً في السّباب . وأُتِيتَ من فنونه/ بالعجب العجاب ، ورُمْتَ ترويجه على أولى الألباب . باسم الدّعابة والعتاب . وهل تخفى الشمس ليس [104]

---

(1) في التعطير : « عن القرى » .
(2) في التعطير : « يتصوّر » .
(3) لم يتمكن الزائر من لقاء الشيخ ، وذاك سبب حنقه .

دونها حجاب ؟ فكنتم كهادم محلّ سكناه . أو كباسط كفّيه الى الماء ليبلغ فاه . ولو كان القلب ما زال تستفزّه البروق . وصهباء الشّباب بمزاج السّرور تروق . لجريتُ معك في هذا الميدان . خليع العذار طلق العنان . وأبنتَ متشابه كتابك بأتمّ بيان . ولكن :

صحا القلبُ عن سلمى وأقْصَرَ باطلُه وعُرِّيَ أفراسُ الصّبا ورواحلُه[1]

والله تعالى يقابل جميعنا بالعفو . ويسامحنا فيما ارتكبناه من اللّغو . والسّلام .

* * *

129 ـ وقال رحمه الله متعذّراً للوزير مصطفى خزنه دار[2] عن وضع ختمه في قرطاس أبيض ملاصق للقرطاس الذي كاتبه به غلطا من غير شعور عندما وجّه الوزير اليه القرطاس المطبوع :

المقام الوزير الذي أوتي الأخلاق السنيّة ، والشمائل اليوسفيّة ، [فابتَهَجتْ به الدولة الأحمدية المشيرية][3]. السّلام التام ، المحمول على كاهل المبرّة والإكرام ، والدعاء المرجوّ بدوام العزّ وحسن الختام . وبعد فقد وصلني جوابي الذي كنت أرسلته الى السّيادة ، مصحوباً بالورقة التي وقع فيها الختم على وجه الخطإ . ونبّهتنا عليه تنبيه المحسن لمن أساءَ وسبحان من لا يضلّ ولا ينسى . لكن ظهر لي في هذا الخطإ سرّ مناسبٌ لقدرك الأعلى . وهو أن الختم لو كان مباشراً لوقع على اسمك الشريف ونعتك اللّطيف . فيصير اسمك العالي ونعتك العالي أسفل والختم أعلى . ويأبى الله إلّا أن يكون العلوّ لقدرك الأسمى ، ذاتاً وصفةً وآسماً . ولهذا قلت

---

(1) البيت لزهير . آنظر ، شعر زهير بن أبي سلمى للأعلم الشّنْتَمْري ، نشر فخر الدّين قباوة ، حلب 1970 ، ص 41 .

(2) تقلّد مصطفى خزن دار الوزارة الكبرى من سنة 1837 الى سنة 1873 والاعتذار منقول في التعطير ، 116/2 .

(3) والدّولة الأحمدية المشيرية هي مُدّة المشير الأول أحمد باشا باي (1837-1855) . وهذه الجملة ساقطة من التعطير .

في ذلك نظماً [كامل][1] :

الختمُ أدرك أنّ قـدرَك جـلَّ أن يختارَ لاسمِكَ أن يُصيَّـر أسفلا
خاف الوقوعَ على آسمِك الأعلى إذا فـوق الكتابـة لو تـوَسّطَ فيصـلا
[105] / أخطأتُ في ظنّي فكان صنيعُه فضـلاً يجلّ بـه مَقـاماً أفضَـلاَ

والله تعالى يبقيك ، ومن كلّ سوء يقيك . والسّلام من معـظّم قدركم العلي ، إبراهيم بن عبد القادر الرّياحي .

* * *

آخر المخطوط

انتهى جمع هذا الديوان الرائق . بل نظم فرائد هذا العقـد الفائق . على يـد فقيـر ربه ، وأسيـر ذنبـه ، العـاجـز الممضي الضعيف ، أحمـد بن محمـد بن عبـد اللّطيف ، يوم الأربعاء رابـع عشر ثاني الجمادين من عـام 1884/1301[2] وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(1) مجمع ، 26 أ .

(2) من الجدير بالملاحظة أن كتاب « تعطير النواحي » منشور بتونس سنة 1320 .

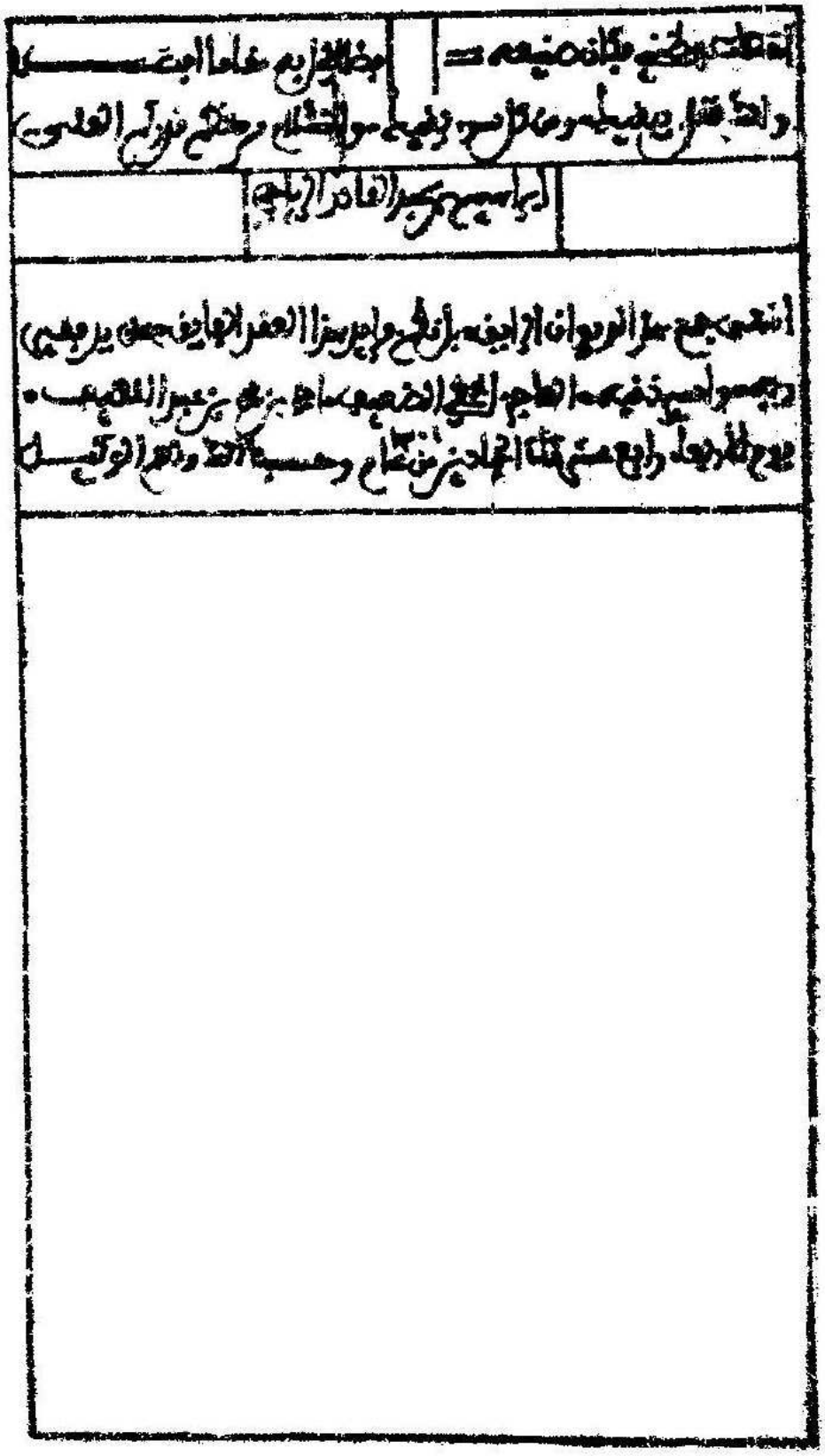

الصفحة الأخيرة من الديوان

ملحقـات

قصائد ومقطوعات
غير واردة في الدّيوان

1
ملحقات من التعطير

130 ـ قال الشيخ إبراهيم الرياحي مادحاً الشيخ محمّد بوراس الواسطي من بلد أم العساكر بالمغرب الأوسط [الجزائر] ، حال سفره وجولانه بتونس [بسيط][1] :

يا هل درى جيرَة بالسّفح قُطَّانُ ... أنّي بهم بين فِيح البِيدِ وَلْهانُ ؟
أشتاقهم ، وَسَوَادُ القلب مسكنُهم ... وأَسْوَدُ العَيْنِ إذْ لم يَحْظَ سَيْحَانُ
وأجتلي عنهمُ الأنباءَ إذ عَمِيتْ ... عيني ، وكالعين بَعْضَ الحِين آذانُ[2]
فإنّ روحي بذكراهُمْ لها طَرَبٌ ... وللفؤاد بها رَوحٌ ورَيْحَانُ
فلا تَلُمْ أيُّها اللاّحي ، فإنك عـ ... ـمّا كبدَتْ كِبدي الحرّاءُ وسنانُ
لم تَأْسَ قطُّ على إلْفٍ أَنِسْتَ به ... ولم يَرُعْ رُوعَك الملتاعَ هجرَانُ
ولم تبتْ تُسبحُ الدّمع الرّخيصَ وما ... له إذا بيعَ لولا الحبُّ أثمانُ
وهل أَرِقْتَ تراعي الشُّهْبَ مُدَّرِعاً ... حنادسَ اللّيل ، والأحشاء أحزانُ
ترثي لك الشّهبُ ، هذا ساقط صَعِقٌ ... وذاك في السّير مرتابٌ وحيرانُ
وَبِتَّ أَيْأَسَ في صُبْحٍ تُراقِبُه ... من أن يقومَ من الأجداث إنسانُ
وصِرْتَ أكثرَ ما تهوى المقابرَ لو ... أنّ الفؤاد لما تهواه يقظانُ
خَلِّ العناءَ لأهلٍ ، مثلما تركوا ... لك الهناءَ ، فَلِلأوجال إخوانُ

---

(1) التعطير ، 1/4 . وهي مفقودة من المجمع .
(2) إشارة أخرى الى بيت بشّار : الأذن تعشق قبل العين أحيانا .

وآسْلَمْ بنفسك لا تجعل لها سبباً ... إنّ الهوى هو للإنسان فتّانُ[1]
وسلّم الأمْرَ تسليم الورى لأبي ... راسٍ ودِنْ مثلما دانوا ليردانُ[2]

*

حَبْرٌ تفيض بعِرفانٍ جوانبُه ... إن لم تَقُلْ هو في التحقيق عرفانُ[3]
أنفاسُه بضروب العلم سامحة ... وكلّ غصنٍ له درسٌ وتبيانُ

تراه جامعَ أشتات الفضائل مِنْ ... قوم مَضَوْا ، فكأنّ القوم ما بانوا
إذا تحدّث فآسمع مالكا ، وإذا ... تقفّه آهتزّ بالإعجاب نعمانُ
وما شعَرتَ بغير الأشعريّ إذا ... تكلّمَتْ منه بالتوحيد أركانُ

20 ولا نظرتَ إلى غير الجُنَيْدِ إذا ... أبصرتَه وهو بالشوق ولهانُ[4]
وليس إلا آبنَ بشر حينَ تبصرُه ... وفي كساء الكسائي منه أضغانُ[5]
ما ضرّ ذا الحقد لو كان آمرَءاً خطراً ... أن يقتدي ، وهو بالتّسليم جذلانُ ؟

إنْ خاف بالحقّ نقصاناً يحاذره ... ففي الضّلالة نقصان ونيرانُ
ومن يَكُنْ لم يَرَ اللّه له خطراً ... فهو الذّليل وان حابَتْهُ خلصانُ[6]

25 لا تُصْغ للإفْكِ بالتقليد ، وآرْقَ الى ... عَيْنِ اليقين ، فللتقليد حرمانُ
هذا الإمامُ أبو راسٍ محمّدُ مَنْ ... سارت بتبريزه في الخلق ركبانُ[7]

---

(1) في التعطير : « فهو للانسان » ، ولا حاجة بالرابط .
(2) هكذا في التعطير ، ولم نفهمها .
(3) هنا أيضاً ربط فضولي بالفاء : « فهو في . . . » .
(4) في التعطير : « وله بالشوق » ، وولهان صفة لا مصدر .
(5) المقصود سيبويه ، وهو أبو بشر ، عمرو بن عثمان ، واذا قرأنا أبا بشر كما في التعطير ، آختلّ الوزن . .
(6) في التعطير : « وإن يكن حابته » .
(7) في التعطير : « صارت » .

هــذا الـذي أقلعت أَنْبَــاؤه صَمَمــاً ... وأبصــرَتْ نــورَه الملْتَاحَ عِمْيــانُ

أجلى الجهـالةَ فـآنجـالت غيـاهِبُهـا ... وآشـتـدّ منـه لـديـن اللّه بـنيـانُ

فـكم أفـاد بـتـحـريـر وقـدّر مِـنْ ... قـوْلٍ ، وحـرّر من بحثٍ لـه شـأن

30 وكم أفـاد ، وكم أهوى ، وكم أرِقَتْ ... لــه آبتغـاءَ رضى مــولاه أجفــان[1]

آيـاتـه البيّنـاتُ الغـرُّ قـد نـطَقَت ... بـالفضل إن يُلْتَمَسْ للشمس بـرهـانُ

بهــا الـدّلائــل لا تنفـكّ عــاطـرةً ... من عَـرْفِها الكـوْنُ بـالأعـطار مـلآنُ

تفتـرّ عن بـرق أسـرارٍ وتُسفِـرُ عن ... معنىً لـه من جـلال السحـر سلطانُ

وذي الحواشي التي جيدُ الخَرَاشي بها ... لــه قــلائــد مــرجــانٍ وعقيــانُ[2]

35 تــومي اليــك بجفن العـين أنّ أبــا ... صدرٍ ، وليس لمن ضاهاه وجدان[3]

عذراءُ أحفلُ من عَفْـرا ، وأجملُ من ... لـيلى ومَـي إِمَّــا يــرَيْنَ غـيــلان[4]

لا تــطْمَعَنْ بمعــانيهــا فتفـهمَـهــا ... ما لـم يكن في مَجَالِ العلم ميدان[5]

هي البيــانُ لـذي رشــدٍ ، وتبصرةٌ ... لــذي التبصّـر فيهــا لِلْغِـذا مــانُ[6]

وهي التي إن تكن للفقــه في ظَمَــإٍ ... فــأنتَ من وِردهـا السّلســال ريّــانُ

---

(1) أهوى : لعلّها أهدى .

(2) الخرشي أو الخراشي ، كما في أعلام الزركلي /118 ، وهو أوفق بإسكان ياء النسبة ـ هو شيخ المالكية بمصر محمد بن عبد الله (ت 1102) ، له شرحان على مختصر خليل ولعلّها الحواشي التي يُشيد بها الشيخ هنا . وانظر شجرة النّور ، 317 رقم 1234 .

(3) في التعطير : « بجفـر العين » . وأبو صـدر : لعلّه يتلاعب بـاسمه : أبـوراس . والكلام يبقى نـاقصَ الخبر .

(4) غيلان هو ذو الرمّة صاحب ميّة ، والصواب أن يقرأ منصوبا ، والوزن مختلّ بإمَّا ، ولعلّها : إذا .

(5) في التعطير : ما لمْ تكن .

(6) البيت محرّف في طبعة التعطير ، وقد حاول أحد القرّاء قبلنا أن يصلحه فجاء في الهامش بشيء ، وزدنا على دربه . وكان البيت :

هـي البيـان لـذي رشـد وتـبـصـرة ... إذا الـتـبـصّـر بهـا بـالـعـدا مـانـوا

والمان في قراءتنا مخفّف المأن وهو القوت والمؤونة ولذلك أعجمنا العين والدال من العدا .

40 فإن حَنَنْتَ الى نحوٍ فدونَكَ ما ... به المكوديُّ طالت منه أردانُ[1]

من الحواشي التي ضاءت محاسنُها ... وأشرقت بحواشي الصدغ عريان[2]

تغدو القلوب بأجفانٍ لها مُلِئَتْ ... سحراً ، وهل لك بالسحّار أعوان ؟

لا تحسَبنَّ خِضابَ الجفن غيرَ سوا ... دِ القلب هَبْ أنّ ذاك الجفنَ نَعْسَانُ[3]

ولا تقل حيثما لانت محاورةً ... بهرّة ، فَلِظُعْنِ الحيّ فُرْسَانُ

45 وآسَلَ الهمومَ بشرحَيْهِ اللذَين هُمَا ... شرحُ الصدور ، وللثكلان سُلْوَانُ

كانت عليك عُقاب الجوّ ممتنعا ... فأَصْبَحَتْ ولها طَوْعٌ وإذْعانُ

رَوْضٌ أزاهرُه تُحيي الرُّفَاتَ إذا ... ماجت بأدواحها في الرّوض أفنانُ

ما هي إلاّ جنانُ العلمِ زَخْرَفَهَا ... آدابُ حُسْنٍ لها التحقيق رضوانُ

بها الحريريُّ في ديباج رَوْنَقِها ... على أرائكها الحسناء نشوانُ

50 تثني عليك أبا رأس وتشكُرُ ما ... أَوْلَيْتَه وَلَه بالشّكر إعلانُ

قُلْ للبسيطة تُثني حيث صار لها ... من سُحْبِ فضلِك بالإفضالِ هتّانُ

وما على الغير تُثنِي حيث أنتَ لها ... روحُ الحياة وكلُّ النّاس جثمانُ

لَا خَيْرَ للدّهرِ إلاّ أن تكونَ بِهِ ... يا مَنْ به خُتِمَتْ للعلم خِلّانُ

* * *

131 ـ وقال متوسّلاً بالنبي (ﷺ) وبأهل بيته (رضهم) [وافر][4]:

إلهي قد سألتُك بالنبيّ ... وفرع الطّهر : بالحَسَنِ الوليّ

---

(1) المكودي (ت 807 هو أحد شرّاح الألفية . وطالت : لعلها طابت .

(2) هكذا في التعطير ، ولم نفهم العجز ، ولعلّ عريان تقرأ : عُربان .

(3) هذا البيت صحيح ، والفكرة غامضة .

(4) تعطير النواحي ، 93/1 . وهي مفقودة من المجمع.

بمولانا الحسين ، ومَنْ قدَ أضحى شهيداً من يد الشَّمِرِ الشّقيّ[1]
بزين العابدين وقد تسمّى عليًّا ، وهو ذو القدر العليّ
بمن بقر العلوم وكان فرداً محمّدٍ الذكيّ ابن الذكيّ
بصادقِنا المسمّى في البرايا بجعفرنا أخي السِّرِّ الجليّ
بموسى الكاظم الشّهم الذي قد سما في الخَلْقِ بِٱلْخُلُقِ السّنيّ
بِمَنْ في طوسَ قد أضحى دفيناً أبي الحَسَنِ الملقّبِ بالرّضيّ
بِمَنْ قد فاق في أدبٍ وعلمٍ محمّدٍ الملقّبِ بالتّقيّ
بذاك السيّد الهادي عليّ حميدِ الفعل ذي العِرْض النقيّ
بمولى الفضل ، بالحسَن المسمّى بسلطان الكِرام ، العسكريّ
بخاتم أولياء اللّه جَمْعاً بمهديّ الزّمان الهاشميّ[2]

* * *

132 ـ صحب الشيخ إبراهيم الرّياحي الشيخ الطاهر بن عبد الصادق الى تماسين حيث لقي الحاج علي التّماسيني قطب التجانية ، فخاطبه بقوله [طويل][3] :

إذا ما وضعتَ الأرضَ في فلكِ ٱلْعُلَى ونزّلتَ سكّانَ السما بِحِبَال

---

(1) شمر بن ذي الجوشن العامري الضّبابي : قاتل الحسين بكربلاء . وفي النعطير : «من يد الشرّ» .

(2) عدّد الشيخ أئمة الشيعة الاثني عشريّة ، وهم ، بعد عليّ (رضه) :
الحسن ، الحسين ، علي زين العابدين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، موسى الكاظم ، عليّ الرضا ، محمّد الجواد ، علي الهادي والحسن العسكري . وختم بالمهدي المنتظر ، وهو الذي سيقدم في آخر الزّمان بعد الغيبة الطّويلة ـ دور السِّتْر ـ فيملأ الأرض عدلا .
ولا تخلو هذه القصيدة ـ بل هذا الدّعاء ـ مثل غيرها ممّا مرّ في مديح الشيخ للنبيّ وآله ، من نفحة شيعيّة مستغربة من هذا الفقيه المالكي الكبير ، وهي نفحة تفوق بكثير التعاطف المشروع مع آل البيت ومحبّتهم الموصى بها .

(3) التعطير ، 95/1 ، والحاج على التماسيني من كبار أتباع الشيخ أحمد التجاني وخليفته بعد مماته . توفّي سنة 1844/1260 ، انظر ترجمته في كشف الحجاب ص 126 . والأبيات مفقودة من المجمع .

وسقتَ شمـــال الـدّار نحـــو يمينهـــا وأهـــل يـمينٍ في مكـــان شمـــالِ
وطـوّعتَ من أقـطارهـا كـلّ جـانبٍ وبـيّنتَ منـهـــا مـــا بـــدا بجـمـــال
فـأنت حكيمُ الـوقت صـــاحبُ سـرّه فـــدونـــك أقـفـــال بـلغـز مـقـــال

* * *

133 ـ وقال مخاطباً مولانا سلامة بن محمد السّلطان المخلوع وقد وفد على حمّـودة باشا بتونس [طويل][1]:

ولمـــا نـزلنـــا في ظـلال بيـــوتكم أمِنّا ونلنا الخصب في زمن المَحْلِ
ولـو لم يَـزِدْ إحسـانُكم وجميلُكم على البِرِّ من أهلي حَسِبْتُكمُ أهلي

* * *

134 ـ وأهدى اليه السّلطان المخلوع سلامة بن محمّد خاتما ، فقال [وافر][2]:

نـظرت لخـاتم قـد جـلَّ قـــدراً تحفّ بـه الجلالـة والكرامـة[3]
فـقـلت : شـرفـــتَ وأيَّ فـضـل حـويتَ بلبس مـولانـا سـلامـــة

* * *

---

(1) مجمع ، 16 أ ، التعطير ، 76/1 والإتحاف ، 52/3 . وجاء فيه أن سلطان المغرب مولانا سلامة ابن مولانا محمد بن مولانا عبد الله ابن مولانا اسماعيل الشريف نزل بتونس سنة 1811/1226 وأكرم حمودة باشا وفادته . وقد بويع بالسلطنة بعد وفاة أخيه مولانا اليزيد وخلعه أهل فاس وقدموا للسلطنة أخاه مولانا سليمان ، فخرج إثر خلعه وجاب الآفاق . وتوفّي بحاضرة تونس في منتصف جمادى الثانية من سنة خمسين ومائتين والف (19 اكتوبر 1834) .
وأضاف صاحب الإتحاف : « وكان آية الله في الكرم . زاره شيخنا العلامة أبو إسحاق الرياحي ، ولما أراد الخروج قال له : لا أسرّحك في حرّ الشمس ، وألزمه أن يتغدّى عنده ويقيل ، ولما أراد الرجوع عشية أنشده . . . » .

(2) التعطير ، 77/1 والإتحاف ، 52/3 والمجمع ، 16 أ .

(3) في الإتحاف : « تحقّ له » .

135 ـ في سنة 1822/1238 تولّى بالمغرب السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام بعد [عمّه] مولاي سليمان ، فأرسل له الشيخ قصيدة يهنّئه بالولاية ، ونصّها [كامل][1] :

نصرٌ من الرّحمان جَلَّ لعبده ... أيروم خلقٌ نقضَ مُبْرَمِ عَقْدِه ؟
وَعَدَتْ به الأقدارُ ، وهي نوافذ ... لا تحسبنَّ اللّه مخلفَ وعده
واللّه أَعْلَمُ حيث يجعل نصرَه ... في الشاكرين له سوابغَ رِفدِه
فليبتسم ثغرُ الهنا مُسْتَبْشِراً ... فالوقت ينطق عن سعادة جَدِّه
إن يَمْضِ مولانا سليمانُ الرّضى ... وعليه تبكي الباكياتُ لفقدِه
العلمُ والتّقوى وكلُّ فضيلةٍ ... منشورةٍ طُوِيَتْ به في لحده
فلقد أقام لنا أبازيد هُدىً ... نوراً مبينا يُسْتَضاءُ برشده
لو لم يكن كُفْؤاً لما أوصى به ... وبنوه ترفل في ملابس مجده[2]
سعدت به الأيّامُ ثم أراد أن ... تبقى السّعادةُ للورى من بَعْدِه
أَعْظِمْ به نصراً يدومُ سرورُه ... للخافِقَيْنِ سرى تضوّع رنده[3]
أهدى الى الأعداء أَقْتَلَ غصّةٍ ... والأوليا مُتَنَعِّمون بِشَهْدِه
فآستبشروا باليمن من مرضاته ... وآستمطروا نيل المنى من وِدِّه
ما هو إلاّ ابنُ الرّسول ، وهل فتىً ... في النّاس يعدل عن مكارم جَدِّه ؟
وتناسقت أسْلافُهُ كَرَماً كما ... راق النّواظرَ لؤلؤٌ في عِقْدِه
لا غرو أن جمع المحاسنَ كلَّها ... منهم ، فَإِرْثُ الجمع حُقَّ لفَرْدِه
لا يأفك الخرّاصُ حيث يقول : قد ... ذهب الزّمان بِعَمْرِه وبِزَيْدِه

---

(1) التعطير ، 95/1 والاستقصاء ، 5/9 . والقصيدة مفقودة من المجمع .

(2) في التعطير : « جدّه » . والسلطان الجديد هو ابن أخي السلطان الرّاحل سليمان .

(3) الخافقان : الشرق والغرب . والرّند : شجرة طيّبة الرائحة .

فبسيف « مَا نَنْسَخْ » يقدّ أديمه حتى ولو وفّى العيان بردّه[1]
فلَكَمْ وكَمْ من آخرٍ رَمناً له فضلٌ عظيمٌ لا يُحَاطُ بسرده
يا أهلَ فاسٍ والمغاربِ كلِّها والشّرقِ من مِصْرٍ لغاية حدّه
يهنيكمُ هذا الزّمانُ فإنّ في أيّامه للدّين مَطْلَعَ سَعْدِه
والعلمُ والتّقوى وكلُّ مُعَظَّمٍ عند الشّريعةِ فَهْوَ بَالِغُ قَصْدِه
النّورُ أَوْقَدَ منهمُ ، أَتُرَاهُمُ يَرْضَوْنَ إلاّ باستدامةِ وقدِه ؟
اللّه يبقي نورَه متوقّدا يفنى الزّمانُ ولا فناءَ لِخُلْدِه
ويَخُصُّ مولانا الأميرَ بنعمةٍ لا تنقضي ، وعنايةٍ من عنده
ويُديمُه ظِلاًّ وريفاً ، كلّما حَمِيَ الورى هرعوا لجَنَّةِ بَرْدِه
وحُسَامَ فَتْحٍ كلّما نهضَت به عَزَمَاتُه فالنّصرُ شاحِذُ حَدِّه
وتَمَامَ بدرٍ كلّما آقتعد السّرى لم يَسْرِ إلاّ في منازل سعدِه
وعليه تسليمٌ تَأَرّجَ نَدُّه لكنّه في الفضلِ عادمُ نِدِّه[2]
ثمّ الصّلاةُ على النبيّ وآله والحمدُ في بَدْءِ الكلامِ وعَوْدِه

* * *

136 ـ وسُئِلَ عن استعمال مفردات الكيميا ، فأجاب عنها رضي الله تعالى عنه بقوله [رجز][3] :

أُهدي سلاما للإمام المرتضِي يملأ طيبُه بسيطَ الأرضِ

---

(1) آستشهاد بالآية : ﴿ مَا نَنْسَخْ من آيَةٍ أو نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ (البقرة ، 106) .
(2) النّدّ : عود البخور ، وتكسر فاؤهُ أيضاً . وبذلك تكون المجانسة تامّة .
(3) التعطير 159/1 ، وقد ختم جامعُه الجزءَ الأوّل من كتابه قائلاً : « هذا وقد وجدت بخطّه الكريم كتائب لا تحصى في الطبّ والكيميا والحكمة والعزائم . . . يعسر طبعها إن لم نقل إذاعتها . . .
فكأنّه نزّه روح الشيخ جدّه عن أن تُعْرَفَ عنه هذه التّرهات والأرجوزة . مفقودة من المجمع .

هـذا وقد نـظرت ذاك النّـظمـا فلم يفـد ومـا أردتُ منـظمـا
لـكنّـه جـارٍ عـلى مـألـوفِ مـذهبهم في صنعة التـأليف :
من حـذفهم والعكس للتـرتيب وغيـرِ ذا من معجـز الـلّبيـب
5 أرجـع الى المسألـة المعهـودة مبيّنـا صـورتَهـا المقصـودة
مـوفيـا لِـوَعْـدِيَ الـذي سبَق إنّ الوفاء بالوعد أمر مستحقّ :
فخـذ هديت عبـدك الزّجـراجا وآغسله كيمـا يكتسي ابتهـاجـا
أضف إليـه مثله مـن القـمـر بـرادة يَصِـرْ عجينـا في الأثـر
حينئـذ يسحق طـرطـر وشبّ وآخلطهمـا بـأسـدٍ كمـا يجبْ
10 فَلِتْهمـا بـأبيض البيض فَـقَطْ لَثًّـا خفيفيـاً مثلمـا العلم شَـرَطْ
ثمّ آجعـل العجينـة المعنبـرة في وسط الملتوت وهي كالكرة
يكـون للكـرة مثـل الجبّـة وخلّهـا حتى تكـون صلبـة
حينئـذ يجعـل وسط البـوط محكم الـوصـل بـلا تفـريط
والبـوط في نار الـرّمـاد يجعـل ومن أراد النجـع ليس يعجـل
15 بـعـد ثـلاثـةٍ مـن الأيّـامِ يـخـرجـه مؤمّـل الـمـرامِ
فـإنّـه يلفي اللّبـاس احترقـا والعبـد والبـدر المنيـر آعتنقـا
يلقيـه إن تـمّ على الـنّحـاس بعـد طـهـارة مـن الأدنـاس
تنقلب الـزّهـرة بـدراً كـامـلا ويصبح المرء حكيمـا واصـلا
هـذا ومع ذا البيـان الـواضـحِ لا بـدَّ من عيان عَـوْنٍ نـاصِـحِ

* * *

137 ـ وتلقّى سؤالا من قِبَل الشيخ أحمد ابن بابا الشنجيطي صاحب منية المريد في الطريقة التجانية وقت وفوده الى تونس ، وذلك في شوّال سنة 1260 (اكتوبـر 1844) ، فأجاب بقوله [رجز][1] :

---

(1) التعـطير ، 22/2 وكشف الحجـاب ، ص 142 والأبيات مفقـودة من المجمع . وفحـوى السؤال المنـظوم =

أَحْمَدُ ربّي مُلْهِمَ الرّشادِ مصلّياً على الرّسول الهادي
وآلِهِ وصحبِه وكلِّ مَنْ سلك في اتّباعه هَدْيَ السُّنَنْ
هذا وليس في الذي جرى حَرَجْ ولا النّكاح عن سبيله خَرَجْ
فَلْيَطِبِ الزَّوْجُ بذاك نفسا فهي لعمري لا تزال عِرْسَا
5 هذا جوابي غاية في الاقتصارْ وحيثما أفاد فالتّطويل عارْ
وما به كان افتتاح النَّظْمِ به بحول اللّه حُسْنُ الخَتْمِ

* * *

138 ـ وأضاف الشيخ بيتين الى القصيدة التي مدح بها ولدُه علي الرياحي الأميرَ محَمّد باي الأمحال ، ذكر فيها الملك القائم آنذاك ، « لأن السياسة لا تسمح بمدح وليّ العهد من غير تعرّض للملك » ، وذلك سنة 1849/1265 [كامل][1] :

وبقيتَ محروسَ المعالي وادعاً في ظلّ سلطنةِ المشيرِ الأكملِ
أبقى الإلهُ عليه دَوْلَةَ عِزِّه وأدام عِزَّك في رضاه الأجملِ

* * *

139 ـ وقال ناظما ما ذكره البعض في صفة تخلّق الجنين [طويل][2] :

تَأَمَّلْ صنيعَ اللّه في الخلق تلفَهُ حكيماً يَحَارُ الخلقُ في بعض حِكْمَتِهْ
فقد ذكر الأعلامُ في الحمل حكمةً تدلّ بما تحوي على رفع قُدْرَتِهْ :

= أيضاً : هل يستبقي الزّوج زوجته ، وقد جهلت الجواب عن مسألة من علم الكلام أو أصول الدين ، أم يحلّ العصمة بحكم جهلها ؟

(1) التعطير ، 46/2 . والأمير الممدوح هو وليّ العهد محَمّد بن حسين باي ، والملك الجالس على العرش آنذاك هو المشير الأوّل أحمد باي (1837-1855) . والبيتان لا يوجدان في المجمع .

(2) التعطير ، 106/2 . مجمع ، 46 ب .

فيخلق في شهرٍ فشهران فيهما تحرّكه ، فالوضع فيه لِسِتّةْ
ويخلق في شهر وتتلوه خمسةٌ ففي الضّعف تحريكٌ ووضعٌ لِسَبْعَتِهْ
5 ويخلق في شهر ونصف ، فضعفهما تحرّكه ، فالوضع جاء لِتِسْعَتِهْ
وذا غالب الأحوال فيه ، وإنّهم رَأَوْا في بناء الحكم أقْصَرَ مُدَّتِهْ
إذاً لا يعيش ٱبْنُ الثّماني ، ولا ترى من الجهل ذا خَمْسٍ فتقضي بِصِحَّتِهْ

* * *

140 ـ وقال ناظماً شروط الرّجوع بالنفقة على الصبيّ [رجز][1]:

إن كان للصّغير مالٌ حينَ أَنْ أنفق والإنفاقُ بالعلم قُرِنْ
وقد نوى به الرّجوع وحَلَفْ عليه والإنفاقُ من غير سَرَفْ
وكان مالُ الكفل غير عَيْنٍ فهذه ستٌّ بغير مَيْنٍ
ذكرها العلّامة الملتيطي فَفُزْ بها وٱحْذرْ من التفريطِ
5 ومَنْ على القصدِ بشيء عار فالنصّ بالرّجوع في المعيار[2]

* * *

141 ـ وقال ناظماً الخلاف في محلّ العقل [رجز][3]:

العقلُ في القلب بِقَوْل مالك وَجُلُّ أهلِ الشّرع قال ذلك
ومذهب النّعمان في الرأس كما مشى على ذلك جلّ الحكما

* * *

(1) نفس المرجع .والمجمع، 46 ب.
(2) لعلّه يعني معيار الونشريسي .
(3) الوزن مختلّ .
(4) التعطير ، 107/2 . مجمع ، 46 ب .

2
ملحقات من
مجموع حسن حسني عبد الوهّاب

142 ـ وقال يرثي الشيخ مصطفى الدنقزلي [كامل][1] :

الـمـوتُ رام لـلأنـام بِـنَـبْـلِهِ مُتَخَـطِّفُ كـلّ آمـرىء من أجْلِهِ
لم يبق من أحـد ولا يبقى ولـو بلغ الفتى في الفضـل غـايـةَ نُبْلِهِ
مـا هـو إلاّ مـا يقـدّمـه الفتى من علمٍ أو عمـلٍ يسيـر بِفِـعْلِهِ
مثـل الإمـام العَـالِمِ العَلِم الـذي في عصـره بَخـل الـزّمـانُ بِمِثْلِهِ
5 هو الأفندي مصطفى الدنقزلي مَنْ عَيْنٌ على الأحكام نُسْخَةُ عَـدْلِه[2]
أغنى ببهجته الزّمـان عن الضّحى وبـوابـلٍ مـن علمـه عـن طـلّه
ولَكَمْ أجـاد وجـاد من تقـريـره بـعجـائـبٍ مـن نـقـلِه أو عـقـلِه
وَلَكَمْ بتقـوى اللّه عـاش تمسّكـاً مِـن حسن تـوفيق بـأوثـق حبـلِه

---

(1) مجموع أشعار ابراهيم الرياحي 18548 و25/2ب . انظر أيضاً : محمود إلياس : ابراهيم الرّياحي مفكّراً وأديباً ، تونس 1977 ، ص 202 . وهذه المرثية مفقودة من المجمع .
والشيخ مصطفى الدنقزلي هو عالم وفقيه، أصله من أبناء جند الترك . تولّى التدريس بجامع الزيتونة والإمامة بجامع يوسف داي ، وتقلّد خطة القضاء بالمذهب الحنفي ، ثم صرف عنها واحتفظ بامامة جامع يوسف داي . توفّي سنة 1819/1234 (الإتحاف ، 112/7) .
(2) « الأفندي » : لقب يطلق في تونس على القاضي الحنفي ، للتمييز بينه وبين القاضي المالكي .

ثم آستجـاب لـربّـه متـرجّيـاً منـه الجزيـل من القِرى في نُـزْلِه
10 والـلهُ أَجْـدَرُ أن يبـلّغ آمـنـاً مـن فضـله مـا يـرتجيـه بنُبْلِه
ولـذاك إذْ قَوِيَ الـرّجا أدخلتُ في تاريخه : وسمت سحائب فضله[3]

1234

* * *

143 ـ وقال يرثي الشيخ أحمد الغرياني [بسيط][2] :

يَـزْهُـو ومـا البـدرُ إلاّ من محيّـاه قبـرٌ تجلّى لـه المـولى فحيّـاهُ
فيه النّدى والهدى والخير أجمعُـه والعلم والحلم والتّـوفيق وآلْجَاهُ
أَكْرِم به من ضريحٍ قـد تشرّفَ إذْ زكـا فـأمـطرَه الـرّحمـانُ رحمـاه
ثوى به خيرُ مَنْ حلّ الثّرى كَرَماً فـي دهـره وَوَفَـى لـلّه مسـعـاه
5 ذاك الهُمَـامُ أبو العبّـاس أحمدُ الـ غـريـاني من لم تنـدّ قطّ مزاياه[3]
لقـد تـوارت بـه الآراء وانعكسَتْ وهـاب سَعْيُ الأمـاني من منـايـاه
أمّـا المعالي فقـد دُكّتْ معـالمُهـا وغـاض بَحْرُ الـوفا من كفّ هداه[3]
يـا راحلاً أَظْلَمَتْ دنيـاه من أسفٍ عليـه وآبْتَهَجَتْ بـالأنس أُخْـرَاهُ
مـا العلم بعدك إلاّ زهـرةٌ قُـطِفَتْ وإنّمـا العلم لفظٌ أنت معنـاه[4]
10 كفى بمـوت إمام العصـر موعـظةً وعبـرةً لِمَـنِ آسْتَهْـوَتْـه دُنْيَـاهُ

(1) حساب الجمّل يوافق سنة 1234 .
(2) مجموع أشعار إبراهيم الرياحي و 83/1 أ (محمود إلياس ، 201) . وهي أيضاً مفقودة من المجمع .
(3) الوزن مختلّ .
(4) تضمين لشطر من شعر المتنبّي :
النّـاس مـا لـم يـروك أشـبـاه والـدّهـر لـفظ وأنـت مـعـنـاه

أجلّ من يَنْجَلِي علم الحديث بـه وخيـرُ من يـتّقـي اللّه ويَـخْشَـاهُ
مضى سعيـدَ مناحي رحمـةٍ ورجا وفـي قـرارٍ مكـيـنٍ كـان مـأواه
أَلَمْ تَرَ مَنْ رأى الرّاؤون مِنْ كَـرَمٍ كـلٌّ يعبّـر عن تعـبيـر رُؤْيـاهُ ؟
طابت سريـرتُه شكـراً وقد خُتِمَتْ في الخيـر سيـرتـه فـآختـاره اللّهُ
15 فَقِفْ بـه سائـلاً مَنْ تـرتجيـه تَفُـزْ وجـدّ شكـرا لمـا أولاه مـولاه[1]
[. . .] من ذاك تجلّى سعدُه وبدت تلوح في منـظر التاريـخ بشـراه[2]

1208

* * *

144 ـ وقـال في مسـاجلة مـع الشيخين محمـد الخضّـار ومحمّـد بـن الخـوجـة [طويل][3] :

كمن يـدّعي نبـلا ولا عن فضيلة من العلم وهو الدّهرَ كسلانُ راقدُ[4]

* * *

(1) قراءة عسيرة .
(2) البيت ناقص . وحساب الجمّل يوافق : 1794/1208.
(3) مجموع و 25/1ب ـ إلياس ، 234 . والشيخ محمّد الخضـار عالم وفقيه تولى عـدّة خطط علميّـة منها. التدريس بجامع الزيتونة والقضاء بالمحلّة والفتوى بالحاضرة . وتوفّي سنة 1851 (الإتحاف ، 81/8) . أمّا الشيخ محمد بن حميدة بن الخوجة فقد تولّى التدريس بجامع الزيتونة وتقلّد خطة القضاء بالمذهب الحنفي ثم انتقـل الى خـطة الفتـوى وارتقى الى منصب شيـخ الإسـلام الحنفي وتـوفي سنـة 1862 (الإتحاف ، 129/8) . والبيت مفقود من المجمع .
(4) أشار الجنرال محمّد بن الخوجة في كتابه « تاريخ معالم التوحيد » الى هذه المساجلة قائلاً :
« رأيت بخطّ بعض الأفاضل نقلاً عن كنّش للشيخ محمد بيرم الرابع ومن خطّ يده قوله : تساجل الشيخ محمد الخضّار والشيخ محمد بن الخوجة والشيخ إبراهيم الرياحي في رجب عـام 1255 (غرة رجب 1255 توافق بالحساب الشمسي يوم 28 أغشت الأعجمي سنة 1839) بالمجلس المنعقد بحلق الوادي بما يأتي : =

145 ـ وقال [طويل][1] :

إذا عرضت لي في زمانيَ حاجةٌ ... وقد أشْكَلَتْ فيها عليّ المقاصدُ
وقفتُ بباب اللّه وقفةَ سائلٍ ... وقلتُ : اللّهُمَّ إنّي لك قاصدُ
ولستَ تراني عند بابِ مَنْ ... يقول بقاء سيّد القوم راقدُ

* * *

= قال الشيخ الخضّار :

عجبتُ لمسلوبٍ من الفضل يدّعي ... كمالاً وحظّ النّفس منه التّقاعدُ

وقال الشيخ ابن الخوجة :

ولا ينفع الإنسان دعوى فضيلة ... إذا لم تكن منها عليها شواهدُ

وقال الشيخ الرياحي :

كمن يدّعي نَيْلاً لأعْلَى فضيلةٍ ... من العلم وهو الدّهر كسلان راقدُ »

(تاريخ معالم التوحيد ، الطبعة الثانية ، ص 69 الهامش رقم 1) .

(1) مجموع و 110/1 ، الياس 235 ، والأبيات مختلّة الوزن عسيرة التقويم . وهي مفقودة من المجمع .

3

ملحق من كنّش ابن صالح[1]

146 ـ هذه قصيدة سيدي إبراهيم الرياحي نفعنا الله به [طويل] :

تـذكّـرت أيّـامَ الـوِصـال بقـربكم ... فهيّجني ، والقـلبُ فيـه لـهيـبُ
وواصله ما كان الفـراق بخاطـري ... ولكنّ تَصْـريفَ الـزّمـان عجيبُ
ففـارقتكم بـالـرّغم منّي أحِبَّتي ... فـلا تهجروني قـد أمـوت غـريبُ
جـرى قلَمُ البـاري عليّ ببعـدكم ... وعـاد سِهـامُ البَيْنِ منّي يُـصِيـبُ
5 وأجْرَيْتُ دمعي فوق خدّي لأجلكم ... بِمُصَـوَّحِ الأجفـان وعـاد صبيب
سـلامي على أيّـامكم مـا ألـذّهـا ... وأطْيَبَهـا بـالقـرب فيهـا حبيبُ
ليـاليَ بـالـوصـال شهـدتُهـا ... بـلذّةِ عَيْشٍ والـلّذاذ يـطيـب
جنتني اللّيـالي بَعْـدَ طِيبِ وِدَادِهـا ... بِنَـأْيٍ ، كذا دأبُ الـزّمان يَـريبُ
ألاَ لِـزمـانٍ لـو يعـود كمـا مَضَى ... ويَلْتَمُّ شمـلٌ بـالحبيـب قـريبُ
10 لكنتُ أصوم الشّهرَ والـدّهرَ دائمـا ... فيـا رَبِّ هل يَلْقَى الحبيبَ حبيبُ
خيالُك في جفني وذكرُك في فمي ، ... وحُبُّـكَ في قلبي ، فليس يَغِـيبُ
وأستنشق الأرياح من نحو أرضكم ... كـأنّـي عليـلٌ والـنّسـيم طـبيـبُ

---

(1) يحتوي هذا الكنّش (المكتبة الوطنية بتونس رقم 274) على أرجوزة حول حساب الجمّل من نظم الشيخ أحمـد بن صالـح ، مؤرخة في 1248 ، وعلى قصيـدة للشيخ إبـراهيم الريـاحي موجّهـة الى صاحب الأرجوزة ، وهذه القصيدة مختلّة الوزن في كثير من أبياتها غامضة المعنى ، ظاهرة التحريف ، فيصعب تقويمها ما دمنا لا نملك من نسَخها غيرَ هذا الكنّش . وهي مفقودة أيضاً من المجمع .

فـإن كانت الأجسـادُ عنّـا تبعّـدت فـإنّ أحْمَـد في القلوب قـريبُ

وإن كـانت الأعـوادُ فينـا تكلّمت على كـلّ كلمٍ شـاهـدٌ ورقيبُ

15 ولي أسفٌ منّي على العمر ينقضي وليس لنـا في الاجتمـاع نصيبُ

يقولون : مسكين يتوب عن الصّبا ولا جَـنَـى ذَنْـبـاً فـليس يـتـوبُ

فان كان لي ذنـبٌ سوى أنْ أحبّكم فهـذا إلى ذنبي ليس عنـه أتـوبُ

سـلامٌ وتـسـليـمٌ وألـفُ تـحـيّـةٍ عليكم وإنّي عـاشقٌ لكمُ وكئيـبُ

* * *

4
ملحقات من مجمع الدواوين التونسيّة

ظفرنا أخيراً ـ والديوان تحت الطبع ـ بمخطوط مجمع الدواوين التونسيّة لمحمد السنوسيّ وهو يتضمّن سبع مقطوعات وقصائد لم يذكرها الديوان ولا تعطير النواحي ولا كنّش ح.ح. عبد الوهاب فأردفناها هنا على ترتيب أبجدي ورقّمناها تباعاً انطلاقاً من آخر رقم في الملحقات .

*

147 ـ وقال أيضاً مؤرّخاً وفاة الشيخ محمد بن محمود حيث توفّي إثر قدومه من الحجّ بيومين ، وهو مقيم بحلق الوادي مطعونا[1] [كامل] :

[41 أ] لا تبغ فيما للبقاء تسبّبا ... دار أخفّ من الجفون تقلّبا
يا مُخلِداً لغرورها ، أينَ الأُلى ... كانوا أشدَّ قُوىً وأعظمَ منصبا ؟
ذهبوا فلا أثرٌ سوى حسن الثنا ... أو ما له اتّخَذَ المدفَّقُ مَذهَبا
مثلَ ابن محمودٍ محمَّدٍ الذي ... ترك الثناءَ طرازَ حُسنٍ مُذهبا
5 يا كَمْ تَروَّى من كُؤُوسِ تِلاوةٍ ... بمُدامةٍ أحلى وأطيبَ مَشْربا
ولكَم سحابُ الذكرِ أمطَرَ قلبَه ... ماءً يصيرُ به البعيدُ مُقَرَّبا
ولطالما صدع القلوبَ بخُطبةٍ ... لم تبد من سنن التصنّع مأرَبا
وغدا وراح بسيرةٍ محمودةٍ ... عبَقت بعنبر نشرها ريح الصّبا
ثمّ آستطار فؤادُه شوقاً إلى ... نيل المنى يُمنا فأحرز مطلبا[2]

---

(1) مطعون ، أي مصاب بالطاعون . وانظر الإتحاف 113/7 ، ولم يذكر ظروف الوفاة .

(2) قراءة هذا البيت ظنيّة .

10وسعى إلى الكرم الذي يَنْبُوعُه ... في طيبةٍ بيدِ الرسول المجتبى[1]
فقضى بها وطَراً ، وعند قدومه ... قالت شهادتُه له : يا مرحبا
من حجّةٍ لشهادةٍ فانظر له ... ماذا حباه إلاهه ، مُتعجّبا
ولحسن عُقبى أمره قد قلت في ... تاريخه : يا نعم خَتماً طَيِّبَا[2]

1234

* * *

148 ـ وقال أيضاً (رضه) ممنّناً الأمير حمّودة باشا ببناء جامع الحلفاوين وبالحضور فيه لصلاة الجمعة [طويل] :

[19أ] هنيئاً بإدراك المنى والرغائب ... ونَيْل الذي أمّلتَه من مَطالبِ
بإتمام هذا الجامع المفرَد الذي ... يُرى كسماءٍ زُيّنَت بالكواكِب
تتبّعتَ أنواع المحاسن كلَّها ... فأفرغَها التدبيرُ في خير قالِبِ
فجاء على ما قدَّرَ الفكرُ ، هيكلا ... عظيما يُرى أعجوبةَ العَجائبِ
5 فأصبحت الخضراءُ تزهو ، وأصبَحَتْ ... تفاخِرُ أرضَ الشرق أرضُ المغاربِ
فقير بشكر الله نعمتَه التي ... تفاصيلها لا تستطاع لحاسبِ[3]
مليكٌ له الأملاكُ أضحَت حواسداً ... على ما حواه من عظيم المناقِب
فلا زال في حصنٍ منيع وعزّةٍ ... عليك رِواقاً من جميع الجوانب
بحرمة خير المرسَلينَ محمّدٍ ... شفيع الورى المرجو لحسن العواقب
10عليه صلاة الله ما لاح بارقٌ ... وقهقه رعدٌ من بكاءِ السحائب

* * *

149 ـ وقال أيضاً يدعو للأمير حسين باشا باي [طويل] :

[21أ] إلاهي ، أدِمْ في الملك شمسَ وجوده ... كما هطلَت فينا سحائبُ جودِه

---

(1) طيبة هي المدينة المنوّرة .

(2) حساب الجمّل : يا = 11 ، نعم = 160 ، ختما = 1041 ، طيّبا = 22 . المجموع : 1234.

(3) الكلمة الأولى عسيرة القراءة ..

وسدّده يا مولايَ في كلّ مقصد ... وأنعم علينا ربَّنَا بخلودِه
منَنْتَ على الإسلام منه بغُرّةٍ ... تبسّم منها فيها سعدُ سعوده
ووفّقتَه للصالحاتِ ، فلم يزَلْ ... وكلُّ الهدى والفضلِ حَشْوُ بُروده
فسار كما غصَّت به نفسُ حاسدٍ ... وقرّت بذاك السيرِ عينُ صموده[1]
فزِده إلاهي بسطةً ومكانةً ... وهيّءْ له في النصرِ نشرَ بُنُوده
أمين بلا حدٍّ ، فإنَّ صلاحَهُ ... يعقم من الإسلام كلّ جنوده

* * *

150 ـ وقال أيضاً في تمثال نعال المصطفى (ﷺ) [كامل] :

[23 ب] تمثال لنعال سيّد الإرسالْ ... ما زال يمنح كلَّ مَن قد سالْ[2]
يا صاحب[ي] ذا نوالُه قد سالْ ... فأشرَب ذُلالا صافياً سلسالْ

* * *

151 ـ وقال أيضاً مؤرّخاً وفاة قاضي الفريضة الشيخ عثمان الرصاع [رجز] :

[40 أ] عزّ البقا لله جلّْ ... والغَيرُ لا يعدو الأجَلْ
حكمٌ جرى بين الورى ... ذي العزّ منح والأذلّْ
لا فرقَ إلاّ بالتُّقَى ... علمٍ سَنيٍّ مَعْ عملْ[3]
مثل الإمام المرتضى ... الرصّاع ذي القدرِ الأجلّْ
أنجاله جاؤوا على ... نهج سويّ معتدِل
حتّى أتى عثمان في ... زيّ جميل قد حفل
ثمّ انقضى والحمد في ... آثاره نسج الحلل

---

(1) صموده : قراءة ظنيّة .
(2) الشطر الأوّل غير موزون .
(3) سنيّ : قراءة افتراضيّة .

وظنُّه الجميلُ في نَيل الأماني قد كَمُلْ
لذاك قد أرّختُه : عُثمانُ سُرَّ بأَمَلْ[1]

1234

* * *

152 ـ وقال أيضاً مؤرّخاً وفاةَ التاجر الشريف محمود النقّاش[2] [كامل] :

[40ب] كلُّ امرىءٍ مُتخَطَّفٌ من أهله حكمٌ جرى كلُّ الورى في عَدلِهِ
لا فرقَ بين شريفهم ووضيعهم إلاَّ بذُخرٍ صالح من فعلِه
مثل الذي سكن الضريحَ مُنعَّماً محمودِ النقَّاشِ طيّبِ أصلِه
قد كان في محياه فرداً جامعاً لفضائل لم نلقَها في مثله
عفَّا نزيهاً خائفاً متواضعاً يسقيك شهداً من حلاوة قوله
متسارعاً للقول ما يُدعى له إلاَّ أجاب بخيلِه أو رَجلِه
ما هو إلاَّ زينةٌ في عصره ما العصر إلا بهجةٌ من أجلِه
يمنيه ما قد حاز من نسبٍ، ومِنْ فعلٍ يؤنّس في القبول بوصله
ثم استجاب ملبّياً داعي الرضى متوقّعاً نيل الرضى في نقله

فإذا وقفتَ بقبره فآسأل له من رحمةِ الرحمان فائضَ وبلِه
وآسمح بتأمينٍ على ما قلت في تاريخه : سحّت سحائب فضلِه[3]

1234

* * *

(1) في الإتحاف 110/7 : مات في صفر ـ وحساب الجمل يفضي إلى سنة 1234 (عثمان : 661 ـ سر = 500 ـ بأمل = 73) .

(2) هذا التاجر غير مذكور في الإتحاف .

(3) في الإتحاف 113/7 = مات في ذي الحجّة سبتمبر 1819 . وحساب الجمّل يفضي الى سنة 1234/ (سحّت : 708 ـ سحائب : 321 ـ فضله :205) .

153 ـ وقال أيضاً مؤرّخاً وفاة سليم خوجة [كامل] :

[40 ب] روض يفوح شذى الرضى من ظِلّه بشرى سليم يومَ مات بوصله
ذاك الفريدُ بحسنِه بين الورى هيهات لا يأتي الزمانُ بمثله
الله أزلفَ قُربَه ، وعليه في تاريخه : سحّت سحائب فضله

1234

* * *

الفهارس

1 ـ فهرس الأبيات 199
2 ـ فهرس عناوين الكتب 205
3 ـ فهرس الأماكن والبلدان 207
4 ـ فهرس الأعلام 210
5 ـ فهرس المصادر والمراجع 215
6 فهرس المحتوى 217

1 - فهرس الأبيات[1]

الرقم	المطلع	القافية	عدد الابيات	البحر	الصفحة
		الهمزة			
1	ويشفي شفاء ثم فيه شفاء	وشفاءُ	2	طويل	21
2	يا إلاهي وأنت نعم اللّجاء	الشفاءُ	35	خفيف	22
		الباء			
3	الحمد لله وهو حسبي	الحسيبُ	16	مخلّع	25
4	ذا مورد جاد به	ربّه	7	رجز	26
5	والورق مفتّنة الألحان راقصة	الشنبِ	3	بسيط	27
6	جاء الكتاب من الحبيب مبشّرا	يا مرحبا	4	كامل	27
7	يا مَنْ إذا عضّ الزّمان بنابه	أعتابِه	8	كامل	28
8	قدّم لأهوال المآب متابا	صوابا	12	كامل	28
126	أخو الزوجة الغرّا الذي مات جدّه	عنه أبْ	4	طويل	167
146	تذكّرت أيّام الوصال بقربكم	لهيبُ	18	طويل	190
147	لا تبغ فيها للبقاء . . .	تقلّبا	13	كامل	192
148	هنيئاً بإدراك المنى	مطالب	10	طويل	193
		التّاء			
9	يا روضة الرضوان والنفحات	والحرماتِ	10	كامل	30
10	جاء الشيوخ مجلّيا ومصلّيا	الإثباتِ	2	كامل	31
11	شرف الورى يا دهر كيف هدَمتَه	فردمتَه	20	كامل	31
12	الموت كم فجع الورى وثباته	سطواته	12	كامل	33
139	تأمّل صنيع الله في الخلق تلفه	حكمته	7	طويل	184
		الجيم			
13	قد أنعم السيّد القرشي بزورته	آبْتَهِجِ	2	بسيط	34

(1) القصائد المسبوقة بنجمة * هي التي انفرد بها الديوان .

الرقم	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر	الصفحة
14	قَسَماً بمكة والمشاعر كلّها	ابن سراجِ	1	كامل	34
15	* بُلينا بقوم خالفوا أوضح الحجج	الى عَرَجْ	5	طويل	34
		الحاء			
16	* بقلبي على زيّ الصليب قروح	تلوحُ	3	طويل	36
17	يا راكب الأخطار يبغي العلا	الواضِح	5	سريع	36
		الدّال			
18	آرحم حنيني يا رحمان سائله	بلا عددِ	4	بسيط	37
19	على باب خير الخلق أوقفني قصدي	الرّفدِ	18	طويل	37
20	اليك رسولَ الله جئت من البعد	الوقدِ	14	طويل	39
21	العزّ بالله للسلطان محمود	فمحمودِ	21	بسيط	40
22	بلد الخلافة في الجمال فريد	بعيدُ	2	كامل	41
23	* لباس هنا الدنيا عليك جديد	عيدُ	21	طويل	41
24	ذكر جميل يوسف قد جدّده	مخلّده	17	كامل	42
25	هذا سبيل حسنه يزداد	زادُ	15	كامل	44
26	حلول السعد في برج السعادة	للسيادة	11	وافر	45
27	* أحطت بما بعثت إليّ خبرا	كالقلادة	3	وافر	45
28	الذّ سرور المرء ما لم يكن وعدا	سُعْدَى	21	وافر	46
29	* لا بدّ من سكنى القبور فريدا	مديدا	10	كامل	47
30	حمدت إلهي وهو مستوجب الحمد	والعدِّ	10	طويل	48
31	* تلقّيت من أخباركم كلّ طرفة	عِقدا	6	طويل	49
32	زارت على خفر وحسن تردّد	واليدِ	7	كامل	50
33	انظر له نورا بدا مشهودا	مسعودا	10	كامل	50
34	هذا ضريح يا له من مشهد	محمّد	20	كامل	51
35	* أكرم بها من روضة لرقاد	الأجوادِ	11	كامل	52
36	حكم المنيّة ليس بالمردود	ولا مولود	11	كامل	53
127	ألا قل لسكّان وادي العقيق	الخلودُ	2	متقارب	168
135	نصر من الرحمان جلّ لعبده	عقده	29	كامل	181
144	كمن يدعي نبلا ولا عن فضيلة	راقدُ	1	طويل	188
145	إذا عرضت لي في زماني حاجة	المقاصد	3	طويل	189
149	إلاهي ، أدم في الملك . . .	جودِه	7	طويل	193

الرقم	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر	الصفحة
		الـرّاء			
37	لقد كنت قدما قبل أن يكشف الغطا	شاكرُ	2	طويل	55
38	إن عزّ من خير الأنام مزار	استبشار	59	كامل	55
39	* أهنّي بهذا الجامع الشامخ القدر	الأمرِ	11	طويل	59
40	* حقيق بأن أسْمو على منكب الشعرى	الغرّا	2	طويل	59
41	* ماذا أسرّ من السرور مبشري	والمشتري	6	كامل	60
42	أهل الحديث طويلة أعمارُهم	منضّرة	2	كامل	60
43	يا عارفا منه فاح عرف	عَاطِرْ	3	مخلّع	61
44	على قدر وافتك عالية القدر	البدري	29	طويل	61
45	روحي فداك من الملمّ المعتري	المشتري	20	كامل	63
46	* أحاديث السّرور لها انتشار	ساروا	15	وافر	64
47	حلّيت جيدا عاطلا عن درّه	قدرِه	7	كامل	65
48	* لطلّاب ما تهوى النفوس مذاهب	الصبرِ	2	طويل	66
49	* قد نال ذلك أقوام مجلمدة	قطميرِ	2	بسيط	66
50	وإني وان رام العداة مهانتي	ينيرُ	2	طويل	66
51	هذا مآل الحيّ من كلّ الورى	ترَى	5	كامل	67
52	كأس الحمام المرّ دائر	المرائرْ	22	كامل	67
53	عش ما تشاء لذاذة وحبورا	قبورا	14	كامل	68
		الـزّاي			
54	كبرت عليهم إنها لكبيرة	التمييز	7	كامل	70
55	* غزال خدّه غنّى حسينا	بالحجاز	3	وافر	71
		السيـن			
109	كفاني من زماني ما أقاسي	راسي	27	وافر	147
110	صاح اركب العزم لا تخلد الى الياس	فاسِ	30	بسيط	149
111	* يا مفردا في الظرف والإيناس	بالمتناسي	6	كامل	150
123	* لتحقيق برهان الوجود مطالب	لبسِه	5	طويل	166
		الصـاد			
96	من يكن في ضنى ورام خلاصه	قِلاصَه	18	خفيف	125
		العيـن			
97	وعدت الذي يدعو وها أنا سيّدي	سميعُ	16	طويل	127
98	لساعد هذا الدهر انت أصابع	وطابعُ	21	طويل	128
99	كأنك تهوى أن عذلك ينفع	مسمعِ	25	طويل	129

الرقم	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر	الصفحة
100	* لما راتقى أرّخته	الجمعة	1	كامل	131
121	وأيّ صلاة للإمام فسادها	تابعُ	10	طويل	165
		الفاء			
101	بشرى الورى بالأمن بعد مخاف	الأعراف	54	كامل	132
102	ركبت متون اللجّ وهي لها رجف	عصفُ	33	طويل	136
103	حمداً لمكرمنا بأيّ عوارف	آنفِ	19	كامل	138
104	جميل ظنوني نحو عفوك ساقني	واجفُ	7	طويل	139
105	زمن السرور بما يسرّك مسعف	متحفُ	27	كامل	140
		القاف			
106	أعيذها هيفا بربّ الفلق	ورونق	26	رجز	142
107	شموس الهدى والحمد لله شارقه	بارقة	15	طويل	145
108	جزاك إلـه العرش كلّ فضيلة	والرّزقِ	1	طويل	146
124	إذا بعت مطعوما بمطعوم آخر	مطلقا	5	طويل	166
		الكاف			
56	جبرت بإحسان لمذهب مالك	مالكِ	10	طويل	72
57	سلام طيّب كالمسك صائكْ	هنالكْ	8	وافر	73
58	هل الحيّ إلاّ هالك وابن هالك	مشارِك	13	طويل	73
125	أخا الفقه هل تهدي إلى الرشد سائلا	المسالكِ	3	طويل	167
		اللاّم			
59	حمدا لربّي قبل ما أسأل	أسفلُ	18	سريع	75
60	عليك أزكى سلام يا ضياء المقل (مسك الصلاة وأعطار السلام تلي)	الأملِ	39	بسيط	76
61	يا مثال النعال تفديك نفسي	مثالِ	23	خفيف	78
62	هذا المنى فانعم بطيب وصال	مطالِ	60	كامل	80
63	* السعد تخبرنا شواهد حاله	جمالِه	43	كامل	84
64	الصدر الأعظم مقصد المتوسّل	المنزلِ	10	كامل	86
65	* أيا عين آداب بها الظرف سائل	سائل	6	طويل	87
66	يا من بتوزر ضاق واسع صدره	الحال	16	كامل	88
67	* نفوس البرايا للمنايا مناهل	مراحلُ	10	طويل	89
68	إلى متى اللّهو والأحباب قد رحلوا	يشتغلُ	18	بسيط	90
69	أيلتذّ بالدنيا منعم بال	نبالِ	20	طويل	91

الرقم	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر	الصفحة
116	يا سالكا في الأرض سبلا	نَبلا	13	كامل	156
117	سكنت فسيحا من الجنان ظليلا	تذليلا	12	كامل	157
129	الختم أدرك أن قدرك جلّ أن . . .	أسفلا	3	كامل	171
132	إذا ما وضعت الأرض في فلك العلى	بحبال	4	طويل	179
133	ولما نزلنا في ظلال بيوتكم	المَحْلِ	2	طويل	180
138	وبقيت محروس المعالي وادعا	الأكمل	2	كامل	184
142	الموت رام للأنام بنبله	أجلِه	11	كامل	186
150	تمثال لنعال سيّد	سالْ	2	كامل	194
151	عزّ البقا لله جلّ	الأجلْ	9	رجز	194
152	كل أمرىء متخلف من	عدله	11	كامل	195
153	روض يفوح شذى . . .	بوصله	3	كامل	196
		الميـم			
70	قلبي على هجر من أهواه في ألم	عَلَمِ	11	بسيط	93
71	أترى ممرضي درى بسقامي	مرامي	33	خفيف	94
72	يهنيك ياذا الطرس كفّ محمّد	أقدامه	8	كامل	96
73	كرم الزمان ولم يكن بكريم	نديمي	36	كامل	97
74	دلائل فضل الله فينا تترجم	نُوَّمُ	8	طويل	99
75	حكم المنيّة نافذ الأحكام	مُقامِ	20	كامل	100
76	سبيل ثنى صاحب الطابع الـ . .	انتظامَه	7	متقارب	101
77	لله قد وجب الدّوام	للحمامْ	26	كامل	102
78	* خليلي هل لهجرك من ختام	المنامِ	23	وافر	104
79	أيا من سبى الألباب لطف كلامِهِ	مقدّمُ	7	طويل	106
80	* أمحمّد قد حزت كلّ فضيلة	المعلوم	3	كامل	106
81	حمداً لمن جعل الإجازة سلّما	سمَا	12	كامل	106
82	زمن التقى أغرب ما عليك ملام	وغرامُ	29	كامل	107
83	ما بين ناظر مقلتي وجفونها	منامي	2	كامل	109
84	حمداً لمن يجزيل فضل أنعما	قد علّما	10	كامل	109
85	قليل فيك يا عبد الرّحيم	نظيمِ	5	وافر	110
86	يا جميل الوجه ، والحسن به	أتمْ	3	رمل	110
87	كم رحيق معطّر مختوم	والمفهومِ	16	خفيف	111
88	* قاضي المنيّة نافذ الأحكام	الحكّامِ	9	كامل	112

الرقم	المطلع	القافية	عدد الأبيات	البحر	الصفحة
89	كل الورى هدف لسهم حمام	الحكّام	14	كامل	113
122	إذا صائم يعروه فطر وقد أتى	يومِه	5	طويل	166
134	نظرت لخاتم قد جلّ قدرا	الكرامة	2	وافر	180
		النون			
90	آنظر له تمّت مغاني حسنه	عَدْنِه	25	كامل	115
91	زمن بكل مسرّة وافاني	زمانِ	85	كامل	117
92	كحّل بإثمد هذا الروض أجفانا	ألوانا	13	بسيط	122
93	* كتاب كريم مشرق لمعاني	بيانِ	9	طويل	123
94	* الموت ليس بطالب متوان	اليقظان	9	كامل	123
95	كل امرىء ساعٍ اليه منونه	يمينُه	9	كامل	124
128	عجبت وهل ذا الدّهر إلا عجائب	بيانِ	9	طويل	169
130	يا هل درى جيرة بالسفح قطان	ولهان	53	بسيط	175
		الهاء			
112	* أتيتك راجلا وودت أنّي	أمتطيهِ	2	وافر	152
113	* ما مات من يبقى الثنا ذكراه	معناه	11	كامل	152
114	* كلّ الى بطن الثرى رجعاه	يُمناه	2	كامل	153
143	يزهو وما البدر إلا من محيّاه	فحيّاه	16	بسيط	187
		الواو			
115	* هلمّوا بني أمّي الى جنّة المأوى	والسلوى	14	طويل	154
		الياء			
118	حيّهم إن جئتهم يا سعد حيّ	حيّ	21	رمل	158
119	حبّكم قد شدني من عضدي	يديّ	16	رمل	159
131	إلا هي قد سألتك بالنبيّ	الوليّ	11	وافر	178
		أرجوزة			
120	يا من يجيب دعوة المضطرّ	باليسر	53	رجز	
136	أهدي سلامي للامام المرتضِي	الأرضِ	19	رجز	182
137	أحمد ربّي ملهم الرشاد	الهادي	6	رجز	184
140	إن كان للصغير مال حين أنْ . . .	قُرنْ	5	رجز	185
141	العقل في القلب بقول مالك	ذلك	2	رجز	185

2 - فهرس عناوين الكتب

- أ -

إتحاف أهل الزمان (ابن أبي الضياف) ، في مواضع مختلفة .

الأجرومية ، 10 .

إحياء علوم الدين (الغزالي) ، 32 .

الأدب التونسي في العهد الحسيني (السهادي الغزّي) 16، 88 .

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، 37 .

الاستقصاء (الناصر السلاوي) ، 13، 55، 134، 181 .

الأعلام (الزركلي) ، في مواضع مختلفة .

الألسفيّة (ابن مالك) ، 65 .

الإنجيل ، 94 .

- ب -

البلاغة الواضحة (علي الجارم) ، 66 .

- ت -

تاريخ معالم التوحيد (محمّد بن الخوجة) ، 42، 103، 189 .

تراجم المؤلفين التونسيين (محمد محفوظ) ، 88 .

تعطير النواحي (عمر الرياحي) ، في مواقع مختلفة .

تفسير البيضاوي ، 9 .

التلخيص (القزويني) ، 31 .

التوراة ، 94 .

- ج -

الجامع الصغير (السيوطي) ، 23 .

جامع الكرامات (النبهاني) ، 115 .

جريدة الحاضرة (التونسية) ، 14 .

الجواهر الخمس (العطار) ، 61 .

جواهر المعاني (علي حرازم) ، 97 .

- خ -

الخريدة (الأصفهاني) ، 141 .

- د -

دائرة المعارف الإسلاميّة ، 138 .

دلائل الخيرات ، 106 .

ديوان إبراهيم الرياحي ، 10، 21 .

ديوان القرشي السلاوي ، 122 .

- ر -

رسالة رجوع الموصي عن وصيّته (محمد بيرم الثاني) ، 129 .

رسالة في الردّ على الوهابي (محمد الكوّاش) ، 145 .
رسالة قطع اللجاج (إبراهيم الرياحي) ، 10، 146 .

- ش -

شجرة النور الزكيّة (مخلوف) 38، 94، 177 .
شرح الخزرجية (إبراهيم الرياحي) ، 10 .
شرح القسطلاني لصحيح البخاري ، 9 .
شرح المكودي على الألفية ، 65 .
الشفاء (القاضي عياض) ، 162 .

- ص -

صحيح البخاري ، 9 .
صحيح مسلم ، 162 .

- ط -

الطّبري ، 138 .

- ع -

عنوان الأريب (محمد النيفر) ، 93، 140 .

- ف -

فتح المتعال في فضل النعال (المقري)78 .

- ق -

قاموس كازميرسكي ، 140 .

- ك -

الكشّاف (الزمخشري) 31، 68 .
كشف الحجاب (أحمد سكيرج) ، في مواضع مختلفة .
كنّش الطواحني ، في مواضع مختلفة .

- م -

مبرد الصّوارم (إبراهيم الرياحي) ، 10 .
مجلّة الثريّا (التونسية) ، 88 .
مجمع الدواوين (محمد السنوسي) ، 10، 14 .
مجموع ح.ح. عبد الوهاب ، في مواضع مختلفة .
مجيب الندى لشرح قطر الندي (الفاكهي) ، 10
محمد السنوسي : حياته وآثاره (الصادق بسيّس) ، 14 .
مختصر خليل ، 9، 177 .
مختصر السعد ، 49 .
مسامرات الظريف (محمد السنوسي) ، في مواضع مختلفة .
مسند أحمد ، 37 .
المعيار (الونشريسي) ، 185 .
المنهل الأصفى (مصطفى البكري) ، 10 .
منية المريد (أحمد بابا الشنجيطي) ، 183 .
الموطأ (الإمام مالك) ، 163 .

- ن -

النرجسيّة العنبريّة (إبراهيم الرياحي) ، 127 .
نفح الطيب (المقري) ، 78، 110 .

3 - فهرس الأماكن والبلدان

- أ -

إسلامبول (اسطنبول ـ الأستانة) ، 7، 39، 41، 61، 86، 136، 137، 139.

أمّ عساكر (معسكر) 175.

- ب -

باب سيدي عبد السلام ، 101.

باب علاوة ، 43.

بابل ، 50.

باجة ، 112، 125.

باردو ، 68.

بدر ، 134.

برج باب خالد ، 100.

برج باب الخضراء ، 100.

برج باب سعدون ، 100.

برج سيدي يحيى ، 100.

برج صاحب الطابع ، 100.

بغداد ، 94.

بير الجديد ، 26.

- ت -

ترشيش ، 87، 119.

تركيا ، 7.

تستور ، 5، 50، 125.

تماسين ، 7، 8، 168، 179.

توزر ، 88، 123.

تونس ، في مواضع مختلفة .

- ج -

جامع الأزهر ، 7.

جامع الزيتونة (بتونس) ، في مواضع مختلفة .

جامع صاحب الطّابع ، 42، 59، 103.

جامع القصر ، 113.

جامع يوسف داي ، 113، 186.

جبل التوبة ، 115.

جبل المنار ، 26.

الجزائر ، 7، 175.

- ح -

الحجاز ، 142، 158، 168.

الحرمان الشريفان ، 7، 81.

الحلفاوين ، 8، 59، 103.

حلق الوادي ، 188.

حوانيت عاشور ، 8.

- د -

دار الباشا ، 72.

- ر -

الرّباط ، 13 .
الرّوضة النبويّة ، 30، 142 .
(عمل) رياح ، 5 .

- ز -

زاوية سيدي إبراهيم الرياحي ، 8، 10، 11
زاوية سيدي البشير ، 51 .
زاوية سيدي علي عزّوز ، 8 .
زغوان ، 8 ، 125 .

- س -

سلا ، 13، 27، 63، 64 .
سليمان ، 49 . .
السّودان ، 117 .
سيدي بوسعيد ، 26 .

- ش -

الشّام ، 94، 110 .

- ص -

الصحراء ، 168 .
صحراء عيذاب ، 115 .
الصفا ، 81 .

- ط -

طرابلس ، 5 .
طوس ، 179 .
طيبة ، 192 .

- ع -

عدن ، 107، 115 .
العراق ، 94 .
العروسة ، 5 .

- غ -

غرناطة ، 110 .

- ف -

فاس ، 6، 27، 32، 55، 80، 82، 94، 149، 168، 180، 182 .

- ق -

القاهرة ، 7 .
القيروان ، 140، 168 .

- ك -

الكاف ، 145 .
كربلاء ، 179 .
كلية الآداب (بتونس) 14 .

- م -

مجاز الباب ، 5، 106، 125 .
مدرسة بير الحجار ، 5 .
مدرسة حوانيت عاشور ، 5 .
المدرسة السليمانية ، 67 .
المدينة المنوّرة ، 51، 152 .
مرّاكش ، 82 .
المرسى ، 25 .
المروة ، 81 .
مصر ، 94، 158، 177، 182 .
المغارة الشاذليّة ، 115 .
المغرب ، 6، 7، 8، 13، 34، 63، 83، 94، 110، 117، 125 .

المغرب الأوسط ، 175 .
مقبرة الزلّاج ، 52، 115 .
المكتبة الأحمديّة ، 86 .
المكتبة الملكيّة بالرباط ، 13 .
المكتبة (دار الكتب) الوطنيّة بتونس ، 13، 14 .
مكّة المكرّمة ، 51 .
المنستير ، 113 .
مسيّة ، 177 .

- ن -

نجسد ، 145 .
نهج الباشا (بتونس) ، 5 .
نهج سيدي إبراهيم (بتونس) ، 8 .

- و -

ورغمّة ، 70 .
وادي الزرقاء ، 125 .
وادي العقيق ، 168 .

4 - فهرس الأعلام

- أ -

آدم ، 25، 40.
آصف ، 17، 138.
آمنة (ابنة علي باي) ، 157.
إبراهيم الخليل ، 162.
(مولاي) إبراهيم بن سليمان ، 80.
إبراهيم بوعلاّق ، 88، 123.
إبراهيم الرياحي ، في مواضع مختلفة.
إبراهيم الشريف ، 125.
إبراهيم المحمودي ، 5.
إبراهيم الكتّاني ، 13.
إحسان عبّاس ، 78، 110.
أحمد (صلعم) ، 24.
أحمد بابا الشنجيطي ، 183.
أحمد البارودي ، 68.
أحمد باي الأوّل ، 7، 9، 19، 36، 72، 84، 170، 184.
أحمد بن صالح ، 14، 190.
أحمد بن عبد اللطيف ، 14.
أحمد بن عروس ، 163.
أحمد بوخريص ، 8، 111.
أحمد بوعبدة ، 91.
أحمد التجاني ، 7، 8، 15، 94، 105، 149، 168، 179.
أحمد زرّوق الكافي ، 87، 150.
أحمد سكيرج ، 94.
أحمد السّهيلي ، 28.
أحمد سيضة، 124.
أحمد صويمع، 48.
أحمد بن أبي الضياف، 6، 7، 14، 55، 72، 129، 139.
أحمد عارف ، 6، 17، 60، 75، 138، 139.
أحمد الغرياني ، 187.
إدريس الأول ، 82.
(مولاي) إسماعيل ، 55.
إسماعيل التميمي ، 5، 8، 9، 73، 74، 104، 156.
الأشعري ، 176.
إفلاطون ، 32.
أيّوب ، 162.

- ب -

الباجي المسعودي ، 10.
باش مملوك ، 60.
الإمام البخاري (الجعفي) ، 107.
بشّار بن برد ، 18، 49، 175.
البشير الزوّاوي ، 8، 15، 51، 52، 161.

أبو بكر الصّدّيق ، 16، 37، 78.
أبو بكر الكوّاش ، 66.

- ت -

أبو تمّام ، 18، 66، 151.

- ج -

جاليانوس ، 110.
جرير ، 142.
جعفر الصّادق ، 38، 179.
جمال الدّين الفاكهي ، 10.
الجنيدي ، 176.

- ح -

الحريري ، 178.
حسّان بن ثابت ، 123، 169.
الحسن ، 38، 150، 178.
أبو الحسن (علي بن أبي طالب) ، 38.
حسن حسني عبد الوهاب ، 13، 188 وفي مواضع مختلفة.
أو الحسن الحلفاوي ، 31.
أو الحسن الشاذلي ، 53، 54، 115، 163.
حسن الشريف، 5.
حسن العسكري ، 38، 179.
الحسين ، 38، 150، 179.
حسين باي الأوّل ، 42، 126.
حسين باي الثاني ، 9، 36، 44، 45، 59، 60، 73، 152، 152.
حسين برناز ، 113.
حسين خوجة ، 86.
حمّادي السّاحلي ، 13.
حمزة ، 16، 38، 150.
حمزة الجبّاس ، 5.
حمّودة باشا ، 6، 8، 26، 42، 43، 44، 49، 55، 59، 100، 102، 129، 131، 140، 146، 157، 180.
حمّودة الهيشري ، 33.
الإمام أبو حنيفة (النُّعمان) ، 69، 72، 176، 185.

- خ -

الخرشي (محمد بن عبدالله) ، 165، 177.
الخصيبي (القاضي) ، 27.
خوجة (سليم) ، 196.

- د -

داوود ، 40.

- ذ -

ذو النّون (صاحب الحوت) ، 162.

- ر -

الرّازي (الفخر) ، 32.
الرصّاع (عثمان) ، 194.

- ز -

الزّمخشري ، 31.
زهير بن أبي سلمى ، 170.
زين العابدين ، 64.

- س -

سالم السّرسي ، 48.
السّامري ، 35.
سحبان وائل ، 123، 141.
سحنون ، 165.
ابن سراج المدني ، 34.

(مولاي) السّعيد ، 132، 134، 135 .
سعود ، 145 .
(مولاي) سلامة بن محمّد ، 180 .
سليم خوجة ، 196 .
(مـولاي) سليمـان ، 6، 27، 55، 56، 80، 99، 122، 132، 180، 181 .
سليمان (القانوني) ، 137 .
سليمان بن داود ، 17، 138 .
سيبويه (ابن بشر) ، 176 .

- ش -

شاكير (صاحب الطابع) ، 67 .
شمّر ، 179 .

- ص -

صالح باي ، 42 .
صالح خوجة ، 36 .
صالح الشّامي ، 109 .
صالح الكوّاش ، 5، 6، 66، 145، 153 .

- ط -

الطّاهر بن عبد الصادق ، 7، 168، 179 .
الطّاهر بن مسعود ، 5، 67، 117 .
طه (صلعم) ، 75 .
الطيّب الرياحي ، 90 .

- ع -

عائشة المنوبيّة ، 163 .
(قوم) عاد ، 133 .
ابن عاصم ، 167 .
العبّاس ، 16، 38، 150 .
(مولاي) عبد الرّحمان بن هشام ، 181 .
عبد الرحيم (الطبيب) 110 .
(مولاي) عبد السلام ، 18، 27 .
عبد الشّكور المدني ، 46 .
عبد القادر الجيلاني ، 154 .
عبد القادر الرّياحي ، 5، 110 .
عبد الله الأنصاري الخزرجي ، 10 .
عبدالله التّميمي ، 156 .
(السلطان) عبد المجيد ، 84 .
عبد مناف ، 135 .
عثمان بن عفّان ، 16، 17، 37، 78 .
(آل) عثمان ، 40 .
عثمان باي ، 41، 42، 100 .
عثمان الحشايشي ، 65 .
عثمان الرصّاع ، 194 .
العربي الدّمناني ، 168 .
(الأميرة) عزيزة ، 52 .
علي (مقدّم الطريقة الشّاذليّة) ، 53 .
علي بن حسين باي ، 41، 157 .
علي بن أبي طالب ، 78، 83، 150 .
علي بن زياد ، 163 .
علي بن عثمان باي ، 42 .
علي التّماسيني ، 7، 8، 168، 179 .
علي حرازم ، 8، 15، 97 .
علي الرّضا ، 38، 179 .
علي الرّياحي ، 146، 184 .
علي زين العابدين ، 38، 179 .
علي العريان ، 125 .
علي عزّوز ، 8، 125 .
علي الهادي، 38، 179 .
العماد الإصفهاني ، 141 .
عمر بن الخطّاب ، 16، 58، 78، 82 .
عمر بن عبد العزيز ، 82 .
عمر بن الفارض ، 19، 158 .
عمر المؤدّب ، 116، 117 .

عمر المحجوب ، 5، 6، 8، 61، 67.
(القاضي) عياض ، 30، 162.

- غ -

الغزالي ، 32 .
غيلان (ذو الرمّة) ، 177 .

- ف -

فاطمة الزّهراء ، 56، 83، 150.

- ق -

قاسم الزّليجي ، 100.
قاسم المحجوب ، 62.
القزويني ، 31.

- ك -

كثير عزّة ، 17، 50.
الكسائي ، 176.
كعب بن زهير ، 142.

- ل -

لسان الدّين ابن الخطيب ، 56.

- م -

(الإمام) مالك ، 68، 74، 163، 167، 176، 185.
المتنبّي ، 18، 27، 187.
محرز بن خلف ، 163.
محمّد (صلعم) 58، 77، 108، 142، 169.
محمّد (قاضي مجاز الباب) ، 166.
محمّد الأحرم ، 36، 109.
محمّد الباقر ، 38، 179.
محمّد باي ، 45، 73، 184.
محمّد باي الحفصي ، 125.
محمّد البحري بن عبد السّتّار ، 38، 146.
محمّد البكري ، 75.
محمّد بن عبد الكبير الشّريف ، 9.
محمّد بن جزي الكلبي ، 110.
محمّد بن خطير الدّين العطّار ، 61.
محمّد بن الخوجة ، 31، 188.
الجنرال محمّد بن الخوجة ، 14.
محمد بن سلامة ، 106، 109.
محمّد بن عبد الوهّاب ، 145 .
محمّد بن عيسى ، 154.
محمّد بن الفقيه السلاوي ، 63.
محمّد البهلي النيّال ، 158.
محمّد بوراس ، 175، 176.
محمّد البوصيري ، 22.
محمّد بيرم الثّاني ، 129، 131.
محمّد بيرم الثّالث ، 27، 45، 70، 73، 105.
محمّد بيرم الرّابع ، 31، 84، 105، 106، 188.
محمّد التّهاسي الحسني ، 142، 144.
محمّد الجواد ، 38، 179.
محمد الحبيب التّجاني ، 96.
محمّد الحشايشي ، 65.
محمّد الخضّار ، 188.
محمّد الرّشيد باي ، 41، 52.
محمّد السّعيد الحسني ، 107.
محمّد السّنوسي ، 10، 11، 14.
محمّد الصّادق باي ، 11.
محمّد الصّادق بسيّس ، 14 .
محمّد الصّغيّر الأندلسي ، 50 .
محمّد الظّريف التّونسي ، 93 .

محمّد العربي زرّوق ، 47 .
محمّد الفاتح ، 137 .
محمّد الفاسي ، 5، 9، 31 .
محمّد القرشي السّلاوي ، 26، 34، 63، 122 .
محمّد قلاّلة ، 140 .
محمّد الكوّاش ، 66، 145 .
محمّد ماضور ، 49 .
محمّد المحجوب ، 104 .
محمد بن محمود ، 192 .
محمّد المسعودي ، 49 .
محمّد المعروفي ، 27 .
محمّد اليعلاوي ، 19 .
محمود إلياس ، 14، 186، 187 .
محمود باكير ، 31 .
محمود باي ، 44، 52، 152، 157 .
(السّلطان) محمود خان ، 7، 39، 84، 136 .
محمود غربال ، 123 .
محمود قابادو ، 16 .
محمود النقّاش ، 195
محيي الدّين بن عربي ، 158 .
المختار المنكّبي ، 112 .
مراد باي ، 125 .
(الإمام) مسلم ، 107 .
مصطفى باي ، 7، 152، 157 .
مصطفى البكري ، 10 .
مصطفى بن عزّوز ، 27 .
مصطفى خزنه دار ، 170 .
مصطفى دنقزلي ، 186 .
مصطفى رشيد باشا ، 86 .
المقري ، 78 .
المكودي ، 65، 178 .
المنتصر الحفصي ، 163 .
منصور بن جردان ، 163 .
منصور الورغمّي ، 70 .
المهدي ، 16، 38، 179 .
موسى (عليه السلام) 79، 162 .
موسى الكاظم ، 38، 179 .
الميداني ، 107 .

- ن -

النّاصر السّلاوي ، 13، 55 .
النعمان (أبو حنيفة) ، 195 .
النقّاش (محمود) ، 195 .
النّوري التّوزري ، 88 .

- هـ -

الهادي حمّودة الغزّي ، 15، 19، 66، 88 .

- و -

الونشريسي ، 185 .
الونيس ، 52 .

- ي -

يحيى ، 162 .
(مولاي) اليزيد ، 134، 180 .
يعقوب ، 162 .
يوسف (الصّديق) ، 27، 140، 162، 165 .
يوسف صاحب الطابع ، 6، 8، 16، 26، 42، 44، 59، 78، 101، 102، 128 .
يونس ، 23، 162 .
يونس باي ، 126 .

5 - فهرس المصادر والمراجع

1 ـ أحمد سكيرج ، « كشف الحجاب عمّن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب » ، فاس ـ 1961/1381 .

2 ـ أحمد بن صالح ، « كنّش » ، دار الكتب الوطنية تونس ، رقم 274 .

3 ـ أحمد بن أبي الضياف ، « إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان » ، تونس 1963-1968 .

4 ـ خليل الطّواحني ، « كنّش الطواحني » ، مخطوط دار الكتب الوطنية ، تونس رقم 18375 .

5 ـ خير الدين الزركلي ، « الأعلام » ، دمشق ـ 1954-1959 .

6 ـ ديوان شعر إبراهيم الرياحي ، مخطوط الرّباط . رقم ك-1763 .

7 ـ الصادق الزمرلي ، « أعلام تونسيون » (ترجمة حمادي السّاحلي) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 .

8 ـ عمر الرياحي ، « تعطير النّواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي » ، (جزآن) ، تونس 1902/1320 .

9 ـ « مجموع أشعار إبراهيم الرياحي » ، دار الكتب الوطنية تونس :

ـ مخطوط رقم 18763 .

ـ مخطوط رقم 18841 .

ـ مخطوط رقم 18548 .

10 ـ مَحمّد بن الخوجة ، « تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد » ، (الطبعة 2) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1985 .

11 ـ محمّد البهلي النيّال ، « الحقيقة التاريخية للتصوّف الإسلامي » ، تونس ، 1965/1384 .

12 ـ محمّد السّنوسي ، « مسامرات الظريف بحسن التعريف » ، (الجزء الأول) ، تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النّيفر ، تونس 1983 .
13 ـ محمّد الصالح مزالي ، « الوراثة على العرش الحسيني » ، تونس 1969 .
14 ـ محمّد محفوظ ، « تراجم المؤلفين التونسيّين » ، (الجزء الثاني) دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1982 .
15 ـ محمّد مخلوف ، « شجرة النّور الزكيّة في طبقات المالكية » ، القاهرة ، 1931/1350 - 1933/1352 .
16 ـ محمّد النيفر ، « عنوان الأريب عمّا نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب » ، (الجزء الثاني) تونس ، 1932/1351 .
17 ـ محمود إلياس ، « إبراهيم الرّياحي ، مفكّرا وأديبا » ، (مرقون) ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية ، تونس ، 1977 .
18 ـ النّاصري السّلاوي ، « الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى » ، الدّار البيضاء ، 1954/1373 .
19 ـ الهادي حمّودة الغزّي ، « الأدب التونسي في العهد الحسيني » ، تونس 1972 .

6 - فهرس المحتوى

- الشيخ إبراهيم الرياحيّ: حياته وآثاره 5
- شعر الشيخ إبراهيم الرّياحيّ 13
- ديوان شعر الشيخ ابراهيم الرّياحيّ 21

حرف الهمزة 21
حرف الباء 25
حرف التّاء 30
حرف الجيم 34
حرف الحاء 36
حرف الدّال 37
حرف الرّاء 55
حرف الزّاي 70
حرف الكاف 72
حرف اللاّم 75
حرف الميم 93
حرف النّون 115
حرف الصّاد 125
حرف العين 127
حرف الفاء 132
حرف القاف 142
حرف السّين 147

حرف الهاء 152
حرف الواو 154
حرف لام ألف 156
حرف الياء 158
أرجوزة 161
مسائل فقهية وغيرها 165
استدراك 168
- محلقـات :
ملحقات من تعطير النّواحي 175
ملحقات من مجموع ح.ح. عبد الوهّاب 186
ملحق من كنّش ابن صالح 190
ملحقات من مجمع الدواوين التونسية 192
- الفهـارس :
1 - فهرس الأبيات 199
2 - فهرس عناوين الكتب 205
3 - فهرس الأماكن والبلدان 207
4 - فهرس الأعلام 210
5 - فهرس المصادر والمراجع 215
6 - فهرس المحتوى 217

مقدمة بالفرنسية ..... Introduction

l'adresse de ses maîtres en soufisme, tels Ahmad Tijāni, fondateur de la confrérie des Tijāniyya; à cet égard, notons que le cheikh Ibrāhīm Al-Riyāḥī est honoré à Tunis comme saint personnage, presque marabout, davantage que comme savant malékite; c'est à ce titre que son souvenir est évoqué à l'occasion de chaque Mouled dans la Zaouia – sanctuaire – qui lui est dédiée en plein cœur de la médina de Tunis.

Le diwān d'Ibrāhīm Al-Riyāḥī a probablement été colligé à Tunis, mais il a été transporté au Maroc, où le cheikh avait noué de solides amitiés avec les sultans, et avec les lettrés de Salé et de Fès. Ce recueil d'une centaine de pages comporte des pièces pour ainsi dire inédites, c'est-à-dire ne figurant pas dans la biographie qui lui a été consacrée par son petit-fils et publiée en 1902 sous le titre de « Ṭaᶜṭīr Al-Nawāhī »; en revanche, il ne reproduit pas d'autres compositions, publiées dans le Taᶜṭīr ou demeurées manuscrites dans des anthologies – ou kunnaš.

Nous nous sommes employés à réunir tous ces poèmes, prenant pour base ceux du diwān marocain – qui nous a été aimablement communiqué en microfilm par M. Ibrāhīm Kettani, conservateur de la Bibliothèque Royale de Rabat – en y adjoignant ceux du Taᶜṭīr et des divers kunnaš, en attendant la redécouverte de la fameuse « Somme des diwāns tunisiens »[1] dont on attribue la recension au cheikh Moḥammed Senoussi, et qui comporterait un recueil exhaustif de la production poétique de notre auteur.

Tunis le 15 juin 1989
Moḥammed YALAOUI

1. Nous avons pris connaissance du 4e volume manuscrit de cette anthologie qui est propriété de M. Lemsi; les pièces et fragments du cheikh Riyaḥi se retrouvent toutes dans notre recueil.

Introduction

Le cheikh Ibrāhīm Al-Riyāḥī (né à Testour en 1767, mort à Tunis en 1850) était surtout un jurisconsulte – faqih, cadi et mufti. A ce titre, il occupa plusieurs postes dans la hiérarchie religieuse du royaume husseinite: ainsi il fut, tour à tour ou simultanément, grand mufti malékite, prédicateur à la Zitouna, professeur à la mosquée Saheb Ettabāʿa, régent de médersa, etc...

Ses talents d'orateur et de fin négociateur l'appelèrent à diriger deux ambassades, au Maroc, pour demander des secours alimentaires contre la disette de 1804, et à Istamboul en 1838, aux fins d'exempter la Tunisie de la dîme qu'elle payait jusque-là à l'Empire ottoman. Ces deux missions furent couronnées de succès et le cheikh en vit sa réputation augmentée, dans son pays et hors de Tunisie.

Mais notre cheikh était aussi poète, poète-uléma, et poète de cour. C'est dire que sa poésie fait une large place aux thèmes religieux voulus par son état d'homme de jurisprudence: aussi nous y trouvons nombre de pièces constituées par des consultations – fetwas – rimées, ou des devinettes juridiques soumises à la sagacité de collègues ou de confrères.

Sa poésie comporte aussi un certain nombre de pièces de circonstance dédiées à de grands personnages de la Régence, panégyriques ou thrènes de vizirs, princes husseinites ou cadis et grand docteurs et hauts fonctionnaires; on y trouve aussi un grand nombre de courtes pièces composées à l'occasion de l'édification d'un monument, mosquée, fontaine publique, rempart, ou fondation pieuse; les grandes pièces s'ouvrent sur des introductions «amoureuses» – nasīb – dans la pure tradition des poètes anciens.

Mais c'est surtout dans les poèmes d'inspiration religieuse que se manifestent la ferveur et la force du cheikh Ibrāhīm – poète: poèmes en l'honneur du Prophète déclamés à Médine, panégyriques vibrants à

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها الحبيب اللمسي

شارع الصوراني (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم : 90/3/2000/149

التنضيد : سامو برس / بيروت

الطباعة : مطابع الشروق

بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا: داشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا: شروق - تلكس: SHROK UN 93091

Cheikh 'Ibrāhīm al-Riyāhī

(m. 1266/1850)

Dīwān

Texte établi et annoté
par

Mohammed YALAOUI et Hamadi SAHLI

Dar al-Gharb al-Islami